

جامعة الجزائر
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال بالجزائر

(دراسة إحصائية تحليلية في الموضوعات والبناء الفني)

بحث مقدم لذيّل شهادة الماجستير في الأدب المغاربي الحديث

إعداد الطالب:

سعيد بن يحيى بهون علي

1430هـ/2009م

جامعة الجزائر
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال بالجزائر

(دراسة إحصائية تحليلية في الموضوعات والبناء الفني)

بحث مقدم لذييل شهادة الماجستير في الأدب المغاربي الحديث

تحت إشراف الأستاذ:
د. أحمد منور

إعداد الطالب:
سعيد بن يحيى بهون علي

لجنة المناقشة

الدكتور:	محمـــــــــــــــــد شـــــــــــــــــنـــــــــــــــــو	رئيسا.
الدكتور:	أحمـــــــــــــــــد مـــــــــــــــــنـــــــــــــــــور	مقررا.
الدكتور:	العـــــــــــــــــيـــــــــــــــــد جـــــــــــــــــاـــــــــــــــــلي	عضوا.

جامعة الجزائر
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال بالجزائر

(دراسة إحصائية تحليلية في الموضوعات والبناء الفني)

بحث مقدم لذييل شهادة الماجستير في الأدب المغاربي الحديث

تحت إشراف الأستاذ:
د. أحمد منور

إعداد الطالب:
سعيد بن يحيى بهون علي

1430هـ/2009م

إهداء

إلى أطفال المسلمين وإلى كل أطفال العالم، وأخص بالذكر

أطفال الجزائر

إلى كل من يعمل من أجل طفولة سعيدة تستير بالكتاب، وأخص بالذكر

الدكتور محمد صالح ناصر وجمعية الطفولة السعيدة بالعطف. غرداية

إلى كل أفراد الأسرة، والأقارب والأصدقاء، وأخص بالذكر

والدَيَّ الكريمين، ومرفيقة دربي وإخواني وأخواتي الأعزاء

وإلى أساتذتي الأجلاء

شكر وعرفان

أتقدم بالشكر الجزيل، والعرفان الكبير إلى كل من
ساعدني على إنجاز هذه الدراسة، وأخص بالذكر:
أستاذي الفاضل الدكتور أحمد منور.

بوصفه مشرفاً على هذه الدراسة،
وكانت توجيهاته خير دليل خلال مراحل البحث المختلفة.
الدكتورين الفاضلين العيد جلوي ومحمد شنوي،

الذين نروداني بمراجع كثيرة،
وملاحظات هامة حول موضوع الدراسة.
السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة،
على صبرهم وتحملهم قراءة البحث وتقويمه.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

خطا أدب الأطفال في البلاد العربية ومن ضمنها الجزائر مع مطلع القرن الواحد والعشرين خطوات هامة على صعيد الإبداع والنقد الأدبيين، وهذا مقارنة بما كان عليه الأمر قبل هذا التاريخ، ويعود ذلك أساسا إلى الوعي بأهمية أدب الأطفال والعناية به تأليفا ودراسة، بالإضافة إلى ما عرفه التقدم التكنولوجي الحديث في مجال الطباعة والنشر، وتقدم وسائل الإعلام بصفة عامة.

وننتج كل هذا تريدنا يقينا يوما بعد يوم على ضرورة العناية أكثر بما يقدم لهذه الفئة الأشد حساسية في المجتمع، ذلك أن هناك إشكالات على صعيد المضامين والأشكال لا تزال قائمة، وتنتظر من يتصدى لها ممن أوتوا رغبة واستعدادا في هذا المجال، ومن بين تلك القضايا العالقة الكتابة الأدبية عن حياة الأبطال وسير الشخصيات، وخاصة تلك التي ارتبط دورها بتغيرات عميقة في مجرى حياة الإنسان على الأرض، وهم الرسل والأنبياء.

وقد اخترنا موضوعا للدراسة شخصية تعد الأكثر تأثيرا في العالم بشهادة الأصدقاء والأعداء، وقد حظيت باهتمام بالغ لدى الدارسين قديما وحديثا، تمثلت في شخص النبي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلوات الله وسلامه عليه.

وتناول سيرة محمد في قصص الأطفال بالجزائر يثير تساؤلات عديدة، من أبرزها الآتي:

هل نالت هذه الشخصية حظها من الكتابة والإبداع الأدبي على غرار ما يقدم للأطفال في الجزائر؟ وفيما لو كتب عنها، هل تم تناولها على ضوء ما وصلت إليه نظريات أدب الأطفال من معايير في الأشكال والمضامين؟ وكيف تعامل الكتاب مع مسألة الخصوصية، في جانبها النبوي من جهة، وجانبها الطفلي من جهة أخرى؟

والسيرة كجنس أدبي يمتلك من عناصر إثراء ما يمكن أن يلي كثيرا من حاجات الطفولة وميولها، وهذا ما دفعني إلى اختيار هذا للموضوع الثري رغم صعوبته، وأما اختياري لسيرة معينة، هي سيرة "النبي محمد"، فيعود ذلك إلى عدة أسباب أهمها:

أ- ثراء السيرة النبوية كمادة حكاية، يمكن أن تنسج منها قصصا فنية ممتعة ومشوقة.

ب- وجود عينات من قصص السيرة النبوية للوجهة للأطفال لكتاب جزائريين، تحتوي على اللواصفات الفنية المطلوبة في هذا النوع من القصص، وإن كان هذا لا ينفي وجود عينات أخرى تطوي على نقائص.

ج- وجود نشاطات كثيرة ومتعددة، وترداد حضورا، تقوم بها مؤسسات ثقافية وهيئات رسمية، تتمثل في بحوث ونقاشات، أفرزت نتائج وتوصيات بحاجة إلى دراسة وتقييم، فبذلك كانت الحاجة إلى تقديم السيرة النبوية وفق ما استجد على صعيد نظرية أدب الأطفال.

وفي سبيل الوصول إلى نتائج تتفق وعنوان البحث كان لزاماً أن أعود إلى ما كتب عن السيرة النبوية من قصص موجهة للأطفال في الجزائر، وكخطوة أولى جمعت واحداً وخمسين عملاً متعلقاً بالسيرة النبوية، وبعد فرز ما كتب بأقلام جزائرية فقط، انحصر العمل في ثمانية عشر منها، ما بين قصة مفردة وسلسلة قصصية، من مجموع ما يمكن أن يتلقاه الطفل بالجزائر.

أما للمراجع التي اعتمدت عليها في هذا البحث، فهي كثيرة ومتنوعة، ولدواع منهجية يمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام هي:

القسم الأول: ويمثله مجموعة للمراجع التي نظرت لفن السيرة بصفة عامة، ككتاب "فن السيرة" للدكتور إحسان عباس، وكتاب "الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة الأدبية الحديثة" لأنيس المقدسي، وقد استفدنا منها في معرفة الخصائص الفنية للسيرة.

القسم الثاني: ويمثله مجموعة للمراجع التي تناولت السيرة النبوية، سواء ما تعلق منها بالوقائع، ككتاب "السيرة النبوية" لابن هشام، أو ما تعلق منها بتحقيقات ودراسات نقدية حول هذه الكتب، ككتاب "شخصية رسول الله بين تصوير الوحي وتصورات الدارسين" للدكتور سعيد اللغراوي، فقد زودتنا هذه المجموعة بوقائع وأحداث مفصلة من السيرة النبوية، وما أجري عليها من شروح وتحقيقات.

القسم الثالث: ويمثله مجموعة للمراجع التي تناولت أدب الأطفال عموماً، والقصة للوجهة إليهم خصوصاً، ككتاب "النص الأدبي للأطفال في الجزائر" للدكتور العيد جلولي، وكتاب "فن الكتابة للأطفال" لأحمد نجيب، وقد اعتمدنا على هذه المراجع في الكشف عن المقومات الفنية التي يتأسس عليها العمل الأدبي للوجه للأطفال.

القسم الرابع: ويمثله مجموعة للمراجع التي تناولت الجانب النفسي والتربوي للطفل، ككتاب "التربية الأخلاقية" للدكتور إبراهيم ناصر، وكتاب "أدب الأطفال والقيم التربوية" للدكتور أحمد علي كنعان، حيث أفادتنا هذه المراجع في الكشف عن الجوانب النفسية والتربوية في قصص السيرة النبوية للوجه للأطفال.

ولدراسة الموضوع قسمت البحث إلى: مقدمة، وتمهيد حول مفهوم السيرة والسيرة النبوية للوجه للأطفال، تلاه أربعة فصول، ثم خاتمة وملحق.

يحتوي التمهيد تحديداً لمصطلحات العنوان، بدءاً بمفهوم السيرة وبيان أنواعها، ثم السيرة النبوية، وما عرفته من تطورات على صعيد النشأة ومناهج الكتابة، واختتم بتعريف قصص السيرة النبوية للكتاب للأطفال.

أما فصول البحث فكانت على النحو التالي:

الفصل الأول: وعنوانه "قصص السيرة النبوية للكتاب للأطفال، وظائفه ومقوماته ومستويات التلقي"، قسمته إلى ثلاثة مباحث، تناولت في المبحث الأول أهمية فن السيرة، ودوافع الكتابة في السيرة النبوية على وجه الخصوص، مبينا أهدافها ووظائفها، أما للمبحث الثاني فقد تطرق إلى بيان مقومات السيرة النبوية وشروط كتابتها في قصص للأطفال، سواء ما تعلق منها بالكتاب أم

النص أم للتلقي، بينما للبحث الثالث يثبت فيه خصائص الطفولة وما ينبغي مراعاته تجاهها من أسس نفسية وفنية، وأثر ذلك في تلقي السيرة النبوية.

أما الفصل الثاني وهو بعنوان "المضامين والقيم في قصص السيرة النبوية للأطفال"، يحتوي على ثلاثة مباحث، تناولت في البحث الأول مضامين قصص المدونة، حيث صنفها إلى مجموعات تبعا لمضمون كل قصة، وركزت على القصص التاريخية، باعتبار أن أغلب قصص المدونة تبني هذا الطرح، فقامت من خلاله بمحاولة تحقيق أحداث السيرة ووقائعها، لأن تعقب اهتمام الكتاب بتناولها وتضمينها، ثم تناولت تبعا بقية أنماط قصص السيرة النبوية، ومدى حضورها في قصص المدونة، أما للبحث الثاني فتناولت فيه مسألة القيم في قصص السيرة النبوية، بدءا بتحديد مفهوم القيم ونسق القيم، ومن خلال منظومة الدكتور أحمد علي كنعان للعدلة لتصنيف رالف وايت حاولت تتبع قصص المدونة واستخراج ما فيها من قيم، بينما للبحث الثالث تنطرق إلى حاجات الطفولة ومدى إشباعها في قصص المدونة.

أما الفصل الثالث وهو بعنوان "مصادر قصص السيرة النبوية للأطفال"، درست فيه المصادر التي اعتمد عليها كتاب قصص السيرة النبوية للأطفال بالجزائر، فقسمتها إلى مصادر أساسية، وأخرى فرعية، فأما الأساسية كان في مقدمتها القرآن الكريم، ثم كتب السنة والحديث، وأمهات كتب السيرة، إلى جانب الدراسات المعاصرة التي أجريت على السيرة النبوية، أما للمصادر الفرعية الأخرى فتمثلت في كتب التفسير وأسباب النزول، والشعر للمصاحب للرسالة، وسير الصحابة والصحابيات، فقامت بتعريف كل مصدر، وبيان خصائصه ومكانته بين بقية المصادر، ثم طريقة عرضه للسيرة النبوية، لأتناول من خلاله مدى اهتمام كتاب قصص السيرة الجزائرين بالمصدر.

أما الفصل الرابع والأخير ويحمل عنوان "التجسيد الفني في قصص السيرة النبوية للأطفال"، تعقبت فيه اهتمام قصص المدونة بالبعد الفني، الذي يعد جوهر أدبية النص، حيث تناولت أبرز اللقومات التي يقوم عليها فن القصة، كالشخصيات، واللغة والأسلوب، وتركيب القصة، والزمان والمكان، ثم أتممتها بالحديث عن مسألة الإخراج الفني، إذ عاينت أبرز الجوانب الشكلية في عملية إخراج القصة، كالغلاف، والعنوان، ونبرات الكتابة، والصور والرسوم، إلى جانب استخدام الألوان، والضبط والترقيم، وتعرضت في الصور والرسوم إلى الفرق بين القصة للرسم والقصة للصورة.

وختمت البحث بخاتمة لخصت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها، وهي نتائج آمل أن تفتح آفاقا جديدة في هذا المجال.

ونظرا إلى أنني أقوم بدراسة ظاهرة أدبية متعددة الجوانب، كان علي أن أستعين بأدوات من مناهج عدة، يجمعها الإحصاء والتحليل والوصف، مع نوع من التركيز على منهج تحليل المضمون، وهذا تبعا لطبيعة الموضوع، وما قد يحتاجه كل عنصر فيه من أدوات إجرائية تناسب طبيعته، وتفسير كنهه، وتستوفي حقه من الدراسة.

اعتمدت على التاريخ لتحديد مفهوم السيرة والسيرة النبوية، وبيان تطوراتها وجذورها التاريخية، وانتهاء بتعريف السيرة النبوية للكتابة للأطفال.

واستعنت بأدوات منهج تحليل المضمون للوقوف على:

- للموضوعات التي تناولها قصص للدونة، ونوع القيم التي يحتويها.

- للمصادر التي استقى منها الكتاب مادتهم الحكائية.

- مدى اهتمامهم بعناصر التجسيد الفني في أعمالهم.

ومن الصعوبات التي واجهتني في طريق إنجاز هذه الدراسة عملية البحث عن قصص في السيرة النبوية موجهة للأطفال لكتاب جزائريين، فرغم وفرة للكتابات على هذا النوع من القصص إلا أن أغلبها يعود لكتاب عرب آخرين، وربما اجتهدت بعض دور الطباعة في الجزائر على إعادة طبعها، كسلسلة "من حياة الرسول" لكامل كيلاي، أو "السيرة النبوية في قصص" لسيف الدين الكاتب.

ومن الصعوبات أيضا اختلاط أسماء الكتاب الشباب بغيرهم من الكتاب العرب، مشاركة ومعاربة، إذ أن بعض من كتب منهم في السيرة النبوية لا يعد ضمن الكتاب للشهورين في أدب الأطفال فضلا عن أدب الكبار، الأمر الذي دفعني إلى البحث والاستقصاء عن أسمائهم وانتماءاتهم.

ولا يسعني في ختام هذه المقدمة إلا أن أقدم الشكر الجزيل للسادة الأساتذة الذين ساعدوني على إنجاز هذا البحث، وأخص بذلك أستاذي الفاضل الدكتور أحمد منور، الذي تكرم بقبول الإشراف على هذه الدراسة، وعلى ما أولانيه من رعاية طيبة، وما زودني به من نصائح وتوجيهات، كان لها الأثر البالغ في إتمام هذا العمل.

الجزائر يوم: الجمعة 06 ذى الحجة 1429هـ

05 ديسمبر 2008م

تمهيد

في مفهوم السيرة

والسيرة النبوية الموجهة للأطفال

قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال فن أدبي يندرج ضمن القصة المكتوبة للأطفال، التي تعد من أهم الأجناس الأدبية للموجهة لهم، لما تتمتع به من خصائص ومميزات.

ويعتبر فن السيرة عموماً والسيرة النبوية خصوصاً مورداً خصباً في تلبية احتياجات الأطفال، وفي تكوين شخصية سوية قادرة على ممارسة دورها البناء في إثراء الحياة والنهوض بها، وإسعاد الفرد والمجتمع.

لهذا ولغيره كانت الضرورة ملحة في إنجاز هذه الدراسة التي تتناول قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال بالجزائر، لكن قبل أن نشرع في تناولها نرى من الضرورة الحديث ولو بشكل موجز عن فن السيرة من حيث مفهومه وما ارتبط به، ثم السيرة النبوية وما وقع فيها من اشتغال على صعيد الكتابة والنهج، لنقف على تعريف قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال.

1. تعريف السيرة وبيان أنواعها:

أولاً- تعريف السيرة لغة واصطلاحاً:

أ- لغة:

السيرة بكسر السين: السُنَّة والطريقة، والهيئة التي يكون عليها الإنسان وغيره، وهي مأخوذة من مادة "سَارَ" أو من "السَّيْر"، بمعنى مشى وسلك في الأرض، يُقال: هذه سيرة فلان، أي طريقته وسُنَّته، ويقال: قرأتُ سيرة فلان، أي تاريخ حياته، وسار الأمير في الرعية سيرةً حسنة، أي طريقةً حسنةً، وأحسنَ السَّيْر، أي هيئةً للمسير، ومنه قول الله ﷻ: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ (طه: 21) ¹.

ب - اصطلاحاً:

يعرّف أحد النقاد المحدثين السيرة على أنها نوع من الأدب يجمع بين التحري التاريخي والإمتاع القصصي، ويراد به درس حياة فرد من الأفراد ورسم صورة دقيقة لشخصيته ².

1- ينظر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، باب الرءاء، فصل السين، مرا: د. محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2008، ص 439.
2- أنيس المقدسي، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة الأدبية الحديثة، بيروت، لبنان، ط2، 1978م، ص 547.

وهو إذ يجمع بين فن القصة والتاريخ، يتناول شخصية من الشخصيات البارزة لجلاء جوانبها والكشف عن عناصر العظمة فيها، وهي عملية تحليلية لعناصر الشخصية للترجم لها، ومن خلال هذا التحليل تبرز القيم الإنسانية التي تنطوي عليها الشخصية.

وقد وصفها للفكر "توماس كارلايل" Thomas Carlyle (1795-1881)¹، بمتهى الإيجاز والتركيز فقال: السيرة حياة إنسان، وأشارت الموسوعة الأمريكية إلى أن هذا الوصف أو جزُ تعريف للسيرة².

وحَدَّدها أحد الباحثين للعصرين بأنها "البحثُ عن الحقيقة في حياة إنسان فذٍّ، والكشف عن مواهبه وأسرار عبقريته من ظروف حياته التي عاشها، والأحداث التي واجهها في محيطه، والأثر الذي خلَّفه في جيله"³.

وعرَّفها عبد الإله الصائغ بكونها "نصٌّ ثريٌّ مكتوب بطريقة أدبية جذابة، يرصد حياة عَلمٍ مشهور أو إنسان مغمور، أو جماعة متجانسة، أو مدينة هاجعة، بطريقة تجمع بين جمال العبارة ورشاقة الصياغة، للإفصاح عن معلومة همَّ الكاتب وتُسشِّر القارئ"⁴.

و يلزم كاتب السيرة في حياة من يترجم له ما يأتي:

- التسلسل الزمني.

- الانتقاء من مواقف الحياة ما فيه دلالة وعبرة.

- إضفاء حيوية وإثارة وتشويق على الأسلوب، بحيث يكون فيه روح من الخيال غير محل بالتاريخ.

— تطور مفهوم السيرة:

تأثرت السيرة بمفاهيم الناس عنها على مرّ العصور، فكانت تسجيلاً للأعمال والأحداث والحروب المتصلة بالملوك عند الصينيين وللمصريين والآشوريين، وكانت تفسيراً لبعض اللبائى السياسية عند "فلوطارخس" (Plutarch)، ونجح هذا الأخير في السيرة حينما قلل الالتفات إلى تصوير حقبة كاملة، وزاد من اهتمامه بحركات الأشخاص أنفسهم.

وقد أطلق العرب كلمة سيرة على ما كُتب من حياة الرسول ﷺ، ثم اتسعوا في مدلولها، فأطلقوها على حياة بعض الأشخاص، مثل سيرة ابن طولون، وسيرة صلاح الدين الأيوبي، والظاهر بيبرس وغيرهم، وأوّل سيرة أُلّفت بعد سيرة الرسول ﷺ كانت من تصنيف عوانة الكلبي (ت 147هـ)، تناول فيها سيرة معاوية وبني أمية⁵.

— بين مصطلح "سيرة" و"ترجمة":

السيرة أقدم استعمالاً في التراث العربي من كلمة ترجمة في الدلالة على تتبّع حياة شخص من الأشخاص، فالأولى استعمالها محمد بن إسحاق (85-152هـ)¹ في تاريخ حياة الرسول ﷺ، ثم انتقلت من المعنى الخاص إلى العام، وللعاجم العربية القديمة

1- توماس كارلايل، كاتب مقالات وساخر ومؤرخ اسكتلندي، كانت أعماله بالغة التأثير أثناء العصر الفيكتوري.

2- أحمد علي آل مريع، السيرة الذاتية: الحد والمفهوم، نادي أبها الأدبي، السعودية، 1429، ص 1، 3.

3- عبد العزيز شرف، أدب السيرة، دار الجيل، بيروت، 1993، ص 3.

4- عبد الإله الصائغ، النقد الأدبي الحديث وخطاب التنظير، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، 2000، ص 105.

5- ينظر ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1978م، ص 186.

تغفل استعمال كلمة "ترجمة" للدلالة على تاريخ الحياة، ولكنّ المعاجم المعاصرة تستخدمها بهذا المعنى، وفي للمعجم الوسيط وُصفت كلمة "ترجمة" بأنها مؤلّدة، استعملت بعد عصر الرواية².

ويظهر أنّ اصطلاح ترجمة قد دخل العربية عن طريق الآرامية، ولم يُستعمل بهذا المعنى إلا في أوائل القرن السابع الهجري، حين استعمله ياقوت الحموي في معجمه الذي خصّصه لنوي التّأليف من الأدباء³.

ولذلك مال بعض الباحثين إلى التفرقة بين المصطلحين على أساس الاستعمال وحده، فاستعملوا كلمة ترجمة حين لا يطول نفْسُ الكاتب فيها، فإذا ما طال النفس واتسعت سُميت سيرةً، ويرجح عبد الله الحيدري استعمال مصطلح "السيرة"، ويرى أنّه أولى من استخدام مصطلح "ترجمة"، لأنّ استخدام الأول أسبق في اللغة من استخدام الثاني، ولأن كلمة "سار" معجمياً تدلّ على السير والانتقال من مرحلة إلى مرحلة، وتعني طول الطريق والانتقال من طورٍ إلى طور، وهو ما يتفق تماماً مع كتابات السير التي تورّخ لسيرة الإنسان وانتقاله من مرحلة الطفولة إلى الشباب، إلى الكهولة، فالشيخوخة، كما أننا نجد في السيرة مراحل متعدّدة يصفها الكاتب، كالدراسة والحياة العملية والرحلات والزواج... الخ، ولذلك فإنّ مضمون الكتابة في هذا الفن يبدو وشيخ الصّلة بمصطلح "سيرة" أكثر من انسجامه مع مصطلح "ترجمة"، الذي يُطلق على صفحة يكتبها المرء عن نفسه، أو حتى على ما سطر من أسطرٍ معدودة⁴.

فالسّير (Biographie) تهدف إلى الكشف عن المعلومات الشخصية المتعلقة بحياة شخص ما، بينما التراجم الشخصية (Autobiographie) تعرّض لحياة الأشخاص من خلال ما كتبه عن أنفسهم، وكلامهم يوفّر للمؤرخ معلومات مفيدة قد تساعد على تفسير بعض الإشكالات المتعلقة بحياة الأشخاص وإبراز ملامح العبقريّة، وإظهار جوانب الضعف أو القوة في سلوكهم وأعمالهم، التي كان لها تأثير مباشر في مجتمعاتهم، كالكتاب والعلماء والفنانين، والقادة والحكام وغيرهم⁵.

ثانياً- أنواع السيرة:

تعدد تقسيمات السيرة حسب زاوية الرّؤية، فإذا كانت باعتبار فيتتها فهناك السيرة الأدبية والسيرة التاريخية، وإذا كانت باعتبار الأشخاص للكتوب عنهم فإنّها تفرّع إلى ذاتية وموضوعية وشعبية، وستناول التقسيم الأخير، باعتباره مندرجا في لواء الأدبية، مدار الدراسة.

أ- السيرة الذاتية: يطلق للمصطلح على العمل الأدبي الذي يقوم فيه مؤلفه بسرد قصة حياته، فالروائي مثلاً يعالج في سيرته العديد من القضايا الشخصية والاجتماعية والسياسية، ومنها يحاول أن يقدم خلاصة فكره وقناعاته، والشاعر يتناول تجربته الشعرية من حيث تاريخ عطائه وأسلوبه، ودفاعه عن هذه التجربة، وعن النمط الشعري الذي يكتب فيه، ويان قناعاته بتجارب الآخرين

1- هو محمد بن إسحاق بن يسار المطلبلي، أكثر الأخذ عن عروة بن الزبير وأبان بن عثمان والزهري، ويعد من أبرز كتاب السيرة، اتفق الجمهور على توثيقه، قيل في مغازيه: "ما من كتاب وضع في السيرة بعد ابن إسحاق إلا وهو غرفة من بحره".

2- عبد العزيز شرف، أدب السيرة، دار الجيل، بيروت، 1993، ص 3، 4.

3- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار الفكر، دمشق، 1980.

4- ينظر عبد الله الحيدري، إضاءات في أدب السيرة والسيرة الذاتية، مطابع الحميضي، الرياض، 2006، ص 18.

5- ينظر ناصر الدين سعيدوني، أساسيات منهجية التاريخ، دار القصة، الجزائر، 2000م، ص 17، 18.

وبالأنماط الشعرية الأخرى، ومن نماذج سير الأدباء نجد طه حسين في كتابه "الأيام"، وأحمد أمين في كتابه "حياتي"، وهذا النوع من السير لا يعنينا في هذه الدراسة.

ب- **السيرة الغيرية:** (الموضوعية)، هي عرض لتاريخ حياة إنسان متميّز عن أقرانه، إما بطولة وإما مروعة وكرماً، وإما غير ذلك، وفيها يترجم الكاتب لشخصية غير شخصيته، سواء كان ذلك في حياتها أم بعد وفاتها، ولا بد أن يفهم الكاتب الشخصية التي يكتب عنها في البيئة والزمان اللذين عاش فيهما، وينقسم هذا النوع إلى:

- سيرة عامة: تناول حياة أشخاص كثيرين من دون طول نفس، كـ "الطبقات" لابن سعد¹، و"الأغاني" لأبي الفرج، و"معجم الأدباء" لياقوت الحموي، ويطلق على هذا النوع من الكتب اسم "كتب التراجم".

- سيرة خاصة: وهي التي تناول حياة علم من الأعلام مفرداً ومفصّلاً، ومن أشهر كتب السيرة للموضوعية في أدبنا العربي الحديث: "العقريات" للعقاد، و"حياة محمد" و"الصدق أبو بكر" لـ محمد حسين هيكل، ويطلق على هذا النوع مصطلح "كتب السيرة"، ويندرج تحته كتاب "السيرة النبوية" لابن هشام.

ج - **السيرة الشعبية:** وهي عرض لتاريخ حياة إنسان متميّز عن أقرانه، ومصطلح الشعبية يعني ما له علاقة بالناس العاديين (أي الشعب)، وقد تعني السيرة الشعبية سيرة حياة الأبطال مما كان لها وقع على الناس، ومن أبرز هذه السير: "سيرة بني هلال"، و"سيرة سيف ابن ذي يزن"، و"سيرة الظاهر بيبرس"، و"سيرة عترة"².

2. السيرة النبوية، تعريفها وبيان تطوراتها ومناهج كتابتها:

أولاً- تعريف السيرة النبوية:

تعني مجموع ما ورد من وقائع حياة النبي ﷺ وصفاته الخلقية والخلقية، مضافاً إليها غزواته وسراياه، وهي عبارة عن الرسالة التي حملها محمد ﷺ إلى المجتمع البشري قولاً وفعلاً، وتوجيهاً وسلوكاً، وقلباً بها موازين الحياة، فبذل مكان السيئة الحسنة، وأخرج بها الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله³.

والسيرة النبوية إذ تناول حياة أشرف الخلق بجلاء جوانبها، فهي تستهدف الكشف عن عناصر العظمة فيها، وإبراز القيم الإنسانية التي تنطوي عليها، بقصد الاقتداء والتأسي.

1- ابن سعد محمد بن سعيد بن منيع (168-230هـ)، كان كاتباً للواقدي، وقد قام بتأليف كتاب "الطبقات الكبرى" الذي حمل اسمه فيما بعد (طبقات ابن سعد)، ويعد من بين أوثق المصادر في سيرة الرسول والصحابه والتابعين.

2- سيرة "بني هلال" تركز على أفراد اشتهروا بالطولة والإقدام، وسيرة "سيف ابن ذي يزن" محرر بلده اليمن من الاحتلال الحبشي، وسيرة "الظاهر بيبرس" أحد أبطال المسلمين في حروبهم ضد الصليبيين والتتار، وسيرة "عترة" تحكي عن عترة بن شداد العبسي.

3- ينظر صفى الرحمان المباركفوري، الرحيق المختوم، دار الكتاب الحديث، القاهرة، (د.ت) ص11.

وإذا كانت السنة هي ما ورد عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، فالسيرة هي جزء من السنة في معناها الرّحب، وتبرز أكثر ما يكون في أفعاله ﷺ.

ومن خلال هذا التحديد يمكن تصنيف للموضوعات التي تشتمل عليها السيرة النبوية في الآتي¹:

- أ- حياة الرسول ﷺ منذ إرهاصات مولده حتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى.
- ب- حياة صحابته الذين جاهلوا معه، ممن كان لهم دور في تبليغ رسالته.
- ج- تاريخ انتشار هذا الدين الذي ابتدأ بكلمة "اقرأ" في غار حراء إلى أن دانت الجزيرة العربية به، ودخل الناس في دين الله أفواجا.

ثانياً- تطور السيرة النبوية عبر العصور:

مرّت سيرة النبي ﷺ بمنعطفات أساسية في دراستها وروايتها، ونستطيع تلخيص هذه المراحل فيما يلي:

أ- **مرحلة الرواية:** معظم دراسات السيرة تركّز على مرحلة التجميع باعتبارها المرحلة الأولى من مراحل دراسة السيرة النبوية، غير أن التجميع إنما يقوم على الرواية في اللقاة الأولى، ولذا فإن المرحلة الأولى هي رواية الأحداث، التي بدأها رواة الأحاديث النبوية من الصحابة، وتبدأ عادة بمثل قولهم: "كنا مع رسول الله ﷺ..."، ويلحق بذلك تميم الداري الذي أحلّسه عمر بن الخطاب في المسجد النبوي يقصّ غزوات النبي ﷺ على الناس يوماً في الأسبوع، فلما كانت خلافة عثمان سمح له يومين، وكان ذلك على الأرجح في العشرين سنة التالية لوفاة النبي ﷺ².

ب- **مرحلة التجميع:** تناقل التابعون هذه الأخبار والروايات ودوّنوها في صحائفهم، وقد اختصّ بعضهم بالعناية التامة بها، أمثال أبان بن عثمان بن عفان (20-105هـ)³ وعروة بن الزبير بن العوام (23-93هـ)، ومن صغار التابعين عبد الله بن أبي بكر الأنصاري (ت 135هـ)⁴، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري (50-124هـ)⁵، الذي جمع السنة بأمر من عمر بن عبد العزيز، وعاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري (ت 120هـ)⁶، ووهب بن منبه (ت 110هـ)⁷، ولعل أبرز من دوّن السيرة

1- ينظر محمد منير الغضبان، المنهج الحركي للسيرة النبوية، مكتبة المنار، الأردن، 1974، ص. 21.

3- خلاصة عدة كتب تناولت الموضوع، أبرزها كتاب محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1993، ص 6 وما بعدها.

3- أبان بن عثمان بن عفان من الرواة الثقات، من فقهاء المدينة، لكن لم يصل إلينا شيئاً من كتبه، التي أبرز فيها فضائل الأنصار. ينظر أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العبيكان، الرياض، ط2، 1996، ص 54.

4- يعد من شيوخ ابن إسحاق، قال عنه الزهري: ليس له مثيل في المدينة.

5- أول من دوّن الحديث، فقيه حافظ تابعي، من علماء السيرة، جمع ما رواه التابعون فأضافه إلى مرويّاته، ولم تصل إلينا سيرته، لكن اعتماد ابن إسحاق والواقدي عليها يدل على أهميتها.

6- هو شيخ ابن إسحاق، كان عالماً بالمغازي، طلب منه عمر بن عبد العزيز أن يجلس في مسجد دمشق ليحدث الناس بمغازي رسول الله وفضائل الصحابة.

7- وهب بن منبه اليمني، وفي مدينة هيدلبرج بألمانيا قطعة من كتابه "المغازي"، وهو ممن له اطلاع على الاسرائيليات بالنظر إلى أصوله، وظهر أثر ذلك بوضوح في كتابته لوقائع السيرة النبوية، مما تحفظ عن مرويّاته كثير من الرواة.

وأفردا بتصنيف محمد بن إسحاق (85-152هـ)، من خلال كتابه "المغازي"¹، إلا أنه لم يصل إلينا، ولكن مضمونه بقي محفوظا. بمختصره الذي نقله عنه ابن هشام (ت218هـ) في سيرته² عن طريق شيخه البكائي (ت183هـ)، الذي كان من أشهر تلامذة ابن إسحاق³.

ج - مرحلة التوثيق والتنقيح والتهذيب: ومثلها ابن هشام (ت218هـ)، بتهذيبه لمغازي ابن إسحاق، فاختصرها وأضاف عليها، وأجرى عليها تصويبات دون أن يغير في النص، وأخرجها في كتاب أسماه "السيرة النبوية"، وعُرفت فيما بعد بـ "سيرة ابن هشام"، ويعدّ واحدا من أهم المصادر القديمة للسيرة النبوية⁴.

د - مرحلة العصر الحاضر: وتنقسم إلى نوعين:

- النوع الأول: ما كُتب للمستشرقون الأوروبيون⁵: وتعدّ معطفاً آخر في تناول السيرة النبوية، بدأ من النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي، وتمثل في فهم جديد يعتمد على ما يعرف بالمنهج الذاتي في تناول التاريخ، وقد كان لكتابهم دور في إنشاء قراءات جديدة لأحداث السيرة النبوية، منها ما نال إعجاب للمسلمين، ومنها ما بث شكوكا في بعض الوقائع، ونذكر من أبرزهم: يوليوس فلهاوزن (1844-1918م)، بكتابه "تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية"، وكارل بروكلمان (1868-1956م)، بكتابه "تاريخ الشعوب الإسلامية"، ووليام مونتغمري وات، من خلال كتابه "محمد نبي ورجل دولة"⁶.

- النوع الثاني: ما كُتب الباحثون للمسلمون:

اعتمد الباحثون للمسلمون للعاصرون منهجا علميا في تناول وقائع السيرة النبوية، يقوم أساسا على التحليل والاستنباط واستخراج الدروس والأحكام، وهذا بخلاف منهج أسلافهم الذين كان حرصهم منصبا على جمع الوقائع وتوثيقها، ويمكن اعتبار

- 1- الكتاب ألفه بأمر من الخليفة المنصور العباسي، ويحتوي على ثلاثة أجزاء، المبتدأ: ويتناول فيه تاريخ الجاهلية، والمبعث: ويتناول فيه حياة الرسول في مكة وهجرته، والمغازي: ويتناول فيه حياة الرسول بالمدينة، تلقى ابن هشام سيرة ابن إسحاق عن تلميذه البكائي، فاختصرها وأضاف عليها وأجرى عليها تصويبات دون أن يغير في النص، وأخرجها في كتاب أسماه السيرة النبوية، وقد عرفت فيما بعد بسيرة ابن هشام، ويعد السهيلي (508 - 581 هـ) أشهر من قام بشرح سيرة ابن هشام في كتاب أسماه "الروض الأنف"، ويعتبر الكتاب عمدة في المغازي والسيرة. ينظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط وغيره، الرسالة، بيروت، ط 9، 1413هـ، ج 7، ص 48.
- 2- هو أبو محمد بن عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري البصري، إمام في النحو واللغة، وإليه انتهت سيرة ابن إسحاق، حيث تلقاها عن تلميذه البكائي، ليتولى شرحها كثيرون، أشهرهم السهيلي في كتابه المتقدم.
- 3- ينظر ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1978م، ص 136.
- 4- المرجع نفسه، ص 136.
- 5- الاستشراق: مصطلح يقصد به الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي، في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام، وهذا المعنى هو الشائع في كتابات المستشرقين. ينظر محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، رئاسة المحاكم الشرعية، قطر، ط 2، 1404هـ، ص 18.
- 6- يوليوس فلهاوزن هو مستشرق ألماني، عني بالدراسات العربية، وترجم كتاب "المغازي" للواقدي بعنوان "محمد في المدينة"، أما كارل بروكلمان فهو أيضا مستشرق ألماني، تعاون مع إدوارد سيخاو في تحقيق طبقات ابن سعد، اشتهر في فقه اللغة والتاريخ الإسلامي، بينما وليام مونتغمري وات هو مستشرق بريطاني معاصر، تركزت اهتماماته في مجال السيرة النبوية، وعمل عميدا لقسم الدراسات العربية في جامعة أدنبرا، وله بحوث في الدراسات الإسلامية والاستشراقية. ينظر نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، مصر، ط 3، 1965، ص 554، وص 777.

هذه المرحلة حصادا للنبور التي عكف على زرعها للتقدمون، ومن أبرز من مثلها: مصطفى السباعي "السيرة النبوية دروس وعبر"، محمد سعيد رمضان البوطي "فقه السيرة"، عماد الدين خليل "دراسات في السيرة"، محمد الغزالي "فقه السيرة"، وغيرهم.

3. تعريف قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال:

قصص السيرة النبوية للأطفال في إطاره العام جزء من القصة، يقول محمد مرتاض: "فلا فرق بين قصة للكبار وقصة للصغار إلا في التبسيط والتوضيح والتحليل، والابتعاد عن الغموض المفرط أو التعقيد للمعجوج"¹.

وهي في إطارها الخاص تندرج ضمن القصص المكتوب للأطفال التي هي: "شكل من أشكال الأدب، ووسيلة من وسائل التعبير، تميل إليها نفوس الأطفال، بما فيها من متعة وفائدة، وحركة وحياء، وتجدد ونشاط، ولها عناصر ومقومات تتلاءم مع الأطفال حسب مستوياتهم، وأعمارهم وقدراتهم على الفهم والتذوق"².

وما يميز هذا النوع من القصص أنه ينتمي إلى فن السيرة، كجنس أدبي يجمع بين التحري التاريخي والإمتاع القصصي في تناول حياة فرد من الأفراد، ومادام الأمر متعلق بسيرة النبي محمد ﷺ، فإنه يمكن الخلوص إلى تعريف لقصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال انطلاقا مما سبق على أنه:

نوع من أنواع القصص المكتوب للأطفال، يتضمن وقائع من حياة محمد ﷺ، صيغت في كلام جيد وجميل، يجمع بين التحري التاريخي والإمتاع القصصي، بحيث تميل إليه نفوس الأطفال، بما فيه من متعة وفائدة، وله عناصر ومقومات تتلاءم مع الأطفال حسب مستوياتهم وأعمارهم وقدراتهم على الفهم والتذوق، ويساهم في بناء شخصيتهم، وتحديد هويتهم، وتعليمهم فن الحياة.

وعليه فمن خلال هذا التعريف يمكن استخلاص للملاحظات التالية:

أ- أن قصص السيرة النبوية نوع من أنواع القصص المكتوب للأطفال، والذي هو شكل من أشكال الأدب، ووسيلة من وسائل التعبير تميل إليها نفوس الأطفال.

ب- أن هذا النوع من القصص مرتبط بحياة محمد ﷺ، ارتباطا إما مباشرا كليا أو جزئيا، وإما غير مباشر، فما كان مباشرا كليا حين يتضمن سرد قصة حياته بدءا بمولده ونشأته، ثم جهاده وهجرته وغزواته إلى حين وفاته، وما كان ارتباطا جزئيا إذا تناول جانبا من جوانب حياته بكشفها وسر أغوارها.

وأما الارتباط غير المباشر فهو ما تضمن حياة أحد الصحابة، ممن كانت له وقائع ومواقف مع النبي ﷺ، كقصة عمر بن الخطاب، وقصة حمزة عم النبي، وقصة خديجة زوجته، وغيرهم..

1- محمد مرتاض، من قضايا أدب الأطفال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 124.

2- العيد جلولي، القصص المكتوب للأطفال بالجزائر: دراسة في موضوعاته وبنائه الفني، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، نوقشت عام 2000م، ص 9.

ج- صياغتها في كلامٍ جيّدٍ وجميلٍ، فيما يمكن تسميته بالتحسيد الفني للواقعة التاريخية، بحيث تميل إليه نفوس الأطفال بما فيه من متعة وفائدة، فعلى الكاتب "أن يقدمه تقديمًا جيدًا في إطار متصل بطبيعة الأدب ووظيفته اتصالًا وثيقًا، ويتفق وعالم الطفولة اتفاقًا عميقًا"¹، بحيث يمرّ بها الطفل ويتفاعل معها، فتساعد على تقوية حسّه الفني، وتعمل على السموّ بذوقه الأدبي ونموّه للتكامل، وتسهم في بناء شخصيته الثقافية، والعاطفية والقيمية، والسلوكية، مستلهمة من السيرة النبوية، بحيث تتأثر بالمجتمع الذي تعيش فيه، وتؤثر فيه تأثيرًا إيجابيًا².

وقد كان للسابقين من الصحابة اهتمام بارز في تقديم السيرة النبوية لأطفالهم، حتى إن أوّل من جمع للغازي كانوا أبناء الصحابة، من أمثال عروة بن الزبير وأبان بن عثمان بن عفان، فقد جاء عن علي بن الحسين عن أبيه قال: "كُنّا نُعلّم مغازي النبي ﷺ كما نُعلّم السورة من القرآن"³، وقال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص: "كان أبي يُعلّمنا مغازي رسول الله ﷺ ويُعلّمنا علينا ويقول: هذه مآثر آبائكم فلا تضيّعوا ذكرها"⁴.

وكانت النسوة يُهدهن أطفالهنّ بالأغاني العذبة التي تغرس حبّ النبي ﷺ، ويُنشّن فيها ما يرين من قيم وأفكارٍ، وعُمّرت للساجد منذ العصر الأموي برواة القصص والأخبار، التي كان يستمع إليها الكبار والصغار⁵.

-
- 1- محمد علي الهرفي، أدب الأطفال: دراسة نظرية وتطبيقية، دار الرسالة، القاهرة، 1996، ص 16.
 - 2- ينظر سمير عبد الوهاب أحمد، أدب الأطفال: قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، دار المسيرة، الأردن، 2006م، ص 49.
 - 3- ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين، تفسير القرآن العظيم، تصحيح: محمود حسن، دار الفكر، بيروت، 1992، ص 372.
 - 4- المرجع نفسه، ص 334.
 - 5- ينظر نجيب الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، مؤسسة الإسراء، قسنطينة، الجزائر، ط2، 1991، ص 95.

الفصل الأول:

قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال:

وظائفه ومقوماته، مستويات التلقي.

1- أهمية قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال ووظائفه:

تتبع أهمية هذا القصص من جهتين، أولاًهما: جنس السيرة أساساً كفن أدبي له مزاياه وخصائصه التي لا ينافعه فيها جنس آخر، وثانيهما: موضوع هذا القصص، باعتباره مرتبطاً بوقائع سيرة النبي ﷺ، فمن خلالها تكشف لنا أهمية هذا النوع من القصص، والوظائف التي يمكن أن يحققها.

1. 1- أهمية فن السيرة:

يعود فن السيرة بنا إلى الماضي ليقدم رسالة تاريخية، ولكي يقوم بوظيفة اجتماعية، ويلعب دوراً عقلياً وموضوعياً، وعليه فإن هذا اللون من الأدب ذو أهمية بالغة من جوانب عدة، نذكر منها:

أ- الاستفادة من تجارب الماضي لإضاءة طريق المستقبل: فإذا جئت اليوم أعرض الصلابة في نفسية ابن خلدون، فإنما أحاول أن أنفذ إلى جانب من تلك التجربة الحية، وأضع مفهومها أوسع لمهمة الأدب، ذلك أن الأشخاص الذين يصلوننا بأنفسهم وتجاربهم هم الذين يبنون أمامنا الماضي والمستقبل، وفي هذا المعنى يقول الأديب الروسي مكسيم غوركي (1868-1936): "يجب تصوير الماضي من أجل توضيح معالم طريق المستقبل"¹، ومشكلات الإنسان متكررة، ويجب حلها في ضوء ما تم حلها به.

ب- استمداد المرجعية، وتجسيد فعل التراكم والبناء للمعري: وقد كانت النخبة العاملة في عصور الثقافة العربية الزاهرة تتأمل ذاتها وأحوارها من خلال تدوين التراجم والطبقات، باعتبار ذلك مرآة لها، وتعبيراً عن مرجعيتها في تحمّل العلم وتداوله وتوارثه في بيئات مفتوحة، تستند تراثيتها إلى التطور والإنجاز².

ج- معرفة الإنسان الفذ، والكشف عن مواهبه وأسرار عبقريته من ظروف حياته التي عاشها، والأحداث التي واجهها في محيطه، والأثر الذي خلّفه في جيله³، وفي هذا يقول العقاد: "ليس يعيننا منها سرد الحوادث ولا استقصاء البيان عن فترة من السنين،

1- ينظر إحسان عباس، فن السيرة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط2، (د.ت)، ص3.

2- ينظر محمد حسين بافقيه، إحسان عباس وأدب السيرة، مجلة العربي، الكويت، عدد 87، سنة 1993، ص65.

3- ينظر عبد العزيز شرف، أدب السيرة ص 3. 4.

ولما يعيننا من الحادثة التي نعرض لها ومن الفترة التي نستبينها ألقا وسيلة إلى مقصد واحد وهو: التعريف بالإنسانية في حال من أحوال العظمة والعبقريّة"¹.

د- أن يكون عنصرا حيويًا يمدّ بالطاقة للبيئة المعاصرة: يقول العقاد في حديثه عن محمد عبده: "فالذي نتحرّاه منه أن يكون عضواً من أعضاء قوّة حيّة قبل أن نتحرّاه جزءاً من فترات التاريخ، أو جزءاً من الخريطة الجغرافية"².

هـ- التنفيس عن رغبات النفس: فالكاتب حين يتناول السيرة النبوية إنما يرضي رغبات ذاتية، فيبي شخصيته من خلالها، ذلك أنه قد يجد لبعض المواقف والظروف الصعبة التي يعيشها ما يقابله في الشدة أو في صورة من صور الشبه في حياة محمد عليه السلام، فيشعر بنوع من اللامساواة أو التخفيف، وقد يجد فيها من الأسباب ما هو سبيل للخروج من ذلك الظرف الصعب الذي يعيشه³.

و- دراسة السيرة جزء من دراسة التاريخ، وتكمن أهمية دراسة التاريخ في أن له قيمة خاصة في الأمم صاحبة الرسالة للمستمرّة للتصلة، لأنه يعينها على فهم طبيعة الرسالة، والثقة في إمكانية تحقيقها على أرض الواقع كما تحققت في عهود سابقة، وليس هناك شاهد على إمكانية تطبيق رسالة الإسلام تطبيقاً واقعياً كاملاً خيراً من السيرة النبوية.

1. 2- دوافع الكتابة في السيرة النبوية وأهدافها:

أ- حاجة البشر إلى الأنبياء: يقول الله ﷻ: ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (البقرة 213)، لا سبيل إلى السعادة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاؤوا به، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأبى ضرورة وحاجة فُرِضت، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير⁴.

ب- ثراء مكان الاقتداء والتأسي في شخصية النبي ﷺ: بمعرفة هديه في المنام والطعام والشراب والنكاح، في الحل والترحال، في السلم والحرب، في التعامل مع ربّه ومع نفسه ومع المخلوقين، في التعامل مع المؤمنين والمخالفين، في كل ما يحتاجه البشر، مما يترتب على ذلك محبته ﷺ والاقتداء به، ذلك أن وصول إنسان إلى موقع القدوة في مجتمع من المجتمعات ليس غريباً أو خارجاً عن سنة الله في الإنسان والمجتمع، بل للفت للنظر هو أن تكون على نسق واحد في كل مجالاتها، ولما كانت القدوة لا بد منها في حياة الناشئة كان لا بد من تعلّم السيرة النبوية، لإعطاء الأجيال نماذج طيبة طاهرة، ففي السيرة نماذج حية للقادة العظماء، وفيها نماذج للتجار الناجحين، وللمرّين البارعين، وفي السيرة أسمى نماذج الصبر والثبات في التغلب على الصعوبات⁵.

1- عباس محمود العقاد، العبقريات الإسلامية، دار الفتوح للطباعة، القاهرة، (د.ت)، ص 171.

2- عباس محمود العقاد، محمد عبده، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، (د.ت)، ص 3.

3- فالكاتب الفرنسي أندريه مورو - A. Maurois - (1885-1917) مثلاً، أقرّ بأنّ الكتابة عن الشاعر بيرسي شللي - P. Shelley - (1792-1822) كانت تُرضي رغبة ذاتية في نفسه، حيث أنه انبعث في نفسه ألم أراد أن يخفف منه بالبوح والإفشاء، فوجد في سيرة شللي هذا المنفذ. ينظر إحسان عباس، فن السيرة، ص 54.

4- ينظر أبي عبد الله ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدى خير العباد، ج 1-2، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت)، ص 28.

5- ينظر رضا عبد الحكيم رضوان، إدارة الأزمات، مجلة الفيصل، السعودية، عدد 277، رجب 1420هـ، ص 67، 68.

ج- قطع الطريق على عمليات التشويه والتشكيك في سيرة الرسول عليه السلام، وتقديمها في صورتها الصحيحة السليمة، لتكون قدوة للمسلمين¹.

د- توضيح كثير من معاني القرآن الكريم وبيان أسباب النزول: ففي سورة "الأَنْفَال" حديث عن غزوة بدر، وفي "التوبة" عن غزوة تبوك، وفي "الحشر" عن جلاء بني النضير، وهناك آيات كثيرة في سورة "آل عمران" تتحدث عن غزوة أحد، وقراءة السيرة النبوية تعين على فهم هذه الآيات، فهي بذلك تفسير عملي للقرآن، إذ أنه ﷺ أعظم من فهم القرآن الكريم، كما أنه ﷺ لم يقدم تفسيره للقرآن في أقوال منطوقة -أحاديث نبوية- فحسب، بل من خلال حياته العملية كلها، فقد كان كما قالت عنه السيدة عائشة "قرأنا يمشي على الأرض"، وهذا كله يضمن عدم الغلو أو التعسف في فهم النصوص، ولا توفر السيرة النبوية تفسيراً دقيقاً للقرآن الكريم بالمعنى اللغوي فحسب، إذ حين نجمع النصوص إلى طريقة تطبيق النبي ﷺ لها، ندرك أنه ليس في إمكاننا فهم النصوص قرآناً وسنة فهما لغوياً مجرداً، بمعزل عن التطبيق النبوي.

ومثال ذلك قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبة 73)، ورغم أن حدود اللغة تقطع بأن جهاد الكفار والمنافقين على حد سواء، وأن المنافقين معطوفة على الكفار، غير أن تطبيق النبي ﷺ للنص، وامتناعه من قتل عبد الله بن أبي بن سلول زعيم المنافقين، ونهى ابنه عبد الله من ذلك بقوله: "بل ترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا"، ونهى لابن الخطاب لما هم بقتله فقال: "حتى لا تحدث العرب أن محمداً يقتل أصحابه"، وكذا حمايته لدماء المنافقين بعدم إفشاء سرهم للصحابة، واستئمان حذيفة بن اليمان وحده على ذلك، كل ذلك يضعنا أمام فهم مغاير تماماً للمعنى اللغوي للآية، ويقدم لنا تفسيراً عملياً يتعدى حدود اللغة المحددة، فمن الظلم للحقيقة إذن أن تتحول السيرة النبوية إلى أسطورة خارقة، ومن الظلم أيضاً لفترة نابضة بالحياة والقوة أن تعرض في أكفان للوتى².

1. 3- أهداف قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال ووظائفه:

معظم تعاريف القصة تشترك في كونها فن هادف، "فلم تعد في العصر الحديث فنا يقصد به ترجية الفراغ، أو مجرد التمتع والسمر لطرد الملل وجلب المسرة للنفس، بل أصبحت فنا له مكانته في الآداب المعاصرة"³.

وينهتج أحد الباحثين في أدب الأطفال إلى تعريف فن القص بقوله: "هو إبداع مؤسس على خلق فني، يعتمد بنيانه اللغوي على ألفاظ سهلة ميسرة فصيحة، بالإضافة إلى خيال شفاف غير مركب، ومضمون هادف متنوع، كي يفهم الطفل النص الأدبي، ويحبه ويتلوه، ومن ثم يكشف بمخيلته آفاقه ونتائجه"⁴.

1- ينظر محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة النبوية، ص 20.

2- ينظر محمد الغزالي، فقه السيرة، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط 4، 1964، ص 4.

3- علي نجيب عطوي، تطور فن القصة اللبنانية العربية بعد الحرب العالمية الثانية، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1982، ص 27.

4- أحمد زلط، أدب الطفولة: أصوله ومفاهيمه، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 4، 1997، ص 25.

وانطلاقاً من هذا فإن قصص السيرة النبوية للكتوب للأطفال ينبغي أن يرمي إلى تحقيق الأهداف التالية:

أ- ربط الأطفال بخالقهم: فعمق معاني الإيمان في قلوبهم، ويقرب فكرة الألوهية إلى أذهانهم الصغيرة بصورة مبسطة، ويحاول الإجابة عن أسئلتهم الملحة عن وجود الله وصفاته وقدراته، بالاعتماد على المعاني القرآنية، ويضع أيديهم على مواطن الخير والجمال في أسرار الخلق وفي أركان الإيمان. وقد حدد أحد للتخصصيين في أدب الأطفال تصوّراً واضحاً لأهداف الكتابة الدينية للطفل، ومن ذلك "غرس الإيمان بالله وملائكته، ورسوله، وكتبه، واليوم الآخر، وتعريفهم بدينهم الحق، إلى جانب تقديم القدوة الحسنة متمثلة بالأنبياء، وخاتم النبيين، والصحابة، والتابعين، وقادة المسلمين وعلمائهم"¹.

ب- ربط حياة الطفل بالقرآن: باعتباره أعلى هدية تلقاها الإنسان من ربه، فربط نصوص السيرة مشاعر الناشئة بكتاب الله ربط محبة وإعجاب وإيمان، وتدعو الطفل إلى قراءته وتدبر آياته والعمل بها في حياته اليومية، باعتباره كتاباً أحكمت آياته، فهو أعلى هدية يقدمها الإنسان لأخيه الإنسان.

ج- إبراز القدوة الحسنة وتمثل صفاتها وسلوكاتها: فالقدوة تلعب دوراً هاماً في غرس القيم والثلل العليا، وترك في نفوس الأطفال أثراً قوياً وعميقاً²، ولما كان الطفل لا يفرق بين حقيقة للقوء وللتحقق في الوجود ثبت أن أدب الطفل هو واقع الصغير في التو وشخصه في الآتي القريب، إذ لا يلبث إحراكه لما هو موجود أن ينمو، ليصير متمكناً في النفس، يطبع شخصيته، ويضبط مزاجه³.

د- ربط الطفل بالطبيعة ودعوته للتأمل فيها: من خلال وقفات مع كتاب الله للفتوح وللمبثوث في الكون، نتلمسها في مواقف قولية أو فعلية من سيرة النبي ﷺ بإخراج جميل، وأسلوب بديع، يساهم في إنشاء صداقة بيئية، تأخذ بأيدي صغارنا في رحلة جميلة عبر غابة الحياة، وتجعلهم يتلمسون أسرار المخلوقات ومواطن الجمال في الوجود، ليلهمهم إحساساً وشعوراً بالصدقة مع العالم من حولهم، وتنامي جوانب إيجابية في شخصية الطفل، وكل هذا بأسلوب فني بعيد عن المباشرة والأمر.

هـ- قصص السيرة النبوية للكتوب للأطفال وسيلة للتنمية الدينية والحلقية والثقافية، والارتقاء بالمشاعر والأحاسيس، فإذا كان الأدب عموماً نافذة نطل من خلالها على أنفسنا وعالمنا فلا بد أن تكون تلك الإطالة بالنسبة للطفل ترتقي به، وتحقق له نوعاً من التوافق النفسي والتكامل الاجتماعي⁴، فتعدّه إعداداً إيجابياً في المجتمع، بحيث يأخذ مكانه، ويشق طريقه، ويعرف دوره، ويكون مستعداً لتحمل مسؤوليته الاجتماعية.

1- عبد التواب يوسف، الطفل العربي والأدب الشعبي، الدار المصرية اللبنانية، 1992، ص42 وما بعدها.

2- أثبتت إحدى الدراسات التي أجريت للتعرف على مصادر المثل العليا للأطفال في ثلاث مدن أمريكية على عينة من 600 طفل تتراوح أعمارهم (6-20 سنة) أن نسبة تتجاوز 50% منهم كانت مصادر المثل العليا لديهم شخصيات تاريخية وزعماء. ينظر عفاف أحمد عويس، ثقافة الأطفال بين الواقع والطموحات، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط3، 1994، ص63.

3- ينظر فرحات عبد الكريم، أدب الطفولة وثورة الأنترنت، مجلة أعمال الملتقى المغربي الأول حول أدب الطفل، المركز الجامعي سوق أهراس- الجزائر، (عدد خاص)، 2004م، ص 83، 84.

4- ينظر مها الصامن، مفهوم أدب الأطفال وأهميته في عمليات التنمية الثقافية والاجتماعية، مجلة الفرات، العراق، عدد 59، 2007، ص78.

و- قصص السيرة النبوية للكتاب للأطفال يساعد بما فيه من أشخاص وأحداث على تقريب المفاهيم المجردة التي تهتم بها التربية، ويحرص عليها الدين الحنيف ليرزها بصورة مجسدة حية¹، فهو من العوامل التربوية العقلية التي تساعد على تقديم العقيدة الإسلامية والخلق السليم، بأسلوب قصصي يتناسب ومستوى إدراك الطفل، وبصورة متدرجة نامية²، وهذا لن يتأتى للكاتب ما لم تكن له معرفة واسعة بقصص الأنبياء وصحابتهم، ولا ينحصر تأثير القصة في نفوس الأطفال من خلال سردها أو قرائتها، بل إنهم كثيراً ما يقلدون أقوال ما يجري في القصة وما فيها من أحداث وسلوك وأخلاق، والقصة تحرر القارئ من واقعه وحدوده إلى عوالم أخرى فسيحة يرى ويسمع ويشاهد ثقات وصنوفاً كثيرة من الناس الذين يرى الطفل فيهم للثل والقذوة، إذ يمكنه بواسطة القصة الناجحة أن "يعيش مجالس النبوة، ويحضر أحداث السيرة"³.

ز- إذا كان من وظائف أدب الأطفال مساعدة الطفل على وعي معنى الحياة وعلاقته بالآخرين، فإن قصص السيرة النبوية من أنسب للضامين في تحقيق هذا الأمر إذا ما قلمت بشكل جيد، ويؤكد هذا ما حققته الشخصية المحمدية من تجسيد فعلي لها، فقد أدرك بعمق معنى الحياة، وأنها جديرة بأن تعاش وتغنم، وفهم نفسه بشكل أفضل وصحيح أدى به إلى فهم علاقته بالآخرين، فراح ينشئ علاقات إيجابية معهم، لأن الطفل بحاجة إلى هدية صحت انفعالاته، وإلى وعي مشاكله وصراعاته، وتلمس حلولها، وإلى تجاوز الحدود الضيقة لوجوده للتمركز حول ذاته، وبذلك يمكن للطفل أن يتقبل من وجود "تبعي" متأزم ومشحون برغبات طفولية، إلى وجود مستقل أكثر إرضاء وملاءمة لنفسه، فعالم الطفل غريب عجيب، يحتاج إلى الاكتشاف والتحول الدائب.

وما أكثر الكتابات التي تحمل "الصراع الداخلي" لدى الطفل، وهو صراع موجود ولا مفر منه، ويشكل جزءاً أساسياً من نفسية الطفل، وواجبنا أن نجعل الطفل يعي هذا الصراع، ويسيطر على العوائق، ونقدم له حلولاً يستطيع أن يفهمها.⁴

ص- لا يعني كتابة السيرة النبوية للأطفال أنها عمل تربوي فحسب، فهذه وظيفة تشارك فيها مؤسسات تربوية وتعليمية، وإنما يضيف بعداً جمالياً "ويفتح عقل الطفل ونفسه وقلبه للحياة، ويثري تجربته، ويرهف ذوقه وحسه، ويصقل مواهبه وملكات، ويفتح له نوافذ على آفاق واسعة وعوالم عجيبة جميلة تتجاوز واقعه ومحيطه، وتوسع خياله وتنشطه ليصبح قادراً على حل مشاكله، وابتكار البدائل لكل واقع لا يرضيه"⁵.

لذلك يفترض في الأعمال الأدبية ذات الطابع الديني للكرس لقيم أخلاقية أو ذات طابع حضاري موسوم بجمال الأخلاق ورفعته السلوك أن تقدم بشكل غير مباشر وعميق في الوقت نفسه، "فالتلميح أشد أثراً من التصريح، لأنه يخاطب العقل والعاطفة معاً، ويثير العديد من الأسئلة الداخلية، مع محاولة العثور على إجابة مرضية"⁶، ومن شأن ذلك أن يجعل الطفل يتوحد مع البطل في

1- ينظر عبد الحميد الهاشمي، الرسول العربي المربي، دار الثقافة للجميع، دمشق، (د.ت)، ص246.

2- ينظر خيرية حسين صابر، دور الأم في تربية الطفل المسلم، دار المجتمع للنشر والتوزيع، السعودية، 1405هـ، ص18.

3- محمد حسن بريغش، أدب الأطفال: أهدافه وسماته، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط3، 1997، ص212.

4- ينظر نجيب الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص126.

5- أحمد عبد السلام البقالي، تقنية الكتابة للأطفال، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1992، ص123.

6- محمد علي الهرفي، أدب الأطفال، دراسة نظرية وتطبيقية، دار الرسالة، القاهرة، 1996، ص51.

العمل الأدبي، أو تستدعيه روعة العرض للدخول في علاقة مع بنية النص دخولا يستلهم منه للغزى العميق الكامن وراء التشكيل اللغوي للنص، عبر إيجازاته أو تلميحاته التي من شأنها أن تمتع الطفل، وتجعل لقصص السيرة وظيفة خلقية وفنية مزدوجة.

2. مقومات السيرة النبوية الموجهة للأطفال:

2. 1- ما يتعلق بالسيرة النبوية:

تعتبر سير العظماء مصدرا ثرا ينهل منه الأدب ما يثري ساحته، وهذا الأخير يعتبر بدوره عنصرا أساسيا يضيف عليها حياة وحرارة ونشاطا، لما يمتلكه من أدوات فنية وجمالية، ولأجل هذه الأدبية يتعين في السيرة أن تتوفر على مقومات متعددة، منها ما هو مرتبط بالمادة الحكائية (وقائع السيرة)، ومنها ما يتعلق بنوع الخطاب (البناء السردي)، ومنها ما يشترط في كاتب السيرة، ومنها ما ينبغي أن تتوفر في المكتوب عنه.

2. 1. 1- المادة الحكائية:

إن التعامل مع وقائع السيرة النبوية على أهميته القصوى ينبغي أن يخضع لضوابط منهجية حتى لا تتحول إلى نوع من التسلية دون تحقيق الأهداف المرجوة منها، وأهم هذه الضوابط:

أ- توثيق وقائع السيرة وفق للنهج الإسلامي، والذي يقوم أساسا على إلام بعلمي الرجال والجرح والتعديل¹، وتنقيح للأحداث في ضوء أدوات مصطلح الحديث²، ويتعلق الأمر بالكذب والدراسات القديمة -خصوصا- لما في أغلبها من خرافات وإسرائيليات ووضعيات، وما تجدر الإشارة إليه هو سعي كثير من الدراسات الحديثة حول السيرة النبوية في توفير هذا الضابط.

ب- عدم تشويه الحقائق التاريخية: فلا تكون براعة الخيال على حساب صدق الوقائع التاريخية³، فالأخبار تنقل صوراً مقتبسة لما حدث، أو قد كتبها يد إنسان ويدرسها أيضا إنسان له عواطفه ومعاييره ومسلماته⁴، وهذا كله يجعل من غير الحكمة إسلاس

1- الجرح والتعديل: من مصطلحات علم الحديث، ويعني البحث في أحوال الرواة وأمانتهم وضبطهم.

2- مصطلح الحديث: يبحث في تقسيم الخبر إلى صحيح وحسن وضعيف وما تفرع منها، ثم بيان الشروط المطلوبة في الراوي والمروي والعلل والشذوذ، وكيفية السماع والضبط.

3- ومن مظاهر حرص جورج زيدان على الدقة التاريخية في رواياته أنه يشير إلى المراجع التي استمد منها مادته العلمية وكأنه يكتب مرجعا في التاريخ، وعن هذا الأمر يقول: "وقد عانينا المشاق الكبرى في استخراج حقائق تلك التواريخ من كتب القوم، فربما قرأنا المجلد الضخم فلا نستفيد إلا فقرة أو فقرتين، ولا تتم الحقيقة الواحدة إلا بمطالعة المجلدين أو الثلاث" ينظر تاريخ التمدن الإسلامي، جورج زيدان، تحقيق سيد مؤنس مؤسسة دار الهلال، القاهرة، 1968م، ص 10.

ويقول أيضا: "إذا جردت رواياتنا من عبارات الحب ونحوه، كانت تاريخا مدققا، يصح الاعتماد عليه والوثوق به، والرجوع إليه، مثل الاعتماد على أي كتاب من كتب التاريخ، من حيث الزمان والمكان والأشخاص". عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر [1870-1938]، دار المعارف، القاهرة، 1992، ص 102.

4- قد تعد "سيرة" ابن إسحاق، و"السيرة" التي بنى منها ابن سعد الجزأين الأولين من كتاب "الطبقات"، و"مغازي" الواقدي، و"السيرة" التي كتبها البلاذري في أول كتابه "أنساب الأشراف" أساسا للمعلومات المقررة المقبولة عن حياة الرسول وأعماله، أما ما كتب بعد ذلك، فإنه كان في أكثره جمعا لروايات مختلفة، أو قبولا لبعض الأساطير المتأخرة، وربما كان أيضا شرحا لبعض الألفاظ والمناسبات، أو نظما لأحداث أو تلخيصا لها.

القيادة للمؤرخ دون أيّ تحفّظ أو نظر أو مراجعة، فالمؤرخ إذ يرسم صورة لحادثة تاريخية مجتهد، يستخدم كل مركّبه العقلي العام، ومزاجه وخياله ومنهجيته، مما يحتمل لعمله الصواب والخطأ¹، وهو ما يُحمّل على العقاد في كتابته عن شخصيات الأعلام، والأمّر نفسه مع بعض دراسات المستشرقين وللتأثرين بهم، لما تمثله مدرستهم من تشكيك في وقائع السيرة من ناحية، ومن تفسير وفهم خاطئ للمواقف من ناحية أخرى، وكذا عدم اعتمادهم في الأعم الأغلب على منهج التوثيق الإسلامي الدقيق، بالإضافة إلى موقفهم الخاص من قضية الخوارق والمعجزات².

ج- التفريق بين الوقائع الحقيقية الكبرى للسيرة وبين زيادات المؤرخين التي تأتي بدافع تشكيل بنية، إذ كثيراً ما يقع التحريف والوهم والمبالغة في التفاصيل الدقيقة التي يسوقها المؤرخ، وليس في الخطوط العريضة للوقائع، والمشكل أن كثيراً من الذين يعتمدون أسلوب الحرفية في فهم التاريخ يهتمون اهتماماً مبالغاً فيه بتلك الجزئيات، مما يجعل الوهم والإيهام من أوثق حلفائهم، فكتاب السيرة بحاجة إلى قراءة وإعادة قراءة للمدونة التاريخية، حتى يتمكن من التمييز بين الواقعة ورؤية المؤرخ لها، فلا يستسلم لنظراته³.

ويؤكد أحد الدارسين على هذا الجانب فيقول: "يحتاج فهم ما يكتبه المؤرخ أن نحاول قراءة ما بين السطور وطرح عدد من الأسئلة المتعلقة بعمله، وسيكون في إمكاننا أن نتساءل عن مدى قدرة المؤرخ على ترك مسافة واعية بين رأيه الشخصي وبين الأحداث التي يؤرخ لها؟، أي محاولة تجنب الدمج بين رؤيته الشخصية للحدث وبين للعطيات والحشيات المكونة له، فمهما بذل المؤرخ من جهد من أجل تعريفنا بالماضي فإنه لن يستطيع إلا أن ينقل لنا صورة غامضة وملتبسة، وذلك لأن الأحداث الحكيمة هي في الغالب على صلة بالإنسان، وما كان كذلك فإنه سيظل بينه وبين الوضوح مسافات طويلة"⁴.

د- أن يستند الانتقاء على رؤية عامة حول الواقعة التاريخية لدى الأديب، حتى يتمكن من الترجيح بين الروايات بما يمكنه من بناء تصوّر متكامل عن الواقعة، فمن أخطر ما يتعرض له العمل التاريخي هو الانتقائية، فالروايات للتعديّة والمتضاربة أحياناً حول حادثة من الحوادث تملي على المؤرخ أن يختار منها ما يتناسب مع رؤيته العامة لتلك الحادثة، وحين تتوفر معلومات كثيرة حول واقعة ما فإن المشكلة لا تزول ولكن تبدى في ثوب آخر، وسيظلّ على المؤرخ أن يقوم بالترجيح، وإلا حنقه سيل الأخبار المجدبة التي لا يربط بينها أي رابط، وأن يكون الانتقاء على أسس موضوعية محضة بعيداً عن الخلفيات الأيديولوجية أو الذاتية، ويستند في عمله على مبدأ الإثارة والأهمية، موضوعاً وشخصيات ومكاناً وأحداثاً⁵.

1- عبد الكريم بكار، 149 بصيرة في التراث والماضي والتاريخ والمستقبل وطبائع الأشياء، دار الفكر، دمشق، (د.ت)، ص33.

2- ينظر محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، ص5 وما بعدها.

3- ينظر عبد الكريم بكار، 149 بصيرة في التراث والماضي..، ص32.

4- المرجع نفسه، ص37.

5- ينظر جيمس رستن الابن James Reston, Jr، الرواية والتاريخ، تر: حسام الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، الدوحة، مارس 2005، ص3.

وجيمس رستن (الابن): روائي وكاتب أمريكي، محاضر في الكتابة الإبداعية، جامعة نورث كارولينا، له أكثر من ثلاثين رواية ومسرحية، منها: "غاليليو: سيرة حياة"، "مقاتلون في سبيل الله: ريتشارد قلب الأسد وصلاحي الدين".

هـ- السيرة النبوية كانت سيرة عملية وليست نظرية، فمن أوضح الأمور لمن يتدبر نشأة الجماعة المؤمنة على يد الرسول ﷺ وكيف نمت وتطورت، وكيف عالجت مشاكلها الداخلية بين أفرادها والخارجية مع أعدائها، أن نهج الشرع كان عمليا، إذ لم يتقدم محمد ﷺ بوثيقة عمل لمن يخالفونه يشرح فيها وجهات نظره، ورؤيته للمستقبل، وإنما كان هادئا كثير الصمت يعمل ولا يتكلم، ومن الواضح جدا أن الأفراد ميزتهم للواقف ولم يتميزوا بالمعرفة الذهنية، ولا بأصوات العامة لهم، وللطوب من كاتب السيرة النبوية أن يركز على هذا الأمر، وأن يقف مع الأحداث يبين كيف كانت الدعوة جادة، ولم تكن يوما ما مفاهيم نظرية¹.

2. 1. 2- كاتب السيرة:

على كاتب السيرة أن يتحلى في كتابته بالصفات الآتية:

أ- للموضوعية والاعتدال في الحكم والتقرير عند تصوير حياة النبي ﷺ وهو في صراع متطور مع مستجدات الأحداث²، فقد يتبنى الكاتب في سيرته منهاج تحليليا أو تركيبيا، ولكنه إذا سار في هذه الطريق أو تلك عليه ألا يسخر الأحكام والأحداث وملابسات الحياة لعاطفته، فإن ازدياد العاطفة ينحرف بالسيرة عن وضعها الطبيعي، بل لابد له أن يبنى ما يكتبه على أساس متين من الصدق، بالاعتماد على التاريخ الصحيح، فإذا ضعف هذا العنصر لم تعد تسمى سيرة، لأن الخيال قد يخرجها مخرجا جديدا، ويجعلها قصة منمقة ممتعة، ويتجرد الباحث في السيرة النبوية من كل الأهواء الشخصية، ولا يخضع للأحكام المسبقة والميول للمذهبية والخزينة والفكرية، حتى تبقى السيرة نعا صافيا ينهل منه كل دارس على مرّ العصور، فهي بكر متجددة للاهتمام بها في كل موقف وحدث.

ب- قوة التحليل النقدي إلى جانب روح الحماسة، من خلال الفهم العميق لنفسية بطل السيرة وما يدور حوله من ملابسات، والعمق في إدراك المعاني الكلية، واستخراج النماذج الإنسانية العامة، واستنباط العبرة من كل الأحداث التي يعنى بدراستها³، وأهم ما يلحظه الكاتب في السيرة النمو والتطور والتغير في الشخصية مع مراحل تقدم السن، ولذلك كان من المحتم عليه أن يتبع التدرج التاريخي، وأن يلحظ بدقة تأثير الأحداث في الخارج والداخل على نفسية صاحبها، ومن واجب الكاتب أن ينمي عند القارئ مقدار الشعور بهذا الفرق، في طريقة إحيائية لبقّة.

1- من أمثلة البعد العملي في سيرته عليه السلام حصار المخلفين عن غزوة تبوك خمسين يوما ليتلقوا درسا عمليا، في عدم مخالفة أوامر القائد.

2- نجح ميخائيل نعيمة في سيرة "جبران" باستيفاء العناصر الفنية، وفيه اكتمل للسيرة وجودها في الأدب العربي الحديث، من حيث الغاية والتطبيق، فقد كتبه كاتبه حين رأى أن جبران كاد يكون بعد وفاته بعام أسطورة من الأساطير، وفي أغلب فصول كتابه يجعلنا نحس بجبران في صراعه مع الحياة إحساسا دقيقا، مستعينا بفهمه النفسي، فوضع في السيرة العربية ما وضعه ستراتشي في السيرة الإنجليزية. ينظر إحسان عباس، فن السيرة، ص 74.

3- يبرز في هذا استيفان اتسفايج، حيث تميز "بالعمق وإدراك المعاني الكلية واستخراج النماذج الإنسانية العامة، واستنباط العبرة من كل الأحداث التي يعنى بدراستها، ويمتاز ببراعة في وصف المناظر الطبيعية التي تجري في داخل إطارها الأحداث" ينظر عبد الرحمان بدوي، الموت والعبقريّة، مكتبة النهضة، 1954، ص 38.

ج- سعة الاطلاع، فإذا كان كاتب السيرة غير محتاج إلى قوة كبيرة من الخيال، فإنه لا يستطيع الاستغناء عن سعة الاطلاع، فكل رواية وأحيانا كل كلمة لها قيمتها في إتمام تصوّر، وفي تجلية السيرة التي يريد أن يكتبها، وينبغي عليه أن يسعى إلى جمع أكبر قدر من المعلومات عن حياة من يكتب عنه، وإن لم يستلزم هذا أن يضمّن ما يكتبه من سيرة كل هذه المعلومات، وتمثّل براعته ومقدرته وتفوّقه في القدرة على تقديم صورة متكاملة أقرب إلى الصدق التام وإلى الحقيقة.

د- التحلي ببقطة ذهنية مستمرة، مشفوعة بإرهاق خاص في التلوق والحلس والترجيح وحسن الانتقاء: كأن يحرص على إبراز البعد الحضاري على حساب الصراع السياسي¹، ذلك أنّ مهمة كاتب السيرة كمهمة أي فنان، هي أن يقرب ويعدّ، ويستبقي ويرفض، فما كل شيء يستحق التسجيل، ولا يكفي أن يكون له ما للمؤرخ من قوة ناقدة تعرف أين هو موطن الضعف، وتفرز الرواية للغرض من الرواية الصحيحة، بل لا بد له من إدراك ذوقي دقيق، يعرف به ما يحسن أن يقيه أو يفيه من الصحيح نفسه²، وعليه أن يمهّد في نفس القارئ لبعض الحوادث التي يقوم بها للترجم له إن كانت لا تناسب ومقاييس العصر من تغيير، وما يلحق للفهمومات من تفاوت مع الزمن، بمعنى أن يتمتع بالقدرة على تطويع للمادة التاريخية في سياق بناء فني.

هـ- الخيال اللازم لربط أجزاء السيرة في وحدة كاملة، وهو خيال يضع الكلمة اللازمة والحوار الضروري في كل موقف إذا قصر الواقع، ولا يهتم بالصيغة الأصلية للخبر إلا بمقدار، وهي مقدرة قصصية لا تستغني عنها السيرة حين يراد لها أن تكون أدبية، والتعليل والحوار يستند إلى براعة الكاتب في دقة رسمه لأجزاء الصورة، من خلال ضروب من الإيهام بأن الكاتب ينقل الواقع ولا يعدّله، بعيدا عن التكلف للبلاغة.

و- تنادي الطابع الأكاديمي منفردا، أو الاستناد كليا إلى مناهج المحدثين في التشرّيح والتحليل والتدقيق في الاستنتاج بعد عرض للتناقض للضطرب من الروايات لاستخلاص الحقائق منها، مما يعرض تاريخ الحياة كروايات تكس بعضها فوق بعض، وتغرق في أنائها شخصية الدارس، ويصبح الشخص للترجم له ظلا باهتا، لا تمدّه قوة من حياة، ولا تكشف عنه أصالة من نقد، مما يجعل السيرة جزءا من الحديث، تخضع لأحكام الإسناد خضوعا دقيقا، كروايات متفرقة مقيّدة يجمعها موضوع واحد، ويعوق الإسناد رواها عن التفسير والتحليل، لأن جهلهم منصرف إلى صدق الخبر³.

ز- الاطلاع على الدراسات النقدية وعدم الاعتماد فقط على ما قاله القدماء، فكاتب السيرة للتأخر مطالب بتجاوز المفهوم التقليدي في العناية بالترجم، من إعادة ما كتب من قبل فقط، في بيان إنشائي مفكك، وحماسة مفتعلة.

1- وفي هذا يقول عماد الدين خليل: "هناك خطأ كبير في تدريس مادة التاريخ الإسلامي، وهذا حين أعطينا تسعة أعشار الزمن الدراسي للتاريخ السياسي، وضيعنا الخناق على التاريخ الحضاري، وبما أن الحلقة الأضعف في تاريخنا هي الحلقة السياسية، والحلقة الأقوى هي الحلقة الحضارية، نكون كمن يبحر ضد نفسه بتضييق الخناق على الحلقة المضيفة القوية". ينظر عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، الرسالة، بيروت، ط9، 1985، ص35.

2- ينظر إحسان عباس، فن السيرة، ص78.

3- وهو ما فعله ابن إسحاق في السيرة حينما تخلص من الإسناد، فلقى انتقادا من مدرسة المدينة، وعلى رأسها مالك بن أنس، حيث جاءت السيرة لونا جديدا في التأليف، وأصبحت هي المصدر الأول لفهم حياته ﷺ وأعماله.

2. 1. 3- بنية الخطاب:

وتعني الطريقة التي يتبناها الكاتب في تشكيل السيرة، وذلك وفق الأسس التالية:

أ- الترام طريقة وأسلوب واضح في كتابة السيرة، كالطريقة الدرامية مثلاً، أو طريقة التفسير والشرح، وهو ما اهتم به نعيمة في سيرة "جبران"، وقد يمزج بين واحدة وأخرى من هذه الطرق، حسب ما تمليه عليه طبيعة الموضوع، إذ ليس من مرشد إلى الطريقة المثلى إلا حس الكاتب نفسه، فالأسلوب موطن للتفرد الذاتي¹، إذ قد تكون الحقائق التي يوردها كاتب السيرة معروفة مشهورة، فميزته الفارقة تتضح في طريقة قولها، وفي أسلوبه الأدبي².

ب- في البناء والطريقة يختار الكاتب التقسيم الذي يريده، فقد تقسم السيرة إلى مراحل، وقد يخرج الكاتب على هذا النوع التقليدي، كأن يبدأ من أحداث في منتصف حياة صاحب السيرة، أو حتى من تاريخ وفاته، فلا ينقص هذا كثيراً من حب الاستطلاع لمعرفة التدرج في حياته، بعد أن عرفت نهايته ابتداءً، فذلك جزء من حرية الكاتب التي لا ينازع فيها؛ وللكاتب أيضاً أن يرسم للسيرة طولاً يسمح باكملها، ولكن الطول في السيرة ليس شيئاً صارماً كما هو الحال في المسرحية والقصة، على أن الإتيان في تقدير الطول أمر هام أيضاً تحدده مواصفات الفئة للوجه إليها العمل، وهي هنا الطفولة على مراحلها المتعددة، وللتبانية.

ج- تقدير أدوار الشخصيات الثانوية في السيرة: إذ لا بد من بعث الحياة فيهم، وتحريكهم والسير بهم في مراحل الحياة، مع سير بطل السيرة نفسه، ولا يجوز الاستخفاف بهم، أو جعل أدوارهم طاغية تتجاوز ما قدر لهم في واقع الحياة³.

د- القدرة على تجسيد ملامح الصراع، إذ القيمة الحقيقية للسيرة إنما هي في الصراع، وفي مدى القوة التي تمنحها للقراء، وهي تقدم لهم مثلاً حياً من أنفسهم⁴، فيحرص على بيان عمق الصراع الداخلي أو الخارجي، بمعنى أن حياة كل إنسان تعريها فترات من الركود، فإذا كثرت هذه الفترات حتى طبع الحياة لم تكن للسيرة قيمة كبيرة، ولكن الحياة للبيئة بالصراع هي التي تستحق التسجيل والقراءة، ووقائع سيرة النبي ﷺ كفيلاً بتصوير هذا البعد.

هـ- الصياغة الفنية الجيدة، فلو سار كاتب السيرة على أساس تاريخي لوجد نفسه أمام معضلة، فالحدث قد يبدأ ثم يتم بعد ذلك في مرحلة زمنية متأخرة وفي مكان آخر، فإذا كثرت مثل هذه الأحداث ولا بد أن تكثر ارتبكت السيرة وتقطعت، ولكن البناء الفني يُنقذ كاتب السيرة، وذلك بالمزج بين القص والسرد التاريخي، فيعني بأسلوب التشويق، ويحرص على أن يعرض سيرته

1- ينظر إحسان عباس، فن السيرة، ص93.

2- مثال هذا الحقائق التي يعرضها العقاد في العبقريات، إذ هي معروفة من قبل الكثير من الناس، ولكن أسلوبه التقريري الحاد، هو الشيء الجديد الذي يملك به القارئ ويكسب ثقته، لأنه في أسلوبه يوحي بأن ما يقوله هو الصدق عينه، لقيامه على ما يعتقد أنه المقرر المرسوم من حقائق العلم والطبيعة الإنسانية.

3- ينظر إحسان عباس، فن السيرة، ص94.

4- المرجع نفسه، ص99.

في صورة فنية، بلغة سلسلة وتربط محكم، وهذا لا يتيسر دائما إلا إذا كان المترجم شخصا بارعا في القص، وكانت حياة المترجم له مليئة بالأحداث العظيمة¹.

و- تجنب أسلوب التقرير والمقدمات للطولة، وتعالى الكاتب في عرض شخصياته، فالصورة الإنسانية لا تبرز بالتقارير الحاسمة التي يرسلها الكاتب، ولا بالمقدمات التي يدبجها في أول كل فصل، ولا من وراء تعالي الكاتب نفسه في عرض شخصياته، ذلك التعالي الذي يجعله أسير الفذلكة الذهنية، فالبني إنسان عظيم، وعمر إنسان عظيم.. الخ².

ز- السير مع حركة النمو والتطور في البناء، فيقف على الحقائق يُعرضها ويرتبها ترتيبا خاصا، وهذا العرض والترتيب يكون فنيا وليس صناعيا³، إذ الشروط التي تتطلبها السيرة تُبعدها من الدائرة الفنية بينما يحاول كاتبها أن يقترب بها من حرم الفن دون إفراط⁴، وليست السيرة مجموعة من الأخبار للتأثورة أو المشاهدات، بل ينبغي أن يظهر فيها وحدة البناء والإحساس بالتطور الزمني، وتتبع مراحل النمو والتغير في الشخصية للمترجم لها.

ص- اعتماد الوضوح في الأسلوب، والعنونة في العبارة، وحسن العرض، وسلامة السرد، وإذكاء الحركة والحرارة في تصوير الأحداث والتجارب، والقدرة على صياغة للماضي، إلى جانب البراعة في وصف للناظر التي تجري في داخل إطارها الأحداث⁵.

2. 1. 4- المكتوب عنه:

ينبغي أن تتوفر شروط معينة في من يراد الكتابة عنه، ومن أبرزها:

أ- إعجاب الكاتب بالشخصية التي يكتب عنها، أو إثارتها لرغبة ذاتية لديه، فلا يكون الدافع للكتابة تجاريا، وبعض الحماسة للعمل نفسه يعث وقدة من الحياة فيه، ولذلك كان من الطبيعي أن لا يقبل الكاتب على كتابة أي سيرة في الوجود دون تمييز، فما كل سيرة تستحق أن تكتب، فقد يكتب للمرء سيرة رجل من النكرات، أو سيرة رجل عادي، ثم ينسى كتابه بعد صدوره بقليل.

ب- تجاوبها مع روح العصر ونزعات القراء، بأن يكون للحدث عنه ممن له اتصال بمجرى الحياة العادية¹، فالمتعة التي تبعثها القصة في نفوس القراء لا تحققها السير إلا إن كانت قائمة على شخصية لها مميزات الفارقة، سواء كانت تلك للميزات مستمدة من

1- ولعل أندريه موروا من أبرز من وقّق في هذا المزج حين كتب عن شللي، "وسحره تمثل في طريقة القص وفي التشخيص العذب، وإلى رزانة الأسلوب ورجاحته"، ينظر إحسان عباس، فن السيرة، ص 52، 53.

2- وهو ما يحمل عليه العقاد في كتابه "عبقريّة محمد"، إذ يستطيع القارئ العادي أن يشعر بوجود "محمد الصديق" مثلا من الحكايات البسيطة الواردة عن مواقفه مع أصحابه أكثر مما يحس به في فصل يكتبه العقاد عن هذه الناحية.

3- "حياة الرافعي" للريان ينقصه هذا العنصر الهام الذي يجب أن تقوم عليه السيرة، فقد جمع فيه الفصول عن الرافعي جمعا، وميز وحدد، فلم يرسم للرافعي صورة متدرجة مكتملة.

4- وهذا عكس تجربة ليتون ستراتشي، إذ أخضع السيرة لغير الغاية التي تفترض لها، وأعاد للأذهان مهمة السيرة عند أفلاطون، حين دون في محاوراته آراء سوفراط، وفلوطارخس، واتخذ من السيرة مطية لإظهار المبادئ السياسية التي يؤمن بها، فقد كتب سيرة الملكة إليزابيت، وقد كانت حياتها غير واضحة، فحين كتب عنها أطلق العنان لخياله وأفاض واسترسل، ودل إخفاقه على أن مبارحة الحقائق عند كتابة السيرة فيه كل الخطر على كيانها العام، ينظر إحسان عباس، فن السيرة، ص 87، نقلا عن فرجينيا وولف: The Art of Biography.

5- ينظر يحي عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، 1982، ص 38.

الأحداث الدائرة حولها، أو من طبيعة السلوك الخلقي والنفسي، وفي حياة كل شخص فترات جامدة متوقفة لا نشاط فيها، ولا يستطيع كاتب السيرة أن يظهر هذه الفترات، فإذا كثرت تلك الفترات الرأكة في حياة أحد الناس لم تكن حياته صالحة تماماً لأن تصاغ في سيرة، ولو كان شخصاً متألقاً في الحياة الاجتماعية، ولذلك كان لابد لنجاح السيرة من هذا التعاون بين الحيوية الخارجية للتصلة بالمجتمع، والصراع النفسي الداخلي، ولابد من بعض الثقلات والأعاصير التي تحتاج حياة شخص ما لتجعل منها موضوعاً صالحاً للسيرة، مثيراً للاستطلاع.

ج- أن لا يعدد للكاتب عنه من صنف البشر، فيحيطه الكاتب بسياج القداسة²، أو يتحدث عن العباقرة لا عن الناس العاديين، أو يختار للكتابة شخصيات لا يملك الشواهد الدقيقة عنها، فإذا أوجدها وجد الاضطراب، ونجم عن هذا كله أنه لم يكتب سيرة، وإنما كتب فصولاً بعضها يتميز بالنظر الدقيق النافذ، وبعضها يعتمد على قوة الذكاء في الفحص والتبرير، كما هو الحال في "عبرية محمد" للعقاد، وعن عبقرياته يقول سيد قطب: "هي ليست سيرة على طريقة السيرة العربية، وليست ترجمة على طريقة التراجم في اللغات الأوروبية، إنما هي صورة تتألف من بضعة خطوط سريعة حاسمة يبرز من خلالها إنسان"³.

د- تتبع الشخصية للكاتب عنها في تطورها وتغيرها، والملاحظة الدقيقة لتأثير الأحداث في الخارج والداخل على نفسية صاحبها: إذ الكاتب ليس مجرد مؤرخ ينقل ما سمع أو ما شاهد أو قرأ، بل لابد أن يتابع الشخصية في تطورها وتغيرها، ولذلك من الأفضل أن يتابع التدرج التاريخي⁴، وأن يلحظ بدقة تأثير الأحداث في الخارج والداخل على نفسية صاحبها.

هـ- الحرص على التصوير الفني، والعمق في تناول الشخصيات، وإخراج مشاهد مفعمة بالحياة، والعمق في تصوير الشخصية، وربط نموها بنمو العالم الخارجي، وتفاعلها معه⁵.

و- الحرص على تصوير الشخصية كما كانت عند معاصريها، لا كما تناقلتها فهم السلف⁶.

1- وفي هذا يقول جيمس راستن: "ولم أختار الكتابة عنهم فقط لأنهم استثنائيون، إذ إنني عمدت باستمرار إلى اختيار شخصيات من التاريخ كان لها بعض الاتصال بمجرى الحياة العادية، وهذه نقطة بالغة الأهمية عندي" جيمس راستن الابن James Reston, Jr، الرواية والتاريخ، تر: حسام الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، الدوحة، مارس 2005، ص 4.
2- فقد أصبح الرسول عند المتطرفين من الصوفية هو "الكلمة" (خلق أول كل شيء ومن أجله خلق كل شيء)، ولم تبق شخصية الرسول على وجه قريب مما صورته السير الأولى إلا عند المتمسكين بالحديث، فإنهم على شعورهم بعظمته، ظلوا ينظرون إليه من خلال ما صح من الأحاديث، وقد سار الأمر في الغرب على نحو المتصوفة، فأسوأ مراحل السيرة لديهم لما تسلمها رجال الدين في العصور الوسطى، فتحولوا بها إلى إبراز كرامات القديسين وخوارق أعمالهم. ينظر إحسان عباس، فن السيرة، ص 37.

3- سيد قطب، كتب وشخصيات، دار الشروق، القاهرة، (د.ت)، ص 315.

4- يرى ليون ادل أن "انتهاك التسلسل التاريخي وتصوير الأحداث ضمن حركة تتجه إلى الأمام وإلى الخلف، بل وتغوص في أعماق المستقبل، يجعل من الحدث فتاتاً من الحقائق". إحسان عباس، فن السيرة، ص 23.

5- بعض الشخصيات التاريخية إذا كان بينها صراعاً درامياً قد يعطي لها المؤرخ سطوراً معدودة أو حتى حاشية، أما عند الأديب فقد يخصه بصفحات حافلة، لتصوير الطبيعة الدرامية لهذه الشخصيات، فيركز على قيمها وآمالها واستراتيجيتها، وصفاتها الداخلية.

6- وفي هذا يقول إحسان عباس: "ومترجم غيره يقف موقف الشاهد لا القاضي، فليس له أن يحمل فكرة مقررة سابقة عمن يترجم له، وإنما من واجبه أن ينقل صورته إلى الخلف، كما كانت تلك الصورة معروفة بين معاصريه"، ينظر إحسان عباس، فن السيرة، ص 55.

ز- أن تؤثر الشخصية المكتوب عنها إلى درس أخلاقي: كأسباب النصر وأسباب الهزيمة¹، فقد عمق القرآن الكريم الإحساس التاريخي عند العرب حين قصّ عليهم قصص الأمم العابرة، وكان يهدف القرآن من ذلك إثارة العبرة في نفوسهم، ولم تكن هذه الغاية الخلقية موجودة لما بدأ المسلمون في كتابة السير، وقد بلّغوها بسيرة الرسول ﷺ، وكان هذا البدء يشير إلى درس أخلاقي عميق في حياتهم، لو شاعوا أن يتخللوا سيرة الرسول ﷺ لتلك الغاية، لكنهم كتبوا سيرته تحت مؤثرات أخرى، أبرزها عاملين: تشريعي (الحديث)، وتاريخي².

وعليه فلكي تكون السيرة ممتدة التأثير ينبغي أن تكون دقيقة، وأن تكتب بطريقة جيدة، وأن يكون كاتبها منصفاً، وأن تكون الشخصية المكتوب عنها قريبة إلى الأفهام، تقفز حية من فوق السطور، وتتصادم درامياً في إطار طبيعي حيوي، وتكلم وتحسّ وتحلم، ويكون لكفاحها بعض الأصداء العميقة التي تعكس روح العصر.

2. 2- ما يتعلق بالسيرة النبوية الموجهة للأطفال:

اعتباراً بتواصلية الأدب، فهو يحتوي على ثلاثة أركان أساسية هي: مرسل، ورسالة، ومرسل إليه، وهي في دراستنا تتمثل في الكاتب والنص والطفل، ومن خلال هذه الأركان نحاول بيان للمقومات الأساسية التي ينبغي توفرها في كل عنصر.

2. 2. 1- المرسل (الكاتب):

أ- حضور الوعي: فإذا كان بإمكان الكاتب الإبداع للكبار وهو على ضفاف اللاوعي، فإنه مضطر خلال كتابته للأطفال استحضار وعيه كاملاً، وأن يكون متمتعاً بخبرات الحياة ونظريات المعرفة المتعلقة بالطفل، حتى يتمكن من تشكيل سيرة تناسب الطفل شكلاً ومضموناً، لأنه لا يمكن له الاعتماد على قدرات المرسل إليه -الطفل- لاستيعاب الفارق بين العالمين، فالكاتب البارِع يجب أن يغطي كل مسطحات الخبرة والتجربة الإنسانية والوعي بالطفولة والإحساس بها، وكل أوجه الفهم والبصيرة بنفسية الصغار وطرق تربيتهم ليظهر أثر ذلك كله في قصصه³.

فالكاتب للأطفال تحتاج إلى دراسات معمقة في اللغة من زوايا معينة، وإلى دراسات أخرى في أصول التربية وعلم النفس ومراحل نمو الأطفال وخصائصها، وإلى معرفة عملية بالقواعد السليمة للكتابة الأدبية الفنية، مع خبرات عملية في دنيا الأطفال⁴.

ب- طبيعة الهدف: قد يكون أدب الكبار انطلاقاً من العصر السابق عبثاً أو جمالياً فيحقق متعة بحثة، لكن أدب الأطفال لا يستغني عن الهدف المتمثل في الإفادة التربوية أو العلمية إلى جانب للمتعة التي لا بد منها، وإلا فقد لنص ميزته الأدبية.

1- كأن يتوقف الكاتب على مفهوم النصر وأسبابه حين يتكلم عن غزوة بدر والأحزاب مثلاً، ويتكلم عن أسباب الهزيمة حين يتكلم عن غزوة أحد.

2- العامل التشريعي باعتبار سيرته جزء من السنة، وهي مصدر من مصادر التشريع، لذلك لا بد من جلائها بدقة باللغة، والعامل التاريخي باعتبار أن المسلمين ورثوا نظرة الجاهلية إلى التاريخ، وهي نظرة قائمة على "الأيام" وطبيعة الحرب وشؤون القتال، لذلك اهتم كتاب السير بمغازي الرسول قبل كل شيء.

3- علي الحديدي، في أدب الأطفال، المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1982، ص297.

4- هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978، ص157.

ج- تحديد المستهدف: إن الكاتب عندما يدع قصيدة أو قصة أو مسرحية فإنه يضع في ذهنه طبيعة المتلقي، وهكذا تبدأ عملية معقدة من الاختيارات الفنية الواعية واللاواعية، لأجل تحقيق أكبر قدر من مثالية التواصل في مقابل استعمال أقل قدر ممكن من الأخطاء بالنسبة للكبار، فإن للمتلقي في ذهن المبدع شريحة للثقفين وكل من يقرأ عموماً، أما في مجالنا هذا فإن الصعوبة تتجلى في دقة الفروقات بين مراحل نمو الطفل سواء في اللغة أم في القدرة على التذوق الجمالي، وعلى هذا الأساس يتوجب على الكاتب المعرفة الدقيقة بهذه المرحلة وخصائصها، وليس هذا فحسب بل عليه استيعابها وإعادة تمثيلها لأجل إنتاج نص ناجح.

د- تجاوز الفروقات والاستجابة لها في آن واحد معاً: فالأطفال ليسوا كلاً متجانساً، إذ بينهم الأغنياء والفقراء، والانتطائيون والانبساطيون والاجتماعيون، وفيهم شديد الذكاء، وشديد الحساسية ومتوسطها والضعيف، ومن هنا تنطلق عملية معقدة أخرى تتمثل في كيفية تجاوز الكاتب في نصه لهذه الفروقات والاستجابة لها في آن واحد، بحيث يستطيع كل طفل في تلك المرحلة أن يقرأها دون أن يجد فيها ابتعاداً عن عالمه الخاص وخصائصه الفردية.

هـ- المعرفة العميقة بمشاغل الطفولة الحالية: التي لا بد وأنها قد تغيرت عما كانت عليه عندما كان هو طفلاً، لأن الكاتب رغم كل ما قد يكون له من الخبرة في هذه الطفولة الحالية يظل يعود إلى طفولته هو، يلتقط منها الجوانب النفسية والسلوكية واللغوية، مما قد يعرض نصه لانفصام خفيف عن عالم الطفولة الحالية، هكذا إذن يواجه الكاتب ذاته لأجل استلزامها من عالم الكبار وهوومه، للانتقال بها إلى عالم الصغير وهوومه أيضاً، وفي هذا يقول أحد الكتاب: ولعل في مقدمة هذه العقبات أن الكبار هم الذين يكونون لهؤلاء الأطفال، وهم قد تجاوزوا هذه المرحلة، مما يتطلب منهم ليس فقط - استرجاع طفولتهم بملاسلها والعوامل الفاعلة فيها، ولكن عليهم أن يعايشوا طفولة اليوم، وما أكثر متغيراتها¹.

و- لا يكفي الكاتب أن يكون لامعاً في مجال الكتابة للكبار حتى يكون كاتب أطفال ناجح، لأنه يحتاج بالإضافة إلى الموهبة الحقيقية في اللغة من زوايا معينة، إلى دراسات أخرى في أصول التربية وعلم النفس ومراحل نمو الأطفال وخصائصها المميزة، وإحساس فني تربوي مرفه بما يمكن أن تتركه الكتابة في نفوسهم من انطباعات دقيقة، عن طريق إشباع احتياجاتهم في إطار للتثاقل والانطباعات السليمة²، فرغم ما قد يبدو من ضالتها إلا أنها ذات أثر باق فعال في تكوين شخصياتهم والتأثير عليها، فينبغي أن تلتقي عنده هذه الخطوط العديدة للتشابكة التقاء واعياً، تترج فيه الخبرة بالموهبة والدراسة³.

فالكتابة للطفل تعد من بين المطالب الصعبة التي لا تتحقق إلا لمن أوتي الانفتاح والاطلاع على عالم الطفولة بخصائصه المختلفة، بالإضافة إلى امتلاك قدرة لغوية تتناسب وقدرات هذا الكائن الصغير، لاسيما وأنه في طور التكوين والاكساب، كما أن مدرّكاته

1- سعد أبو الرضا، النص الأدبي للأطفال، دار البشير للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 1997، ص6.

2- مها الضامن، مفهوم أدب الأطفال وأهميته في عمليات التنمية الثقافية والاجتماعية، ص79.

3- أحمد نجيب، فن الكتابة للأطفال، دار اقرأ، بيروت- لبنان، ط2، 1983، ص12.

العقلية تتصف بالمرونة وتقبل كل الاتجاهات والأفكار، وتنطبع في ذهنه كل الخبرات، ويظل بعضها ثابتا إلى حد كبير طوال مراحل حياته المختلفة¹.

ز - كل أديب له ذاته للتميزة، وأسلوبه الخاص الذي يجعله مختلفا عن أقرانه من الأدباء، فالفن ابتكار وابتداع لصيغ جمالية مؤثرة، ولكل أديب طريقته للتفردة في الأداء، وهو تنوع مطلوب، كما أنه على الأديب الجد والبحث عن أشكال جديدة مؤثرة، تريد من قوة التأثير، وتواكب العصور، وتستخدم كل الإمكانيات والطاقات المستحدثة، كي يعبر أروع تعبير عن رسالته الخالدة².

ص - قد يكون الكاتب ممن درس التربية وعلم النفس، وأحاط بمراحل الطفولة وخصائصها النوعية، لكنه لم يتصل بالأدب ونماذجه بما يهيئه لبناء نصوص تحقق غايات أدب الأطفال ووظائفه، خاصة من حيث الامتراج بين القيمة الإسلامية والظاهرة الفنية امتراجا يتسلل إلى عقل الطفل ووجدانه، وقد يكون الأمر على عكس هذا فيكون عارفا بأصول الكتابة الأدبية لكن على جهل بمبادئ التربية، إذ ليس من السهل أن يمارس للبداع الكتابة للأطفال، لأنها تتطلب بالإضافة إلى تقنية الكتابة الحس التربوي³.

- مهمة الأديب شاقة حين يتصدى للكتابة من أجل الأطفال في الموضوعات الدينية، لأنه مكلف بتحقيق للزينة الفنية فيما يكتب ليكون أدبا، مع مراعاة مستوى الأطفال وقدراتهم ومدى خبراتهم، وتحقيق أهداف للموضوعات التي يختارها ليكون ما يكتبه واضحا ذا قيمة، قادرا على التفاعل مع تفكير الأطفال ووجدانهم، والأمر الأهم أن يكون على بينة ووضوح لأمر العقيدة وموضوعات الإيمان، حتى لا تصبح كتابته تردادا لكلمات أو مصطلحات، ولن يتحقق ذلك للأديب إلا باطلاعه الواسع على كتاب الله ﷻ، مع فهم لما ورد من تفسير الآيات الدالة على العقيدة، للثيرة لوجدان الطفل، لكي يرتوي من معينها، والأديب أيضا بحاجة للاطلاع على ما ورد في حديث رسول الله ﷺ، ثم في أقوال الصحابة والتابعين حول موضوع العقيدة، ليكون في وسعه اختيار ما يراه مناسباً لكل سن ومرحلة من مراحل الطفولة، ولا يكفي الأديب في هذا الشأن ما ورثه أو حفظه من بعض الآيات، ويمكن اختيار حوادث من السيرة النبوية أو التاريخ الإسلامي فيكون للموضوع صلة بالتاريخ⁴.

وخلاصة القول أن كتابة السيرة النبوية للأطفال أصعب بكثير من كتابتها للكبار، حيث يمارسها للبداع بقدر شديد من الوعي، وجرعة مركزة جدا من التخطيط، ودراسة الخيارات المختلفة لأجل إنتاج نص إبداعي ناجح يوازن بين الهدف القيمي والهدف الجمالي⁵، وهذا يتطلب أيضا معرفة بمراحل تطور هؤلاء الأطفال من حيث نموهم، ومتغيرات حياتهم، والمشاكل التي تواجههم، ودورهم في الحياة، والأهداف التي يراد توجيههم إليها، والوسائل التي تقرهم منها، واهتماماتهم وحاجاتهم، وغير ذلك مما يتصل بالمادة الأولية التي يقوم الكاتب بتوظيفها وتشكيلها.

- 1- نظيرة الكنز، فاعلية المؤثر التراثي وحركة المؤثر الغربي، مجلة الملتقى المغاربي الأول حول أدب الطفل، المركز الجامعي سوق أهراس- الجزائر، عدد خاص، 2004، ص 83، 84.
- 2- نجيب الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص 13.
- 3- عبد الله راجع، مجلة السانرون على الدرب، المغرب، عدد 1، ماي 1980، ص 9.
- 4- محمد حسن بريغش، أدب الأطفال: أهدافه وسماته، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1997، ص 197.
- 5- عادل محلو، أحمد زغب، دراسات في أدب الأطفال، شركة مزوار للطباعة والنشر، الوادي، 2004، ص 14.

2. 2. 2- النص (الرسالة):

أ- العنوان: ينبغي لكاتب الأطفال أن يتخير عنوانا جذاب اللفظ والتركيب، مراعى النغم للموسيقى، على أن تكون علاقته بالنص واضحة، لجعل الطفل في عالم متناسق منظم العلاقات.

ب- فضاء النص: ويعني توزيعه في الورقة، فهو من هذه الناحية يجب أن يخضع كبقية العناصر إلى قدرات الطفل اللغوية حسب مرحلته، فيكون للمراحل الأولى مثلا قصيرا جدا، في جملة أو جملتين للصفحة، على أن يترك المجال للرسوم المرافقة، كي تكمل تعميق الفهم.

ج- لغة النص: بحيث ينزع الكاتب نفسه من لغته ليدخل كون لغة الطفل البديع، ويوزع اهتمامه عبر مستويات النص اللغوية كما يلي¹:

- 1- المستوى الصوتي: يتجنب الأصوات صعبة النطق أو الاستعمال النادر، ويتحاشى الكلمات ذات الأصوات للتناثرة.
- 2- المستوى المفرداتي: وذلك بتفادي الكلمات الطويلة، والصيغ الصرفية للعقدة، وخصوصا مع الأطفال حديثي العهد بالقراءة.
- 3- المستوى النحوي: تجنب الجمل الطويلة إلا للضرورة، وتجنب الصياغات الجمالية للعقدة، وتوزيع الجمل بين الأساليب الإنشائية والخبرية بأنواعها.
- 4- المستوى الدلالي وللمعجمي: بحيث يتجنب الكلمات الغريبة، والمجازات البعيدة عن إدراك الطفل.

وللغة وظائف من بينها الجمالية والمرجعية، ففي أدب الكبار تغطي الوظيفة الجمالية على بقية الوظائف الأخرى، بينما يجب في نص أدب الأطفال الموازنة بين ما نأخذه من مرجعيتنا الأخلاقية والتربوية مع الحاجات الجمالية التي تحافظ على أدبية النص. وفيما يخص هذا الجانب إجمالاً لا يعني البحث عن نص سهل للأطفال، بل يجب أن يحوي النص بعض الكلمات والتراكيب الجديدة لإثراء لغة الطفل لكن بقدر معقول.

د- إذا كانت القصة تاريخية فالأحداث فيها نامية، ويزداد تعقيدها في عرض منطقي تدريجي للأحداث، فيدور الصراع حول الخير والشر ويتنصر الخير، كما تصف بدقة بطل القصة والأماكن، ويدور موضوعها حول القيم التربوية، أما إذا كانت القصة تميل إلى البعد الديني فإن أحداث القصة تدور حول القيم التربوية، وتثير الإحساس بالتفاؤل والأمل، كما يعتمد البطل على التفكير وحسن التصرف، وتسرد قصص الأنبياء ومعجزاتهم، وتحكي عن مساعدة الضعفاء وتثير التفكير والتأمل.

هـ- رسم صورة ناصعة عن الرسول محمد، من خلال تشخيص الوقائع التي تذكى روح البهجة والأنس في نفس الطفل، وتجنب للبالغ في تصوير الشر والفاحش فـ: "الذين يبالغون في تصوير الشر والفاحش والسئ من الأوضاع بحجة التغير منهنما والبعد عنهنما، إنما يزينون لضعاف النفوس طرافة التجربة، وقد يوحون محاولة تقليدها، وهو أمر بالغ الخطورة، وخاصة بالنسبة للأطفال، فالإشارة إلى الشر لا تعني الإيغال فيه، والغوص للغري في تفاصيله، ففوة الإرادة عند الطفل -الذي لم تكتمل تجربته ولم

1- ينظر المرجع نفسه، ص 11.

تحدد مواقفه - ضعيفة ناقصة، وقد يجره ذلك إلى متاهات واضطرابات تلوث صفحته البيضاء، وتوقعه في كثير من الحيرة والبلبل، فالذين يندفعون إلى الكتابة للطفل دون إدراك لعظم المسئولية، مثلهم كمثل الذي يقتحم حفل ألعام، ولا يعرف الممرات الآمنة التي يستطيع اجتيازها بسلام¹.

و- لا يكفي أن يعرف الطفل من خلال القصة المصورة أو السردية أن الصدق أمر محمود يكسب الإنسان الأصدقاء والسمعة الحسنة الجيدة والعاقبة الحسنة، بل يجب أن يعرف بشكل مباشر وبنص شرعي أن الصدق فضيلة يأمر الله بها ويحجبها ويثيب فاعلها، حتى يحقق الطفل ركن العبادة الأساس، وهو القصد أن يعلم ما يحبه الله فيفعله طلباً لثوابه وابتغاء مرضاته، ويعلم ما يبغضه فيجتنبه خوفاً من عقابه وسخطه.

ز- يشترط في المادة المعروضة أن تكون صحيحة دون عرض للمسائل الخلافية والأقوال الضعيفة والشاذة، ويفضل ذكر ما يؤيد للموضوع في جوانبه الأساسية من نصوص الكتاب والسنة دون إطالة واستقصاء، بشكل مختصر يحقق لدى الطفل الارتباط بمصدر التشريع الأساس.

ص- أن تكون أحداث القصة مشوقة ومنطقية في تسلسلها، خالية من التناقضات، يكتنفها نوع من العموض الذي يثير عقل الطفل ولا يوقعه في الحيرة، وهذا يقتضي تجنب الوعظ المباشر، والتكلف والمبالغة في المثالية لدى شخصيات القصة وأبطالها.

- يشترط في قصص السيرة والأنبياء أن تكون موثقة مع ذكر مراجعها، ويمكن إعادة صياغتها لتقريب معانيها للطفل، ويقتصر على الروايات الصحيحة الثابتة، وأن تكون جمل القصة قصيرة بعيدة عن الألفاظ الشاذة للطفل أو المعاني المركبة، مع تغيير أسلوب الكلام في أثناء القصة والتنويع بين أساليب الإنشاء والخبر.

- أن تكون ذات أثر بالغ في التنشئة والتربية، تزود الطفل بمختلف الخبرات الثقافية والوجدانية والنفسية والسلوكية، وتفتح الآفاق أمامه، وتثري خياله، وتنمي مهاراته وإبداعاته، وتمدّه بطاقة روحية ونفسية وفكرية كبيرة، وأن تكون واضحة منطقية سلسلة، بعيدة عن التشبث، خالية من تراكم العقد، مفهومة اللفظ والمعنى والسياق، والأهم من هذا أن تكون واضحة المهدف، وأن تخلو مما يعث الخوف واليأس والتردد في نفوس الأطفال، وأن تميل بهم إلى جانب الخير والفضيلة والثقة والإيمان، وأن تؤكد لهم انتصار الخير على الشر، والإيمان على الكفر، والأمل على اليأس، وأن يستخلص منها الطفل (شعورياً أو لا شعورياً) قيمة أو فكرة أو معتقداً، ينفعه في حياته، ويثبت في نفسه الآداب الأخلاقية المنبثقة من دينه أو عقيدته².

- من الأساسيات التي يجب التركيز عليها من قبل الكاتب أن تعكس الأعمال الدينية السمات الهامة للإسلام، وأولها كونه صالح لكل زمان ومكان، وكونه دليل شامل لعلاقة الإنسان بربه وبالآخرين وبنفسه، في عرض مبسط يتناسب ومستوى إدراك

1- نجيب الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص 122.

2- نجيب الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص 123.

الطفل، يركز فيه على الثوابت، ويعمل على غرس القيم، ومن أهم ما ينبغي أن تتسم به الكتابة الدينية للأطفال نزعها إلى التجديد؛ وهي نزعة مبررة مقبولة، فالمضمون الجيد يجب أن يقدم بأسلوب عصري وجديد وأن تكون الأمثلة مواكبة لما يجري حولنا.

2. 2. 3- المرسل إليه:

أ- التناسب العقلي والتربوي: وذلك بمراعاة القدرة على الفهم والتذوق حسب السن التي يكتب لها، إذ قد نجد بعض الأشكال الأدبية أو النماذج الفنية تتجاوز مستوى الأطفال الفكري، لعمق القضايا للتضمنة، أو لارتفاع أساليب التعبير، مما يتطلب مستوى قرائيا معينا، يرتبط بتطور الطفل الفكري، وخبرته المحتملة بالأماكن والناس والأحداث وللشاعر¹، ويكون التناسب التربوي مع المفاهيم التربوية والأخلاقية التي نسعى إلى غرسها، بعيدا عن بعض الموضوعات التي ينبغي أن نحميمهم ضدها، كصور الرعب والعنف والجريمة، وهذا ليس رفضا قاطعا وإنما بمراعاة مقادير توظيفها، وكيفيات صياغتها، خصوصا في المراحل الأولى من الطفولة.

ب- إن الهدف من قصص السيرة النبوية للأطفال مزدوج حسب وظيفة اللغة، أحد الهدفين إكساب الطفل ذوقا جماليا راقيا، والآخر ربط الطفل بمرجعيته أخلاقيا و انتماء، إذ هناك من لا يفرق بين البراءة والبلاهة، فيظن براءة الأطفال نوعا من قصور ذهني عن إدراك الأمور على حقيقتها، لكن الواقع خلاف ذلك، وفي هذا يقول سليمان العيسى: الطفل رادار عجيب، إنه يستطيع أن يلتقط ويحس ويدرك أكثر مما نظن بكثير².

وهكذا نجد لكل مرحلة عمرية طبيعة خاصة في تلقي قصص السيرة النبوية، مما يحتم على المرسل الذي هو هنا الكاتب، أن يراعي تلك الفروق، وأن يصمم على أساسها عمله الأدبي الموجه للأطفال.

ج- الفرق بين قصص السيرة للأطفال وغيره يظهر في المستوى اللغوي والأسلوبي، وفي الموضوعات التي يتطرق إليها، أو القضايا التي يلور حولها، وهذا يحتم على الكاتب أن يتعرف على عالم الأطفال، ويحدد للرحلة التي سيكتب لها، ويعرف قدرات الأطفال وخبراتهم فيها، ولا يحول ذلك أبدا دون تمتع ما يكتبه لأي سن من سني الطفولة بالمميزات الفنية المتمثلة في جمال الأسلوب، وسمو الفكرة، وطرافة الخيال، شريطة أن يكون ذلك في حدود الطاقات الذهنية والنفسية للأطفال الذين يكتب لهم، وفي حدود خبراتهم ومهاراتهم التي يعرفونها، وعند تحقق ذلك يمكن للأديب أن يكتب في موضوعات كثيرة ما دام الأمر يتعلق بالمستوى الفني والفكري في عرض للموضوع³، مع الحرص على تصوير الأفكار والإحساسات التي تتفق ومدارك الأطفال⁴.

د- من المعلوم أن سيكولوجية الطفل ليست بالعادية في تعاملها مع المفاهيم (القيم)، فهي شخصية تدرك وتستوعب وتقارن، ولكنها صعبة القبول لمفاهيم الحشو المعرفي والإجبار في القبول، فنحن نزرع الشوك في طريق أطفالنا بنص صعب ذو لغة عالية، وحكم موضوعية دون تحليل وتشويق، ونص خال من الصور، ونص فيه بلاغة واستعارة كثيرة، وترميز كبير لا يدركه الطفل،

1- سعد أبو الرضا، النص الأدبي للأطفال، ص26.

2- محمد العروسي المطوي، الطفل في الأدب العربي، مجلة الثقافة، الجزائر، عدد27، سنة 1975، ص89.

3- هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال: فلسفته، فنونه ووسائطه، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1987، ص72.

4- ينظر محمد حسن بريغش، أدب الأطفال: أهدافه وسماته، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1997، ص197.

نحن بحاجة إلى نص يمتلك مقومات فتح الأبواب لطفل اليوم على عالم الغد، وهذا يتطلب من الربّي أن يكون على دراية لمن يكتب، وما هي المراحل العمرية التي يكتب لها، والرسالة التي يروم الوصول إليها من خلال الكتابة، ومتى نزود الطفل بالمعلومة؟ وعلى لسان من؟ فالشخصية التي تحاور الطفل من خلال النص لها تأثير كبير في قبولها أو رفضها¹.

هـ- على من يتصدّى لكتابة قصص السيرة النبوية للأطفال أن يطلع على مقومات شخصية الطفل للمعرفية، والوجدانية والسلوكية، قبل أن يكتب لهم لرغبة في نفسه فحسب؛ لئلا يكون ما يكتبه في واد، والأطفال في واد آخر! وعليه أن يعي خطورة دور كل كلمة بل كل حرف يكتبه لهم؛ لأنّ الطفل مُتلقّ تنهمر عليه الرؤى والقيم كالمنطق لا يستطيع دفعها غالباً، ولا بُدَّ أن يخرج ما تشرّبه عقله ووجدانه عاجلاً أو آجلاً، ومن هنا ندرك صعوبة الكتابة للأطفال ومُتعتها.

و- بناء العقيدة وتأسيسها، وتعميق مفهوم الإيمان المرتبط بالوعي في نفس الطفل، إذ من المهم أن تتال هذه الموضوعات عناية خاصة من الأدباء في طريقة عرضها، وأسلوب تناولها، لكي يتسنى للطفل فهم عقيدته، وتمثلها في حياته، ولا يتحقق ذلك إلا إذا أحاط الأديب بموضوعه، وفهمه فهماً عميقاً واضحاً، مع درايته بما يناسب الطفل وما يتلاءم مع المرحلة التي يكتب لها، فضلاً عن فهمه للفطرة الإنسانية.

ز- ولا يصل الطفل إلى العقيدة بالاستدلال للمنطقي، أو بفحص الوقائع التي ترد إليه عن طريق حواسه، وإنما يتمثلها فيما يتمثل من أحكام وأفكار ومشاعر عن طريق والديه ومجتمعه، والطفل قادر على امتصاص كثير من العواطف والمعارف من هذه البيئات المحيطة به²، والكتاب وسيلة مؤثرة في حياة الطفل يستعين بها الوالدان والأساتذة والمجتمع لتصوير العقيدة، ولتقديم النماذج والصور التي تمنح الطفل هذه للشاعر والمعارف لبناء عقيدته، ولا سيما أن عاطفة التدين في الطفولة مظهر من مظاهر الخلق عند الأطفال، وما يذر في نفس الطفل في مراحلها المبكرة سيظهر أثره في حياته، وتختلط في أعماق الوجدان منذ أيام الطفولة.

وتنمية الإيمان في نفوس الأطفال لا تحتاج إلى تعقيد للمصطلحات وتقسيم أصحاب الجدل، وإنما تحتاج إلى الأسلوب القرآني الواضح الدقيق، الذي يثير في وجدان الطفل وفكره ذلك التطوع الواعي إلى قدرة الله عز وجل، ويربط بين مظاهر الكون وعظمة الله عز وجل وعلمه وحكمته وقدرته، ويفتح منافذ الوعي لمعرفة الله عز وجل.

- الأدب هو فن يقوم "على الاختيار والانتقاء والتأليف والتركيب والتصوير، سواء من حيث التشكيل اللغوي، أم من حيث البناء الفني، أم من حيث المحتوى"³، وما دام الأدب يقوم على تلك الانتقائية، فإن أدب الأطفال إن كان يلتقي مع أدب الكبار من

1- ينظر المرجع نفسه، ص 198.

2- سمية أحمد فهمي، وحدة لتنمية الشعور الديني عند الأطفال، الكتاب السنوي للجمعية المصرية للدراسات النفسية، القاهرة، (د.ت)، ص 53.

3- محمد الهرفي، أدب الأطفال، دراسة نظرية وتطبيقية، دار الرسالة، القاهرة، 1996، ص 12.

حيث الوظيفة، فإنه في حاجة ماسة إلى دقة متناهية، ومعرفة عميقة بحقيقة نفسية الطفل ومدى ميولاته ورغباته وحاجاته، ومدى قدراته التخيلية التي تتسجم مع ما يكتب له، إذا كنا نحن الكبار الذين نكتب له أدبه¹.

- ربط الطفل الدين بالماضي وتصوره بأنه بعيد عن واقعه للعاصر يؤثر سلباً على فكرته عن الدين، بل وعلى عقيدته، والفكرة التي يجب أن تكون في وجدانه أن الإسلام حياة وسلوك وواقع عاشه الأجداد ونعيشه نحن اليوم وستعيشه الأجيال القادمة، ولعصر الإبداع أهمية في كتابات الطفل الدينية، وينبغي التمييز بين ما يعاد صياغته من الكتب الدينية والتاريخية، وبين الأدب الذي تحكمه معايير وشروط محددة، أولها الإبداع أو للموهبة والإلهام اللذان يجب أن يدعما بالبحث والدراسة.

وعليه فتمت شروط فنية وموضوعية ونفسية واجتماعية يجب أن تتوفر حين نكتب للطفل قصص السيرة النبوية، فعلى المستوى اللغوي تتوخى البساطة والسلامة والوضوح، وعلى مستوى المضامين يركز على ما يجعل الطفل يحقق المعرفة والمتعة معا من خلال للموضوعات للبدعة، مع مراعاة الجوانب النفسية في تفاعلها مع ما يتلقاه من موضوعات تلك الأجناس الأدبية، بحيث يكون متناسبا مع ارتقائه فكريا وحضاريا في حدود مرجعيته الدينية، فبقدر ما يمثل الأدب بعدا حضاريا عاما، فإن خصوصية كل أمة من أبعاد قومية وتاريخية ودينية يجب أن تراعى، وهذا ما يجعل الكتابة للطفل مغامرة غير محدودة العواقب أحيانا.

3. خصائص الطفولة وأثرها في تلقي السيرة النبوية:

لكل مرحلة من مراحل النمو عند الإنسان خصائص تميزها عن غيرها، وتشكل في مجموعها وحدة مترابطة لحياته، والاطلاع على هذه الخصائص المختلفة في مرحلة الطفولة مثالا يفيد في معرفة ما يناسب هذه الفئة من موضوعات السيرة النبوية وشروط تلقيها، وهذا يؤدي إلى أن يُخاطب الأطفال بالمواصفات التي تناسبهم وتأخذ بأيديهم، "فالطفل يحتاج إلى مخاطبة خاصة بلغته الفريدة، خاصة في مرحلته العمرية التي تموج بالتغيرات الحادة للتلاحقة، وتحتاج إلى جهد خاص لمعالجتها، حتى لا يحدث لدى الطفل أي تشويش أو خلط نفسي"².

فهناك تساؤلات بخصوص شروط كتابة قصص السيرة للأطفال، منها: هل راهن الكاتب على طبيعة هذا المتلقي الصغير وحاجاته النفسية؟ هل حشد إمكاناته اللغوية والبلاغية والفنية للاستجابة لروح الطفولة بما تقتضيه من نزوع إلى الدهشة وللمغامرة والابتهاج؟ أم أنه رجح كفة القيم والتعليم والتثقيف؟ هل كان الرهان على بلاغة قصصية تتعامل مع الطفولة باعتبارها مرحلة مكتملة؟ أم كان الرهان على بلاغة تنظر إلى الطفولة باعتبارها مرحلة ناقصة ينبغي أن تتولاها بالرعاية والتقويم؟

3. 1- خصائص الطفولة:

1- بوجمعة بويغيو، أدب الطفل في ظل القنوات التلفزيونية، مجلة الملتقى المغاربي الأول حول أدب الطفل، المركز الجامعي سوق أهراس- الجزائر، عدد خاص، 2004، ص308.
2- ينظر السيد البهنسي، أدب الأطفال في النصور الإسلامي، جامعة عين شمس، القاهرة (د.ت)، ص146.

لقد آمن أغلب للفكرين منذ عهود بعيدة بأن الثورة التربوية يجب أن تنطلق في مرحلة الطفولة للبكرة، وأنها تمثل نواة النهوض والتنوير الشامل، وذلك لما تتميز به هذه المرحلة عن غيرها من مراحل حياة الإنسان، ولعل من أبرز خصائصها¹:

أ- أنها تشكل المنطقة العميقة في نسيج الوجود الإنساني، وفي هذا التكوين الأعماق تكمن نفائس الأمم وذخايرها الإنسانية وطاقاتها البشرية الأولية.

ب- وهي فرصة لنمو القدرات وتفتح المواهب، ورسم التوجهات المستقبلية، وفيها تشكل العادات والاتجاهات والقيم، وتنمو الليول والاستعدادات والأنماط السلوكية، يكون فيها الطفل فكرة واضحة عن ذاته الجسمية والنفسية والاجتماعية، بما يؤهله للتحويل إلى عنصر فاعل منتج يمارس دوره في بناء الحياة على ثبات وتكيف سليم.

ج- الطفولة حجر الأساس في بناء المجتمعات الحديثة، وهي الثروة الحقيقية لأي أمة، وثقافة الطفل هي البنية الأولى لثقافة الإنسان والمجتمع، حيث يحرص كل مجتمع متقدم على أن يتمتع الطفل بكل أسباب السعادة والرفاهية والتنشئة والتفكير السليم.

د- تمثل مرحلة الضعف للإنسان، يحتاج فيها وبشكل دائم إلى رعاية وعناية في كافة شؤونها، بدنيا ونفسيا واجتماعيا، والتوجيه الذي يتلقاه في هذا العمر يترك أثرا بالغا عليه، والطفل الذي يعيش أجواء مضطربة غالبا ما تؤثر في شخصيته عندما يبلغ، والأمر يتعدى أحيانا إلى الجوانب اللاإرادية، كطريقة الكلام والمشى ونغمة الصوت، حيث يتأثر فيها الطفل بوالديه والمجتمع بشكل كبير، كما يتشرب وبسهولة للمبادئ والأخلاق، مما يجعل لديه من السلّمات ما يساعد في إعطائه حصانة قوية ضد للمؤثرات الخارجية، وتتحول لديه عند الكبر إلى أصول وقواعد مبررة.

وقد اهتم الإسلام كدين بتكريم الطفولة للنسجمة مع مبادئه، من خلال ترسيخ القيم الأخلاقية والتربوية التي تفتتح على الإنسان طفلا وشابا وشيخا، لبناء جيل سليم نفسيا وصحيا وأخلاقيا، وللعمل على إعداد الإنسان لتحقيق معنى وجوده، كونه الخليفة على الأرض، لأجل ذلك فقد شرّع أحكاما عديدة فيما ينفع الولد ويعود على الأسرة والمجتمع بالنفع.

وعلى غرار الشريعة الإسلامية، فمع بروز التكتلات الدولية اهتم العالم بالطفولة رعاية وحماية، وعمل على إصدار الكثير من التوصيات والقرارات بشأنها منذ صدور الإعلان العالمي لحقوق الطفل 1959م². ومن بين الجهود التي بذلت في هذا المجال خلال العقود للتأخرة ما جادت به قرائح الأدباء من أعمال أدبية وفنية، إلا أن منها ما ظهرت فاعليته في هذه الشريعة، ومنها ما ليس فيه مما يمكن أن يوجه للأطفال إلا عنوانه وإخراج الفني، لما لوحظ فيه من مفارقة مع سمات هذه الشريعة وخصائصها.

1- ينظر أحمد فضل شلوش، تكنولوجيا أدب الطفل، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، 1999، ص28.

2- من المواثيق الدولية المهتمة بالطفل نجد ميثاق حقوق الطفل العربي 1984م، العام الدولي للطفل 1979م، إنشاء منظمة الطفولة العالمية اليونسيف، إنشاء الهيئة العالمية لبحوث أدب الأطفال، تخصيص الجوائز العالمية لأدب الأطفال، إقامة المعارض الدولية لكتب الطفل.

وعليه فلضمان تفاعل منشود مع قصص السيرة النبوية فإن ما يجب أن يعرفه الكاتب هو جمهوره الذي يكتب له، لأن كتابته في مادتها وطريقتها وشكلها ومضمونها تتوقف على نوع هذا الجمهور وخصائصه للمعينة، وأن يكون على وعي كامل بمراحل نموهم، وخصائصهم السيكولوجية التي تميز كل مرحلة.

3. 2- الاعتبارات التربوية والفنية في قصص السيرة للأطفال:

يشكل أدب الأطفال ظاهرة مركبة مرجعها الازدواجية الكامنة فيه، فهو حريص على توفر البعد الفني الأدبي من جهة، وعلى البعد التربوي النفسي من جهة أخرى، فلا بد من إقامة التوازن بين العملية الإبداعية والعملية التربوية، فهما جناحان، إذا افتقدنا أحدهما هوى الأدب الطفلي، ولا يعني جناح عن آخر.

3. 2. 1- الاعتبارات التربوية والسيكولوجية:

الكتابة للأطفال نوع من أنواع التربية على جانب كبير من الفاعلية والتأثير، وكاتب الأطفال هو مربّ بصورة غير مباشرة، والاعتبارات التربوية يجب أن تحلّ مكان الصدارة في أي عملية موازنة بين الاعتبارات، ولا يجب أن تصل الكتابة إلى أهدافها الفنية على حساب الاعتبارات التربوية أو النفسية.

ومن المهم ألا ننظر إلى الاعتبارات التربوية على أنها عوامل معوّقة تحدّ من انطلاق الكاتب، لأنّ العلم بما يمثل القاعدة الأساسية الأولى التي لا غنى عنها في تقديم صورة سليمة وناجحة عن سيرة النبي محمد ﷺ.

فالطفل في مراحله الأولى يتميز بفهم سطحي للأشياء المحسوسة، وقابلية عالية للتوجيه السلوكي العملي، إلى جانب تلقائية للمشاعر وعدم القدرة على السيطرة عليها، ويخضع لتغيرات أساسية في قدراته الإدراكية، ومنها القدرة المخدودة على عزل مثير من بين جملة للتثيرات الغامضة أو المعقدة، أو القيام بعمليات للمقارنة، فيتدرّج في ذلك دقّة وسرعة مع تصاعد السن، ولهذا ينبغي مراعاة هذه الخصائص في الرسوم والصور للوجهة للأطفال من حيث الوضوح والتبسيط.

كما تتحسن قدرة الأطفال على تنظيم المعلومات الإدراكية بصورة منطقية مع نضجهم، ويستطيع كبار الأطفال فرز قدر من المعلومات أكثر تعقيداً مما يستطيعه صغارهم، فقد دلّت العديد من الدراسات على الطبيعة النمائية للقدرة على تنظيم المعلومات، وعلى كاتب السيرة مراعاة هذا التدرج في توظيف أحداث السيرة.

وتتميز سنوات المدرسة الأولى بمرور الطفل على تحديات جديدة، منها محاولة تقييم النفس، وتقدير تقييمات الآخرين له، وبناء عليه فالقضية النفسية الرئيسة في هذه الفترة تتمثل في الأزمة بين التفوق والدونية، ويتطلب التطور السليم ازدياد الانفصال عن الوالدين، والقدرة على إيجاد القول ضمن مجموعة القرناء، والتعامل مع التحديات في العالم المحيط به، وكذا الحاجة إلى المثال والقوة الواقعية، وعند النظر إلى ميول الأطفال في قراءة ما يناسب من موضوعات السيرة ينبغي مراعاة جانبيين، الأول: رغبات الطفل وميوله الخاصة من خلال وقائع ومشاهد تربوية واجتماعية ضرورية بالنسبة إليه، الثاني: أهداف للربيع التي يوتون إيصالها، وهذا

الأمر يتأكد في عصرنا الحاضر، نظرا لتداخل مؤثرات إعلامية أجنبية على الطفل تحرفه عن الليول الطبيعية، وتوجهه لأشياء قد لا تكون في كثير من الأحيان مناسبة له أو تمثل حاجة لديه¹، وعليه فخلاصة الاعتبارات للمهمة في هذا المجال:

— أن يكون كاتب السيرة النبوية للأطفال عارفا بخصائص كل مرحلة عمرية، وبخاصة فيما يتصل بالنمو الإدراكي وما يحتاجه من مواد نفسية وتربوية.

— أن يحدد قبل أن يكتب الفئة العمرية التي سيكتب لها، إذ من المعروف أن الطفل يمر بمراحل مختلفة من النمو الجسمي والعقلي والعاطفي ولا بد من معرفة هذه المراحل²، لأن لكل مرحلة منها ما يناسبها من الموضوعات، وأشكال تقديمها.

3. 2. — الاعتبارات الأدبية:

كاتب السيرة النبوية للأطفال لا تغنيه اللوحة عن الدراسة، ولا تحل معرفته بأصول التربية وعلم النفس محل علمه بالأصول الفنية للكتابة، يقول أحد النقاد: "إن كتب الأطفال يجب أن تتحول إلى نوع من الفن الخالص، ورغم أنني رجل تربية في الأساس إلا أن إخلاصي للفن يحتم علي أن أقف ضد تحويل كتب الأطفال إلى منابر للوعظ والإرشاد"³، فقصص السيرة للأطفال تحتاج إلى فكرة واضحة، وإلى رسم دقيق للشخصيات، مع تشويق وحبكة وبناء سليم، كما يجب أن تتسم لغته بالبساطة والوضوح، وإيصال الفكرة بأقل عدد من الكلمات.

وتتعدد مستويات كتابة السيرة النبوية للأطفال من حيث المحتوى بحسب السن، حيث تكثر الرسوم وتقل الكلمات في السنوات الأولى، والأمر على عكسه في السنوات المتأخرة، وتتطور مادة القراءة للطفل لتشمل أيضا أسلوب الكتابة ونوعية المحتوى والأسلوب والصياغة وحتى العرض الفني، بتغير العمر والبيئة التي يعيشها الطفل، وينبغي مراعاة هذه الفروق كي يتقبل الطفل من مرحلة إلى التي تليها بشكل سليم.

وينظر في جرعات الخيال المناسبة للمرحلة التي تتوجه لها القصة، فالخيال كالدواء للمريض جرعة زائدة قد تفسد العلاج وجرعة ناقصة تحد من فاعلية الدواء، لذلك يشترط فيه ألا يخرج بالطفل نهائيا عن عالم المحسوسات التي قد توقعه فيما يعرف بأمراض الخيال العلمي الناتجة عن الإغراق للمسرف في الخيال، وبالمقابل لا يربط الطفل بعالمه الحسي بالطريقة التي تجعله ينظر إلى النص على أنه طبعة جديدة للواقع الذي يحيا فيه بمحسوساته فقط، فهذا الاعتبار ينظر فيما إذا كان "الخيال في الكتاب خصب وموجب، أم جاف وسالب"⁴.

1- ينظر سمير عبد الوهاب أحمد، أدب الأطفال: قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، ص194.

2- من خصائص الطفل النفسية كثرة الحركة وعدم الاستقرار، وفي هذا يقول النبي عليه السلام: "عراقة الصبي في صغره زيادة عقله عند كبره" رواه الترمذي، حب التقليد والمحاكاة، ظاهرة العناد، عدم التمييز بين الخطأ والصواب، سعة الذاكرة والقدرة على التذكر، الرغبة في التحفيز، حب اللعب والمرح، سعة الخيال، النمو اللغوي السريع، سرعة الانفعال وحساسيته.

3- سعد أبو الرضا، النص الأدبي للأطفال، ص125.

4- إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط2، 2004، ص105.

فالأدب ميدان للقيم الفنية قبل أن يكون ميدانا لقيم أخرى؛ تربية أو نفسية أو غيرها، وعلى الناقد الأدبي أن يخلص لهذه الحقيقة، وخاصة في ميدان أدب الأطفال الذي تسيطر عليه الوظيفة الإمتاعية للمشكلة لقوام أدبيته.

وعليه فإن القاعدة الذهبية في إيصال للضمون في فن الطفل خصوصا هي المعرفة من خلال اللذة الفنية، فالن يغرس معارفه في أعماق الوجدان على شكل قيم دافعة للسلوك، والطرح المحرد لا ينفذ إلى أعماق الروح كما تنفذ للمشاعر الجمالية.¹

وعلى الكاتب أن يتخير الألفاظ السهلة الواضحة، والعبارات التي تؤدي للمعنى دون تعقيد أو صعوبة، وأن يثير عباراته للعاني الحسية والصور البصرية، والأشياء المتحركة والمسموعة وللملموسة، وكلما كان الأطفال أصغر كلما كان اقتراب الكاتب من للماديات والحسوسات أولى، وابتعاده عن المحردات أفضل.

إننا بحاجة إلى بحوث ميدانية تحدد مستوى النمو اللغوي لدى أطفالنا، بل ثمة ضرورة ملحة لوضع أطر احتمالية للملكة اللغة، بمعنى أن الطفل يحتمل بل يرجح أن يدركها ويستوعبها، ثم يستخدمها، وهذه الأطر سنعنى أيضا بضرورة إضافة مراقبة لبعض الكلمات الجديدة الهامة في الميدان الذي يخوضه الكاتب، وذلك من منطلق إثراء معلوماته وإكساب مفرداته، وبالتالي تحديد معرفة الطفل في مجال تطوره، على أن أي محاولة للتحديد ستأخذ بنظر الاعتبار الذكاء الفردي أو البيئة التي يعيشها هذا الطفل أو ذاك.²

فنمو اللغة يكون خلال مرحلة ما قبل للدرسة سريعا جدا، ونجد ابن الخامسة يدي قدرة معقولة على الاستخدام اللغوي، ويمتلك ذخيرة ضخمة من المفردات، إلا أن ذلك النمو يكون في بداياته فيما يتعلق بالتركيب اللغوي والمفردات والفهم.

وعلى صعيد المعرفة الصرفية، ينبغي تجنب صيغة المجهول، لأنها أكثر تعقيدا من صيغة للمعلوم سواء من الناحية الإدراكية أم الصرفية، فقولي مثلا (ولدت آمنة محمدا) أوضح وأنسب من (وُلد محمد من آمنة).

إن اللغة مرآة تعكس في أمانة تامة ظواهر الوجود والأشياء وللتصورات، فلا بد أن توجد في لغة الطفل نفس القوانين الحركة للتفكير والطبيعة والحياة، ومن ثم فالبعد اللغوي في التنشئة معني بإيجاد نوع من التماثل بين قوانين اللغة وقوانين العقل الخالص.

واللغة هي الأساس لخروج كوامن الفرد وطاقاته من حيز القوة إلى حيز الفعل، حتى أن قوى العقل والخاطر والفكر والإدراك والقرينة والذهن هي حبيسة ما لم ينفث فيها الكلام معال الوجود، ومن ثم فالبعد اللغوي في تنشئة الطفل يحره من القيود الطبيعية التي تحوطه وتحرره من السكون إلى الحركة.³

وترداد فعالية اللغة في عملية التنشئة بوصفها تفضي إلى إقامة معادلة التواجد والتفاعل بين الفرد والجماعة، وعليه تتأثر التنشئة بمختلف أبعادها بالمحيط اللغوي للطفل، فالرسالة اللغوية للموجهة للطفل إذا كانت تتضمن بنية لغوية صحيحة وتشتمل على تعابير طبيعية تصبح أكثر فعالية في توليد الاستجابة لديه، وتقل احتمالات ردود فعل الطفل واستجابته بمقدار ما تتضمن العبارة من

1- ينظر سمير عبد الوهاب أحمد، أدب الأطفال، قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، ص 198.

2- المرجع نفسه، ص 199.

3- سمير عبد الوهاب أحمد، أدب الأطفال، قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، ص 200.

كلمات لا معنى لها عنده، وعليه فقد تزايدت الدعوة في الوقت الحاضر إلى الاهتمام بالمحيط الذي ينشأ فيه الطفل لغوياً، والمسؤولين عنه في مؤسسات التنشئة والتعليم، وخاصة للمراحل الأولى وقدراتهم اللغوية ومدى وعيهم بكيفية تنميتها¹.

فالكتابة للأطفال تستلزم تخصصاً وممارسة ومعايشة، وتستلزم متابعة ودراسات متعمقة في اللغة وفي أصول التربية وعلم النفس، وإلى تبين مراحل الطفولة وخصائصها، وقبل هذا معرفة بالقواعد السليمة للكتابة الأدبية، وإدراك الآفاق التي يخلق فيها الأطفال ومدى ملائمة للمعاني لقاموسهم اللغوي للمتقن بعناية وتصميم.

3.3 — مراحل الطفولة وأثرها في تلقي السيرة النبوية:

لم يتفق علماء علم النفس على تقسيمات موحدة لمراحل نمو الأطفال، كما لم يتفقوا على بدايات هذه المراحل ونهايتها، فمراحل النمو المختلفة تتداخل زمنياً، وتختلف ما بين الذكور والإناث، لدى "يجب أن نراعي مراحل الطفولة التي قد تحدّد تحديداً نسبياً، نظراً لاختلاف البيئة الجغرافية، والاستدلالات الذهنية والعقلية والنفسية، وطبيعة احتياج الأطفال في ضوء ما تحدده متطلبات حياتهم المتعددة والمتنوعة في الوقت نفسه"². ولذلك فإن مراحل الطفولة هي مراحل تقديرية، بل يمكن أن ترتفع في مجتمع سنة أو ستين، وتنخفض في مجتمع آخر.

ومن خلال استقراء القدرات العقلية للطفولة المبكرة (3/5 سنوات) تبين أنه لا يمكن تقديم قصص السيرة بالمعنى الفني للأطفال هذه المرحلة "حيث إن تتبع خط سير قصة معينة قد لا يبدأ قبل حوالي سن الخامسة"³، بينما يمكن أن يتلقى الأطفال قصص السيرة ويتفاعلوا مع أحداثها خلال المراحل اللوائية، على تفاوت في مقومات الأشكال والموضوعات، تبعاً لخصائص كل مرحلة.

3.3.1 — مرحلة الخيال المنطلق من (6 — 8) سنوات:

خلال هذه المرحلة يتعد الطفل عن أمه تدريجياً، فيحاول أن يتبنى مفهوماً عن ذاته وتقديرها، ويتحسّس استحسان أقرانه، ويميل لتقويم ذاته في إطار ذلك، ومفهوم الطفل عن ذاته يشتق عبر ظاهرة (الاستحسان للنعكس) عن الآخر، وهنا ينمو لديه إحساس بالاستقلال والاعتداد بشخصيته لدرجة العناد أحياناً، لذا فإن كاتب السيرة يختار ما يعلي من استقلال الشخصية إنساناً أو حيواناً، وتحقيقهما لما يريدانه بفضل تفكيرهما وقوتهما ووصولهما إلى غايتهم اعتماداً على مقدرتهما، بما يرضي عند الطفل خيال الاستقلال عن الأسرة، ويدعم شخصيته، لأنها تتوافق مع مرحلة وثوقه بنفسه⁴.

1- المرجع نفسه، ص 201.

2- هدى محمد قناوي، أدب الأطفال، مركز التنمية للنشرية والمعلومات، مصر، 1985، ص 50.

3- سعد أبو الرضا، النص الأدبي للأطفال، ص 30.

4- ينظر سعد أبو الرضا، النص الأدبي للأطفال، ص 34.

وفي هذه المرحلة يتقبل القصص التي تشبع لديه حب العدل وتطبيق القوانين، كما تزداد حساسيته للنقد، مما يجعله يستريح لأحداث السيرة التي يعاقب فيها للذنب، ويثاب المحسن¹، بل إن للكافّة على الأفعال السويّة التي تبرزها للطفل قصة من القصص مما يستثير لديه فعل الخير، وفي سيرة المصطفى عليه السلام نماذج كثيرة تحقق ذلك الإحساس².

واقتران الفكرة بالصورة التي توضّحها مما يمتّع الطفل ويستحوذ على اهتمامه وانتباهه في هذه المرحلة، وينبغي أن تستقلّ كل صورة بفكرة، بحيث تكون كاملة وليست جزء من صورة، حتى تعطي انفعالا واضحا محددا، "ولاشك أن مصاحبة الألوان أو الصور أو الرسوم للكلمات في الفنون الأدبية المختلفة مما يستثير اهتمام الأطفال، ويجعلهم يعنون بالتفصيلات، كما أن الصور تنطبع في أذهانهم وبها يعنى النص، ويتضاعف إيجازها"³، وذلك كلما كانت الصور أكثر اتصالا بحياتهم، كما أن الكتاب للمصور يحقق "التوازن العادل بين النص والصورة، إذ يدعم كلاهما الآخر، بالإضافة إلى أن التعليم والتمتع بالصورة جزء من القصة، بل إن الأطفال قد يستطيعون قراءة معنى الصور بدون أية كلمات، كما يعين تصوير الأفكار الأطفال على إعادة صنع ما اخترنوه من صور، وبعض الكتب المصورة تقود لموضوعات الفن وكتب الأطفال في مستوياتها المختلفة وتفسيراتها"⁴.

والقصة الملائمة قد تتكوّن من حدث بسيط ليشي بعقدة بسيطة وسهلة أيضا، ورغم تقبل أطفال هذه المرحلة لبعض القصص التاريخية لكنهم قد لا يدركون الفهم الدقيق للتسلسل الزمني إلا في نهايتها، ورغم إدراكهم للمواقف للتناقضة والمتباينة⁵، فالدراسات تشير إلى أن القدرة على تتبع الأدوار والأحداث المرتبطة بالتاريخ عند الأطفال لا تكتمل إلا بعد تخطيهم سن التاسعة، وعلى هذا الأساس فالأفضل في هذا النوع من القصص قبل هذه السن أن يقدم ما هو مرتبط بمظاهر حياتية عاشها بطل السيرة، والتي تقوم على عنصرين: الليل إلى التاريخ وتفهم روحه، وفهم الشخصية الإنسانية، وتأكيد أهميتها للحياة الإنسانية في المجتمع⁶.

والطفل في هذه المرحلة قد يقارن نفسه بالراشدين في بيئته، فيشعر بضعف الحيلة، وقلة المعرفة، لكنه يتوق إلى امتلاك عناصر القوة والاعتدال التي تضمن له التفوق، والقيام ببلور الكبار، ومن ثم فإن القصة التي تكشف أشخاصها عن تفوق الصغير، ونجاحه فيما لا ينجح فيه بعض الكبار مما يرضي هذا الإحساس بالتفوق لديه، فينجذب إليها، ويتسلل ما فيها من قيم إلى أعماقه، وفي وقائع السيرة النبوية ما يحقق هذا الشعور.

وإعجاب الأطفال بقصص الحيوان في هذه المرحلة مستمر، إلا أن خيال التوهم يخفّ عندهم فيها، مع بقاء تفكيرهم حسيّا إلى حدّ ما، أمّا المجرّدات فيمكن تقديم نماذج طيّبة تمثل الصفات الخلقية النبيلة وللبادئ الاجتماعية الحمودة، ومن خلال هذه النماذج ومن خلال القدوة الحسنة نوجّه ميولهم ورغباتهم.

1- ينظر المرجع نفسه، ص37.

2- ينظر المرجع نفسه، ص33.

3- المرجع نفسه، ص20.

4- المرجع نفسه، ص20.

5- المرجع نفسه، ص36.

6- كمال الدين حسين، فن رواية القصة وقراءتها للأطفال، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999، ص 61.

وتتمو قدرة الطفل على التركيز والانتباه في هذه المرحلة تدريجياً، حيث تبدأ قدرته على فهم اللغة المكتوبة محدودة في نطاق ضيق¹، ثم تتسع إلى أن يكتسب مهارات عدة في القراءة، بل ويستطيع الاستغراق فيها في نهاية المرحلة، وقد تصبح هواية ممتعة له، وهنا تصبح بعض القصص البسيطة خير زاد يقدم له.

ويمكننا أن نضيف إلى كتب هذه المرحلة كلمات وعبارات بسيطة تثيري قاموس الطفل، حيث تشير إحدى الإحصاءات إلى أن قاموسه يبلغ نحو (2600) إلى (3600) كلمة تقريباً، والكتابة للأطفال هذه المرحلة أشد صعوبة من الكتابة للمراحل العليا، ولهذا كانت القصص التي وُضعت لها قليلة، ولعل خطورتها من الوجهة العقلية والعاطفية وغموضها زادا تلك الصعوبة².

3.3.2 — مرحلة البطولة (9 — 12) سنة:

اهتمام الطفل بالقراءة يزايد لا سيما الكتب التي تتصل باهتماماته كقصص الخيال التاريخي، وطفل هذه المرحلة قد يكون أكثر خروجاً عن خط الأسرة، والإحساس بخيال الاستقلال عنها، كما يوسع من علاقاته وانتمائه، ومن ثم فهو بحاجة إلى قصص يزوده بالفهم السليم للعلاقات الأسرية ومتغيراتها، كما يساعده على اختيار القدوة والرفيق المثالي، تعويضاً عن ابتعاده الأسري، وتأكيداً لاعتماده على نفسه، كما يزوده بكثير من قيم الدين التي تناسب هذه المرحلة، والتي تتصل بالعبادات والمعاملات، ومصارف الزكاة، وعلاقات البيع والشراء³.

وفي هذه المرحلة يميل الطفل إلى البطولة والغامرة، والنافسة والشجاعة، ولذلك فهو بحاجة إلى أدب يشبع هذه الميل، لكن يجب أن يكون ذا أهداف إنسانية، وقيم شريفة، تركي إحساسه بالأخلاق⁴، وتعينه على التوافق مع بيئته ومجتمعه وأمه، وللناسب أن نختار لهم من هذه القصص ما له معنى سليم، وما خلا من الطيش والتهور، وأدبنا العربي والإسلامي غني بقصص البطولة والشجاعة كهجرة الرسول إلى المدينة، وفروسية عترة، وحروب صلاح الدين والظاهر بيبرس وغيرهم.

وتسمى بمرحلة للغامرة والبطولة، إذ يبدأ الأطفال في هذه المرحلة بالانتقال من القصص الخيالية إلى القصص القرية من الواقع، فيزداد إحركهم للأمور الواقعية، كما يزداد ميلهم إلى الجمع والادخار والتملك، مما يستلزم رعاية وتوجيهها، ويزداد أيضاً ميل الطفل إلى المشاركات الجماعية، وتظهر غريزة للقتال قوية، ويتعزز حب السيطرة والليل إلى الأعمال التي تظهر فيها للنافسة والشجاعة⁵.

وينبغي أن تتوفر في هذه القصص الدوافع الشريفة والغايات النبيلة ليخرج الطفل منها بانطباعات خيرة سليمة تبعده عن أعمال التهور واللصوصية والعنوان؛ ولا سيما هذه المرحلة التي يظهر فيها ميله إلى الاستهواء؛ وهو تقبل آراء الآخرين ممن يعجب بهم، أو

1- علي الحديدي، في أدب الأطفال، ص 132 وما بعدها.

2- ينظر عبد الفتاح أبو معال، أدب الأطفال: دراسة وتطبيق، دار الشروق، الأردن، 1984، ص 12.

3- ينظر سعد أبو الرضا، النص الأدبي للأطفال، ص 37.

4- ينظر ذكاء الحر، الطفل العربي وثقافة المجتمع، دار الحداثة، بيروت، 1984، ص 47.

5- المرجع السابق، ص 39 وما بعدها.

يقدّرون نقد أو مناقشة، ومما يلاحظ على طفل هذه المرحلة أنه يميل إلى حب الظهور والتمثيل، ويمكن من خلال هذه الليول تعويده كثيراً من النواحي الاجتماعية الصالحة¹.

وفي نهاية هذه المرحلة يزداد الاختلاف وضوحاً بين البنين والبنات في هذه المجالات؛ ففي الوقت الذي يُعرم فيه البنون بقراءة قصص للغامرات والفروسية تميل البنات غالباً إلى القصص التي تصف الحياة المنزلية والأسرية. أما من حيث المقدرة اللغوية فتقسم هذه المرحلة إلى قسمين:

مرحلة القراءة الوسيطة (8 - 10 سنوات): والتي تتوافق مع السنوات المتوسطة من المرحلة الابتدائية، حيث يتقدم الطفل تقدماً ملحوظاً في القراءة والكتابة، مما يمكننا أن نقدم للطفل قصة كاملة مزدانة بالرسوم².

والكتابة القصصية لهذه المرحلة عنصر أساسي، يتحتم علينا فيها الترام للبالغة البالغة للمستعملة لكي تكون بسيطة سهلة متصاعدة، ويبلغ القاموس اللغوي لدى الطفل فيها نحو (5400) كلمة تقريباً³.

مرحلة القراءة المتقدمة (10 - 12 سنة): حيث يقطع الطفل شوطاً كبيراً في طريق تعلم اللغة، ويتسع قاموسه اللغوي اتساعاً كبيراً، وتتوافق هذه المرحلة مع السنوات المتأخرة من المرحلة الابتدائية، ويصل القاموس اللغوي لدى الطفل إلى (7200) كلمة، ويجب أن يرقى البناء الفني للقصة بما يتناسب مع هذا النمو، وبما يعلي من إدراكهم للجمال الفني⁴.

3.3.3 — مرحلة المخالية (13-15 سنة):

يميل الطفل في هذه المرحلة إلى القصص التي تتمرّج فيها للغامرة بالعاطفة، فهي بذلك دقيقة وحساسة، وتقل فيها الواقعية وتزيد فيها للتألية، فالشخصيات الرومانسية ستكون جذابة على الدوام، وخاصة تلك التي تواجه الصعاب الكبيرة والعواقب المعقدة من أجل الوصول إلى حقيقة من الحقائق، أو الدفاع عن قضية⁵.

وتسمى بمرحلة اليقظة الجنسية للمصاحبة للمراهقة، التي تبدأ مبكرة عند البنات سنة تقريباً، وتتميز هذه المرحلة بما يحدث فيها من تغييرات جسمية واضحة، يصحبها ظهور الغريزة الجنسية، واشتداد الغرائز الاجتماعية، ووضوح التفكير الديني، والنظرات التأملية إلى الحياة؛ فيلزم طرح القضايا المتعلقة بما سبق طرحاً نظيفاً واضحاً مناسباً لمن كان في هذه المرحلة.

ويرافق هذه المرحلة اضطرابات نفسية، يلجأ الطفل إلى الدين لعله يجد فيه مخرجاً منها، أو ينصرف إلى أحلام اليقظة، فيبغى أن تتكامل جهود المهتمين بالطفولة لتقديم يد العون لهذه الشريحة، لتمكّن من تجاوز هذه المرحلة بأمان، وإعدادها لما بعدها.

1- ينظر حنان العناني، أدب الأطفال، دار الفكر، عمان، ط3، 1996، ص40، 41.

2- علي الحديدي، في أدب الأطفال، ص135 وما بعدها.

3- ينظر أحمد نجيب، فن الكتابة للأطفال، ص40. وعبد الفتاح أبو معال، تنمية الاستعداد اللغوي عند الأطفال، دار الشروق، عمان، 1988، ص53.

4- ينظر سعد أبو الرضا، النص الأدبي للأطفال، ص38.

5- ينظر هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، ص157.

وهي مرحلة مضطربة وخطرة جداً، وتأني خطورتها من كونها تتكوّن فيها أسس شخصية الفرد، ولذلك علينا أن نبحث عن كيفية جعل تماس للراهن مع أدب الكبار تمرّ بسلاسة وسلامة، ولا يكون صدمة عنيفة يضيف اضطراباً جديداً إلى طبيعة هذه المرحلة للمضطربة أساساً.

ويتميّز إدراكهم الجمالي بأنه أزمة استغراق، حيث يبحثون عن علاقة الفن بالحياة، وبما أنّهم قلما يجدون التوجيه الصحيح ممن حولهم فإنهم يقعون في أحكام مندفعة وغير مؤسّسة¹. كما يستمرّ الليل السابق إلى قصص للغامرة والبطولة، وإلى القصص التي تتحقّق فيها الرغبات الاجتماعية وأحلام اليقظة.

وتسمّى أيضاً على صعيد المقدرة اللغوية بمرحلة القراءة الناضجة، وهي الموازية للمرحلة للتوسطة، تزداد القدرة على فهم اللغة، ويصل القاموس اللغوي في سن الرابع عشرة إلى (9000) كلمة، أما البالغ للتوسط الذكاء فعدد ألفاظه يصل إلى (11700) كلمة، والبالغ للتفوق الذكاء يصل إلى (13500) كلمة تقريباً.

وإذا كان من الضروري أن يهتم كاتب قصص الأطفال بمستوى الألفاظ التي يخاطبهم بها في أدبهم؛ فعليه كذلك أن يراعي مقدّرتهم على استيعاب التراكيب اللغوية، حتى لا يرتفع بأسلوبه عن مستواهم اللغوي، وفي ذاكرة الأطفال أربعة قواميس هي²:

1- القاموس السمعي للطفل: وهو يضمّ الألفاظ والتراكيب التي يستطيع الطفل أن يفهمها إذا استمع إليها.

2- القاموس الكلامي للطفل: وهو يضمّ الألفاظ والتراكيب التي يستطيع الطفل أن يستخدمها فعلاً في كلامه.

3- القاموس القرائي للطفل: وهو يضمّ الألفاظ والتراكيب التي يستطيع الطفل أن يفهمها إذا رآها مكتوبة.

4- القاموس الكتابي للطفل: وهو يضمّ الألفاظ والتراكيب التي يستطيع أن يستخدمها فعلاً في كتابته.

وقد حصر باحثون كثيرون في اللغات الأجنبية للمفردات اللغوية والتراكيب التي تدخل في قواميس الأطفال اللغوية في مختلف الأعمار، وينبغي أن تكون للعاجم العربية غنيّة بالمعاني المجازية والتشبيه، لأنهما قنّان قريان من نفسية الطفل.

وعليه أن يعي خطورة دور كلّ كلمة بل كلّ حرف يكتبه لهم، وعليه أن يفهمهم ويعيش معهم، ويملك قنّة الكتابة لهم، ومن هنا ندرك صعوبة الكتابة للأطفال، وندرك كيف ينجح كاتب في قصة كتبها للكبار، ولا ينجح في قصة كتبها للصغار، وهذا ما يفسّر قلّة رواد كتابة قصص الأطفال كلما قلّت سنوات عمرهم.

3. 4- الخلاصة:

1- شاكر عبد الحميد، التفضيل الجمالي (دراسة في سيكولوجية التذوق الجمالي)، مجلة عالم المعرفة، الكويت، عدد 267، مارس 2001، ص 229، 231.
2- أحمد نجيب، فن الكتابة للأطفال، ص 40.

ينبغي لكاتب السيرة النبوية مراعاة حاجات المتلقين ومستوياتهم، والعناية بالموضوعات التي يفرضها الواقع، مع مساهمة أفق النص لأفق انتظار الطفل القارئ، ولكي يتحقق ذلك لابد من أن يترجم الكاتب طفولته، ويفسح ذاكرته الطفلية على الورق¹، ولهذا يتأكد ارتباط وصول أدب الطفل إلى قرائه من خلال الوعي العميق بالأبعاد الثقافية والقدرات النفسية والجمالية لدى الطفل².

وقصص السيرة النبوية — في مادتها وطريقتها وشكلها — تتوقف على نوع هذا الجمهور وخصائصه المعينة، إذ ينبغي على الكاتب أن يحيط علماً بطبائع الأطفال الذين يكتب لهم، وأن يكون على وعي كامل بمراحل نموهم، والخصائص السيكولوجية التي تميز كل مرحلة، بالإضافة إلى درجة نموهم العلمي، سواء في ناحية المستوى اللغوي، أو بالنسبة لحصيلتهم من المعارف والمعلومات المختلفة.

وعليه فثمة شروط فنية و موضوعية ونفسية واجتماعية يجب أن تتوفر حين نكتب للطفل في مختلف الأجناس الأدبية، سواء كانت نصوصاً شعرية أم قصصية أم مسرحية، فعلى المستوى اللغوي نتوخى البساطة والسلامة والوضوح، وعلى مستوى للمضامين يجب أن يكون هناك تركيز على ما يجعل الطفل يحقق المعرفة والمتعة معا، مع مراعاة الجوانب النفسية للطفل في تفاعلها مع ما يتلقاه من موضوعات تلك الأجناس الأدبية، بحيث يكون متناسبا وارتقاءه فكريا وحضاريا في حدود مرجعيته الدينية، وهذا ما يجعل الكتابة للطفل مغامرة غير محمودة العواقب أحيانا.

1- جمانة طه، ثقافة الطفل، هموم وتطلعات، مجلة بناء الأجيال، سوريا، عدد 26، سنة 1998، ص 73.
2- عيسى الشماس، كتب الأطفال: الأهمية والاختيار، مجلة بناء الأجيال، سوريا، عدد 45، سنة 2003، ص 64.

الفصل الثاني:

المضامين والقيم في

قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال بالجزائر

1. توصيف عينة البحث:

العينة هي عبارة عن عدد محدود من الأفراد التي سوف يتعامل معها منهجياً، ويكاد يكون شبه اتفاق بين المختصين في للنهجية والإحصاء على أن العينة نوعان: احتمالية وغير احتمالية، والأساس في تبني إحداهما هو مدى التوصل إلى أدق النتائج بأقل خطأ معياري ممكن، بغض النظر عن نوعية العينة¹.

ومن خلال حيثيات مكتبة قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال بالجزائر سيكون مدار آلية البحث على العينة الاحتمالية العشوائية التي تخضع في حسابها إلى قانون الإحصاء والاحتمالات، وبالتالي يكون اختيار وحدتها عن طريق الصدفة، أي للبدأ الذي يتيح الفرصة لجميع ما كتب للأطفال بالجزائر عن السيرة النبوية أن تكون جزءاً من العينة. وما تم حصره في هذا المجال يأتي بعد سر أعوار عدد غير قليل من للكبات العامة والخاصة²، ومن خلال هذا تم تجميع إنتاج ما يقارب سبعة وأربعين (47) كتاباً، قدّم أو حاول أن يقدم الشخصية المحمدية للأطفال، منها ما يندرج ضمن عينة البحث (انظر جدول 1)، ومنها ما هو خارج عن نطاق الدراسة، تم حصره بغرض بيان ما يمكن أن يتعامل معه الطفل الجزائري في ما يخص هذا النوع (انظر ملحق 1).

وبعد حصر العينة وفرزها على أساس انتماءات مؤلفيها وجهات إصدارها صنف إلى ست مجموعات على النحو الآتي³:

- أ- قصص لكتاب جزائريين على اختلاف مستوياتهم الفكرية والأدبية، تم طبعه في الجزائر (انظر جدول 1).
- ب- قصص لكتاب جزائريين، طبعت أعمالهم في بلدان عربية ثم وزعت بالجزائر، ومنها بالأخص سلسلة "قصص من السيرة للفتيان والفتيات"، أعدها الدكتور محمد قاسم ناصر بوحجام، وطبعها وزارة الأوقاف لسلطنة عمان، وهي أكبر سلسلة من سلاسل للدونة، إذ بلغت ثلاثين حلقة.

1- ينظر محمد عبد الحميد، البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، عالم الكتب، القاهرة، (د.ت)، ص 33.
2- شمل نطاق البحث كلا من المكتبة الوطنية، وما لا يقل عن 30 مكتبة تجارية ومطبعة، وزيارات إلى بعض مكاتب المؤسسات التربوية، إلى جانب المعارض الوطنية والدولية المنعقدة بالجزائر خلال 2005 - 2008.
3- ينظر (جدول رقم 2)، يبين النسب المئوية لكل صنف من هذه الأصناف.

ج- قصص لكتاب غير جزائريين، غير أنهم أقاموا مدة طويلة بالجزائر، وفيها كتبوا ونشروا أعمالهم، أمثال: الدكتور خالد أبو جندي الذي كتب سلسلة "من غزوات الرسول"¹.

د- قصص لكتاب غير جزائريين طبعت أعمالهم أو أعادت طبعها دور جزائرية، ومن ذلك سلسلة "من حياة الرسول" لرائد أدب الأطفال العربي كامل كيلاني²، وسلسلة "السيرة النبوية في قصص" لسيف الدين الكاتب³، (انظر ملحق 2).

هـ- قصص مجهول المؤلف، تولت طباعته ونشره مؤسسات جزائرية، ومنه سلسلة "قصص الأنبياء للأطفال" التي نشرتها دار البدر للطباعة والنشر، و"قصة محمد" من منشورات دار القصة، و"محمد رسولي وقائدي" لدار للعرفة.

و- قصص لكتاب غير جزائريين تولت طباعته دور نشر عربية ووضعت على رفوف المكتبة الجزائرية، وهذه المجموعة لم تعتمد في البحث لكونها خارج إطار الدراسة، وما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد هو أن هذا الصنف يضم عددا معتبرا مقارنة بغيره من الأصناف السالفة الذكر (انظر ملحق 1)، ومن أبرزها سلسلة "حياة محمد في عشرين قصة" لعبد التواب يوسف⁴، وسلسلة "بطولات النبي" لعبد المنعم الهاشمي⁵.

ولعل ما يثير الانتباه والملاحظة في العينة العامة وجود عدد مهم منها طبع بالجزائر لكتاب غير جزائريين، وعدد آخر وضع بين يدي الطفل القارئ بالجزائر لمؤلفين ومطابع غير جزائرية، وذلك إنما يرجع للأسباب التالية:

- الطفل الجزائري يتعامل مع هذه الفئات من العينة، وربما يقبل عليها أكثر من غيرها⁶.
- مؤسسات الطباعة الجزائرية تعاملت مع هذا النوع من القصص، ولها تجربة بحاجة إلى تقييم.
- نسبة الإنتاج الجزائري تبدو أقل نسبيا، مقارنة بغيرها من البلدان العربية في السوق الجزائرية.
- حداثة الموضوع، وعدم التطرق إليه في أي من البلاد العربية، إذ لم تُجرَ -حسب علمنا- أي دراسة أكاديمية متخصصة لهذا النوع، رغم شيوعه في بعض البلدان وحيازتها قصب السبق والريادة فيه.
- المقصود من إدراجها بدرجة أولى تقييم التجربة الجزائرية على ضوء ما تميّزت به هذه الفئات من خصائص يفتقدها قصص السيرة النبوية للمكتوب للأطفال بالجزائر.
- الثقافة الجزائرية للمكتوبة باللغة العربية هي في النهاية جزء لا يتجزأ من الثقافة العربية بصفة عامة، ومحاولة الفصل بين الاثنين إنما هو لغرض منهجي لا غير.

1- خالد أبو جندي، من غزوات الرسول، الزيتونة للطباعة والنشر، الجزائر، (د.ت).
2- كامل كيلاني، سلسلة من حياة الرسول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر/الشركة التونسية للتوزيع، تونس، (د.ت).
3- سيف الدين الكاتب، السيرة النبوية في قصص (7 حلقات)، دار المعرفة، الجزائر، 1998.
4- عبد التواب يوسف، حياة محمد في عشرين قصة، دار الشروق، القاهرة، ط2003، 5، فاز ناشرها بجائزة الآفاق الجديدة 2000 في معرض بولونيا الدولي لكتب الأطفال، وهي أكبر جائزة عالمية لكتب الأطفال.
5- عبد المنعم الهاشمي، سلسلة بطولات النبي، دار الإيمان للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004.
6- الزائر لجناح الأطفال بالمكتبة الوطنية الجزائرية يلفت انتباهه وجود أكثر من 80% مما كتب عن السيرة النبوية للأطفال يرجع إلى مؤلفين ومطابع غير جزائرية.

جدول رقم (1) يبين عينة القصص الجزائرية ومراحل الطفولة التي تناسبها

المؤلف	عنوان القصة	دار الطباعة والنشر	الطفولة المناسبة
إيليس بن ساعد	السيرة النبوية الشريفة	دار السجلات، الجزائر	المتأخرة
إيليس بن ساعد	من غزوات الرسول ﷺ (6 حلقات)	دار السجلات، الجزائر	المتأخرة
إيليس بن ساعد	قصة الإسراء والمعراج	دار السجلات، الجزائر	المتأخرة
إياد عيساوي	قصص يرويها المصطفى (4 حلقات)	مكتبة الريام، الجزائر	المتوسطة
جماعة من رجال التعليم	حياة الرسول ﷺ	الزيتونة للإعلام والنشر، باتنة	المتأخرة
ساعد علوي	الحبيب للمصطفى: مولده وصباه	المكتبة الخضراء، الجزائر	المتوسطة
سعد الدين ددانش	السيرة النبوية المبكرة	دار الهداية، الجزائر	المتوسطة
عبد الحق سعودي	السيرة النبوية للأطفال 10 حلقات	شركة الشهاب، الجزائر	المتأخرة
عبد الحميد توفيق	حياة النبي (9 حلقات)	شركة قرفي وأبنائه، باتنة، الجزائر	المتوسطة
عمار بلعلي	قصص الأنبياء للأطفال	دار الهداية، قسنطينة، الجزائر	المتأخرة
قندوزي كمال	نبي الله محمد ﷺ	المكتبة الخضراء، الجزائر	المتوسطة
محمد بوزولوي	محمد رسول الله	دار البشير الإبراهيمي، الجزائر	المتأخرة
محمد ناصر بوحجام	قصص من السيرة للفتيان والفتيات: 30 حلقة	وزارة الأوقاف، سلطنة عمان	المراهقة
مجهولة المؤلف	قصة محمد ﷺ	دار البدر للطباعة، الجزائر	المتوسطة
مجهولة المؤلف	محمد ﷺ	منشورات القصبة، الجزائر	المتوسطة
مجهولة المؤلف	انصر نبيك محمد	دار الخلدونية، القبة، الجزائر	المتوسطة
مجهولة المؤلف	محمد رسولي وقائدي وقلوئي	دار المعرفة، الجزائر	المتأخرة
مجهولة المؤلف	اعرف نبيك محمد	دار الخلدونية، القبة، الجزائر	المتوسطة

جدول رقم (2) يبين النسب المئوية لأصناف قصص السيرة النبوية للأطفال

النسبة	العدد	الصنف
35%	18	أ -
02%	1	ب -
02%	1	ج -
20%	10	د -
10%	05	هـ -
31%	16	و -
100%	47	المجموع العام

جدول رقم (3) يبين توزيع العينة حسب تقسيمات مراحل الطفولة

النسبة	المجموع	عدد القصص الموجهة		مراحل الطفولة
		عربية	جزائرية	
34%	16	04	12	الطفولة المتوسطة 6 — 8 سنوات
49%	24	09	15	الطفولة المتأخرة 9 — 12 سنة
17%	07	03	4	الطفولة المراهقة 13 — 15 سنة

دراسة الجداول:

أ- من حيث التأليف: يسجل حضور أحد عشر كاتباً جزائرياً في هذه المجموعة، مقابل تسع عشر كاتباً من بلدان عربية، تمثلت في: مصر وسوريا ولبنان وتونس وعمان، بينما تبقى ست قصص مجهولة المؤلف.

ب- من حيث الطباعة: قامت مؤسسات الطباعة الجزائرية بلور بارز في طبع هذه المجموعات ونشرها، إذ نجد ثمان وعشرين قصة طبعت أو أعيد طبعها في مطابع جزائرية، يقابلها سبع عشرة 17 قصة طبعت في مطابع عربية غير جزائرية.

ج- طريقة تناول: تعددت طرق تناول قصص السيرة النبوية للأطفال، فبينما نجد البعض يتناول حياة الرسول ﷺ من مولده إلى وفاته، نجد البعض الآخر يقتصر على تناول جانب من جوانب حياته، كمولده وصابه، أو غزواته، وقد يتناول جانباً من جوانب شخصيته، كأخلاقه، أو سلوكياته...

كما تعددت أبعادها، حيث نجد بعض القصص يركز على البعد التاريخي، فيهتم ببيان حياة النبي ﷺ من مولده ونشأته وزواجه وجهاده في الدعوة ثم وفاته، ونجد قصصاً أخرى يركز على البعد التربوي الأخلاقي، فيتناول جانباً من أخلاقه وتعامله مع غيره، ونجد فئة أخرى تولي اهتماماً للبعد المعرفي العلمي من خلال بيان أحاديثه ورواياته.

كما نجد من الكتاب من يتناول سيرة النبي ﷺ مفردة إما في كتاب أو في سلاسل، بينما يتناولها آخرون في سياق سلسلة قصص الأنبياء، فيختتمها بقصة محمد ﷺ.

د- حجم القصص: تعدد أحجام القصص التي تناول حياتها ﷺ بصورة عامة، فبينما يتناولها بعض الكتاب في قصة واحدة، نجد آخرين يتناولونها ضمن سلسلة قصصية متفاوتة الأعداد والأحجام، تتراوح بين حلفتين في السلسلة الواحدة إلى ثلاثين حلقة في سلاسل أخرى¹.

هـ- الفئات المقصودة: من خلال عينة البحث نجد أن قصص السيرة النبوية تمكنت من تغطية مراحل الطفولة التي يمكن أن تستجيب لهذا النوع من القصص، فتوجهت إلى مرحلة الطفولة المتوسطة والمتأخرة ومرحلة المراهقة، إلا أن هناك تفاوتاً واضحاً في نسب التوزيع لهذه الفئات (انظر جدول 3)، وما يمكن ملاحظته أن غالب قصص العينة لا تشير إلى المرحلة التي تتوجه لها، وهو نقص تقع فيه كثير من الكتابات، تتوزع مسؤوليته بين المؤلف والناشر، إلا ما كان من تمييز بين الطفولة المراهقة وغيرها من

1- كما لا تعتمد حجماً أو قياساً واحداً للصفحات، فمنها المتوسط ومنها الكبير، ومنها ما تهمل ترقيم الصفحات.

للمراحل، إذ نجد بعض الكتاب من يحدّد فته بكلمة "فنان وفنيات"، فحاولت تصنيفها حسب طول القصة، وأسلوبها، وموضوعاتها، وإخراجها الفني، فكان بذلك تصنيفاً نسبياً مقارباً.

والتجسيد الفني: يتباين البعد الفني بين قصة وأخرى تبعاً لاختلاف مستويات مؤلفيها، فقد يجمع تصنيف بين كتاب كبار استحصدت ملكتهم الأدبية، وبين كتاب مبتدئين، وسيبين هذا بتفصيل خلال الحديث عن التجسيد الفني في الفصل الرابع.

2. الأنماط القصصية للسيرة النبوية:

2. 1- إشكالية التصنيف في قصص السيرة النبوية:

إذا كانت مشكلة تصنيف الأنماط والأنواع القصصية في أدب الكبار قد حسمت أو تكاد، بين رواية وقصة وقصة قصيرة أو أفصوصة، فإن هذه المشكلة لم تحسم حتى الآن، أو بتعبير أدقّ لم تدرس حتى الآن دراسة كافية في أدب الأطفال العربي، فمعظم الذين نظروا لهذا الجنس الأدبي يقسمونها التقسيم الشائع في أدب الكبار.

ومع اعتقادهم بصحة هذا التقسيم، خصوصاً من حيث الشكل لا يقدمون شواهد وبراهين على صحة وجود هذه الأشكال في أدب الأطفال، ومن ذلك تصنيف أحمد نجيب في كتابه "فن الكتابة للأطفال"، حيث استعرض فيه التقسيمات الشائعة في أدب الكبار، فينظر إليها من ناحية الحكمة الفنية على أنها تنفرع إلى: قصة حادثة، وقصة شخصية، وقصة فكرة، ثم ينظر إليها من زاوية الشكل فإذا هي رواية وقصة وقصة قصيرة وأفصوصة، وفي تعريفه لهذه الأنماط القصصية لا يخرج عن المقاييس الشكلية التي وضعها النقاد لهذا الفن¹.

والأسئلة الملحة للخروج من هذا الإشكال تكمن في الآتي: هل صحيح وجود هذه الأشكال في أدب الأطفال؟ وإن وجدت، فما الفرق بينها وبين ما يقدم للكبار؟ فإذا قلنا قصة قصيرة فهل يقصد بها مجرد صغر الحجم كما هو شائع في أدب الأطفال؟ أم للقصود بها شيئاً آخر غير الحجم كما هو موجود في أدب الكبار؟ وإذا قلنا رواية فما حدودها ومعاييرها في أدب الأطفال؟ أم أن الرواية فن يجب أن يبقى بعيداً عن دنيا الأطفال بسبب طولها وفنائه الخاصة؟ كل هذه الأسئلة تدفعنا إلى بحث هذه المسألة ومحاولة وضع تصنيفات تتفق وأدب الأطفال بخصائصه وفنائه.

وفي كتاب "المدخل إلى دراسة أدب الأطفال"² اعتمد مؤلفوه التقسيم السالف الذكر، وأضافوا إليه تقسيماً على أساس للضمون، يتفرّع إلى: قصص خرافية، قصص تاريخية، قصص علمية، قصص أخلاقية، قصص واقعية، وقد تجمع القصة بين نوعين أو أكثر من الأنواع المذكورة.

1- ينظر أحمد نجيب، فن الكتابة للأطفال، ص 81، 82.

2- ينظر محمد جمال عمرو وآخرون، المدخل إلى أدب الأطفال، دار البشير، عمان، الأردن، 1990، ص 58، 59.

ولعل التصنيف الوحيد الذي يكاد يجمع حوله الباحثون هو التصنيف حسب المضمون، ولكن هذا التصنيف في حد ذاته غير دقيق، فتداخل الموضوعات في القصة الواحدة يؤدي إلى صعوبة تصنيفها، فإذا استلهمنا من سيرة النبي ﷺ موقفا بطوليا في إحدى غزواته، ووقفنا على قيمة خلقية بارزة فهل نصنفها ضمن القصة التاريخية أو الدينية أو الخلقية، أو ضمن قصص البطولة، وهكذا.. وإذا تأملنا تصنيف أدباء الأطفال لقصص السيرة النبوية بناء على هذا الأساس نجدهم يضعونها ضمن أحد الصنفين: القصص التاريخي، أو القصص الديني.

ولكن إذا ما أخذت قصص السيرة النبوية محل دراسة مستقلة، فإنها ستفرّج عنها تصنيفات داخلية، فهي من حيث الشكل قد تدرج ضمن فنّ القصة، وقد تدرج ضمن الكتب التاريخية، أو الكتب الدينية للموجهة للأطفال، التي تعتمد على أسلوب التقرير، أو على الوعظ والإرشاد.

أما من حيث الموضوعات فالتصنيفات التي يمكن أن تدرج السيرة النبوية المكتوبة للأطفال في إطارها هي أئها: إما دينية، أو اجتماعية، أو تاريخية، أو قصص الغزوات، أو للعجرات، أو قصص الحيوان.

ومع تسليمنا بعدم الدقة في هذا التصنيف فإنه يبقى المرجع الوحيد هم الأطفال وأولياؤهم، فالطفل -وهو ناقد ممتاز- عندما يريد قراءة القصة فإنه ينظر إليها من جهة للموضوع دون الاهتمام في معظم الأحيان بالتسمية الشكلية إن كانت قصة أو قصة قصيرة وهكذا.. ثم ينظر إليها من جهة الإخراج الفني، أي من جهة الغلاف والرسومات والألوان وغيرها، لهذا كله تبقى الحاجة ملحة إلى بحوث خاصة تتناول هذه المسألة وتثري هذا الموضوع¹.

- بعض القصص الوارد ضمن سلسلة نخده في سياقه العام تاريخي، ولكن لو أخذ مفردا فهو يصنف ضمن الغزوات، أو غيرها، مثل سلسلة عبد الحميد توفيق².

2. 2- الموضوعات في قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال بالجزائر:

إن للموضوعات الممكن تقديمها للأطفال من خلال السيرة النبوية كثيرة لا تعدّ ولا تحصى، ومع هذه الكثرة فإن الباب ليس مفتوحا على مصراعيه، بل هو دقيق يحتاج إلى دراسات تربوية تعنى بمعرفة ميول الأطفال، وتتعرف على اهتمامهم وخبراتهم³.

وتحليل محتوى قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال بالجزائر يهدف إلى التصنيف الكمي للمضامين التي حوّلها، وذلك في ضوء نظام للفئات، صمم ليعطي بيانات مناسبة لفروض محددة خاصة بهذا المضمون⁴.

1- ينظر العبد جلولي، القصص المكتوب للأطفال بالجزائر...، ص45.

2- عبد الحميد توفيق، سلسلة "حياة النبي" (10 حلقات)، شركة قرني وأبنائه، باتنة، الجزائر 2003.

3- سمر روجي الفصيل، مشكلات قصص الأطفال في سورية، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 1981، ص41.

4- ينظر رشدي طعيمة، أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية: النظرية والتطبيق، دار الفكر العربي - القاهرة، 1998م، ص155، 156.

وللتّسع لهذا القصص يجده عاج بعض للموضوعات وأغفل موضوعات أخرى، كما تعدّدت مصادره ومستوياته تبعا لتعدد ثقافة مؤلّفيه ومستوياتهم، وحسبنا هنا أن نشير إلى أهمّ للموضوعات التي عالجها هذا القصص، ولكن قبل البدء في عرضها ثمة ملاحظات أساسية يجب الإشارة إليها:

أ- هذه الموضوعات متداخلة في القصة الواحدة، فقد تكون القصة تاريخية تدور حول حياة النبي من مولده إلى وفاته، وفي الوقت نفسه تحمل مضامين دينية أو أخلاقية.

ب- أدرجنا في للموضوعات الاجتماعية القصة التي تركز على مضامين أخلاقية وتربوية وعاطفية.

ج- لم نراع في للموضوعات الدينية إلا ما كان متصلا بالدين مباشرة، كالقصص الذي يتناول مسائل العقيدة (التوحيد، اليوم الآخر..)، والعبادات (الصلاة، الصوم، الزكاة..).

د- أفردنا القصص الذي تحدث عن غزوات النبي بتصنيف خاص، لما يمثله هذا النوع من سمة خاصة طبعت حياة النبي ﷺ، حيث شغلت جزء أساسيا من سيرته، وكان لها دورا جوهريا في تغيير مجريات الأحداث، إلى جانب أن هناك من كتاب الأطفال من أفرد بها بالتناول.

هـ- تمثل "المعجزة" خصوصية يتفرّد بها الأنبياء دون غيرهم من أبطال التاريخ، لذلك صنّفت القصص التي تناولت معجزات النبي محمد عليه السلام كموضوع من للموضوعات، يبحث في كنهها وأنواعها، ومدى اهتمام الكتاب الجزائريين بها.

و- هناك من الكتاب من حاول توظيف الحيوان في قصص السيرة، لما له من أهمية مرتبطة بمرحلة الطفولة من جهة، ولما لهذه العناصر من حضور فاعل في الأحداث، فاستعمل الحيوان، وأشياء أخرى من الطبيعة، تعتبر نمطا جديدا في كتابة السيرة النبوية جدير بالاهتمام، حاولنا أن ندرجها ضمن تصنيف خاص، وإن لم نثر على من خاض هذه التجربة من الكتاب الجزائريين. وبناء على هذه للملاحظات فإنه يمكن أن تتوزّع موضوعات قصص السيرة النبوية حسب التصنيف الآتي:

2. 2. 1- القصص التاريخي:

يهتم هذا اللون القصصي بتعريف الطفل ما يتصل بتاريخه، من خلال ما يقدّمه من تصوير للبطلية والشجاعة والتضحية، ويعرض الحدث التاريخي دون التركيز على الجزئيات، أي أنه يقدّم للموضوع ويعتني بالأداء البطولي وإبراز القيم الأخلاقية كالتمساح، والنبل والوفاء.. الخ.¹

والقصة التي يدور موضوعها حول التاريخ تختلف عن كتاب التاريخ في كون هذا النوع من القصص يتوخى دائما دقة التصوير، وروعة التأثير، ولا يقف عند الشخصيات المعروفة، بل يضيف شخصيات أخرى لتكتمل بها العناصر الفنية للقصة.

وبناء على هذا ظهر مصطلح آخر هو مصطلح "الخيال التاريخي"، الذي شاع استخدامه بكثرة في السنوات الأخيرة، وتضمّن ما يبرز العلاقة بين الحياة الخاصة والحياة الاجتماعية ضمن أبعاد تاريخية محدّدة، وذلك عندما يخضع القاص للمضمون التاريخي لمنظوره الخيالي، ويصوغ الأحداث والأجواء وفق ذلك للمنظور، وهو لا يقتصر في ذلك على الأحداث التاريخية للماضي، بل

1- ينظر فوزي عيسى، أدب الأطفال (الشعر، المسرح، القصة)، (د.ب.ط)، 1998م، ص320.

يتجاوزها إلى التنبؤ بأحداث مقبلة، وبهذا فإن الخيال التاريخي يضيف لمسات خيالية على الأحداث والوقائع والظواهر، ماضية كانت أم حاضرة أم مقبلة في تناول قصصي¹.

لذلك فإن هادي نعمان الهيبي يذهب إلى أن مصطلح القصة التاريخية يفقدها أدبيتها، لأنه أداة يفهم بها للتلقي روح التاريخ وحقائقه، وبما أن الأدب تجسيد في حالة ما، فهو يرتبط بآمال ومشكلات وتوقعات²، "وعلى هذا يبدو استخدام مصطلح القصة التاريخية وكأنه يعني درسا في التاريخ إلى حد ما"³، ويقول: "وعلى هذا، فإن قصص الخيال التاريخي لا تستهدف نقل الحقائق إلى الأطفال، بل تهدف إلى مساعدتهم على تخيل الماضي، والإحساس بأحزان وأفراح الأجيال التي سبقتهم، إضافة إلى تخيل الإحساس بأوجه الصراع بين البشر، حيث تنهياً للأطفال — من خلالها — فرص المشاركة في حياة للماضي، والشعور باستمراريتها، مع رؤية أنفسهم في موقعهم الحاضر في مسيرة الزمن"⁴.

إن إضفاء عنصر الخيال على الحدث التاريخي لا يعني بالضرورة تزييفه، فقد يكون سيلا إلى التأكيد على قيمة أخلاقية ما لم تظهر جلية فيه، بمعنى يمكن أن نعتبرها "مسيرات الإحساس بالتاريخ بكل ما فيه من نجاحات وإخفاقات ومعاناة، لذا تجد قصة من قصص الخيال التاريخي للأطفال تصفح عما يسببه إنسان لغيره من بني جنسه من آلام حين يظلمه أو يستعبده، فيكون ذلك حافزا لأن ينبد الأطفال الظلم والاستعباد"⁵.

وهذا النوع من القصص ذاكرة مدونة، مهمته أساسية وحساسة تتمثل في:

— تنمية الوعي الجماعي وتعزيز الانتماء إلى الجماعة.

— التعرف على أبطالها وشجعانها، فيكيل لهم الاحترام والتقدير، ويشعر بعزة الانتماء وفخر السيادة.

على أنه نوع عديم الجدوى في مرحلة ما قبل المدرسة، وحتى بعدها بثلاث أو أربع سنوات، فالدراسات تشير إلى أن القدرة على تتبع الأدوار والأحداث المرتبطة بالتاريخ عند الأطفال لا تنمو ولا تكتمل إلا بعد تخطيطهم التاسعة من أعمارهم، وعلى هذا الأساس فالأفضل في هذا النوع من القصص قبل هذا السن أن يقدم قصصا مرتبطة بمظاهر حياتية عاشها أبطال تاريخيون. وللتأمل في قصص السيرة النبوية للكتوب للأطفال بالجزائر يجد أغلبه تناول موضوعات تاريخية، متعلقة بحياة الرسول ﷺ من مولده إلى وفاته، حيث نجد نسبة 48% منها انفردت بالجانب التاريخي من حياته ﷺ (انظر جدول 4).

وأغلب هذا القصص يستمد مادته التاريخية من المصادر القديمة، كما يستمدّها أيضا من المراجع الحديثة، ولكن يعرضها في قالب تاريخي جاف بعيد عن النمط القصصي الحديث، ولهذا فهو أقرب إلى كتب التاريخ منها إلى القصة الفنية التي تستلهم مادتها من التاريخ.

1- سمير عبد الوهاب أحمد، أدب الأطفال: قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، ص 141.

2- ينظر هادي نعمان الهيبي، ثقافة الأطفال، ص 195.

3- ينظر المرجع نفسه، ص 196.

4- ينظر المرجع نفسه، ص 196.

5- سمير عبد الوهاب، أدب الأطفال: قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، ص 142.

وعن انتصارات الرسول وبطولاته فلم يستثمر استثماراً فعالاً ومفيداً، فجّل الذين تناولوا هذا التاريخ من الكتاب الجزائريين سلكوا طريقة تقريرية، وحرصوا على التّرام للوضوعية في نقل الأخبار، بل إنّ من الكتاب من تقيّد بالحقائق التاريخية تقيّداً صارماً، الأمر الذي أبعد عن مقومات العمل القصصي من خيال وإثارة وتشويق.

— **تحقيقات السيرة النبوية المكتوبة للأطفال:** من خلال استعراض أحداث السيرة النبوية، أمكن تحقيب موضوعاتها من الزاوية التاريخية إلى فترات معينة ومحدّدة، تبعاً لما اصطبغت عليه كل مرحلة من المراحل، ولكن قبل ذكر هذه التحقيقات هناك ملاحظات تجدر الإشارة إليها:

أ — مسألة التقسيم ليست محلّ اعتماد كل من كتب في السيرة، وإنما منهم من اكتفى بإيراد السيرة النبوية مجمّلة ومختصرة.
ب — التوزيع الذي تمّ على أساسه هذا التقسيم لم يكن على أساس وحدة زمنية معينة، وإنما على أساس استقراء مجموع الأحداث للتراكمة وما يمكن أن تكون عليه في صبغة معينة.

ج — التحقيقات الواردة ليست أمراً مجمّعاً عليه لدى من قسّم السيرة، فبين بعضٍ منها تدخّل وشيخ، يجعل بعضهم يعيد توزيعها إلى أقلّ مما سنذكره أو أكثر، تبعاً للنقطة أو النقاط المركزية التي جعلها أساساً في عمله.

ف هناك من يقسمها إلى حقتين فقط، ومن يذهب إلى هذا يختلف أيضاً في تحقيقاته تبعاً لأبرز حدث يعتبره نقطة تحوّل، فيقسمها البعض على أساس إزال الرسالة، فتتوزّع إلى مرحلة ما قبل نزول الوحي، ومرحلة ما بعد نزول الوحي، والبعض الآخر يرى أبرز حدث هو إعلان قيام الدولة مثلاً، فيقسمها إلى مرحلة ما قبل الهجرة، ومرحلة ما بعد الهجرة.

وهناك من يعتمد إلى تفريعها لأكثر من حقتين على أساس حصر أبرز أحداث السيرة، ويختلف هؤلاء في تحقيقاتهم أيضاً، تبعاً لما يصنّفه كل كاتب من أحداث بارزة، بين موسّع ومضيق فيها.

وعلى هذا الأساس الأخير اعتمدنا في عملنا، لأمرين أساسيين:

أ — يمكننا هذا التحقيب من بيان الخطوط العريضة للسيرة، وما تميّزت به خلال مراحلها.

ب — يساعدنا على كشف ملامح التجربة الجزائرية في خوض غمار هذه الموضوعات، ومن ثمّ تقييمها.

ومن خلال استعراض هذه المراحل سنتناول أبرز الملامح التي اصطبغت عليها أحداث كلّ على حده، ومدى إلام كتاب قصص السيرة بها، وفيما إذا كانت تناسب والفئات العمرية التي تتوجّه لها، وما هي حاجات الطفولة التي يمكن إشباعها:

أولاً — مرحلة ما قبل ميلاد محمد ﷺ:

تتناول الإرهاصات التاريخية التي تبيّ بقدمه ﷺ، والأجواء التي كانت سائدة في البيئة للمكية، من سلطة قريش، وزعامة عبد المطلب وما كان منه مع قومه، والامتداد الهاشمي إلى جنود النبوة الأولى، وتمثّل أبرز أحداثها في: (حضر بئر زمزم ونذر عبد المطلب — عبد الله بن عبد المطلب: مولده، محاولة ذبحه، زواجه وسفره للتجارة ووفاته — واقعة الفيل).

- مدى إلمام كتاب السيرة بهذه الأحداث: تفاوت اهتمام كتاب القصص بهذه المرحلة، بين من يستوفي أغلب أحداثها، ومن يكفي بعضها، ومن يتناولها بالحديث عن الأجواء الدينية، ونجد من يلغيها ليستهل مباشرة بمولده ﷺ، ويشير إلى بعض أحداث المرحلة في ثناياه.

فإلياس بن ساعد في "السيرة النبوية الشريفة"¹ بسط القول عن هذه المرحلة، حيث افتتح حديثه بشرح معنى سدة البيت، وكيف أكرم توارثوا سلطة مكة والكعبة خصوصا في موسم الحج، وهم من أحفاد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، ومنهم تفرّعت قريش، ومنها يتفرّع "قصي بن كلاب" أحد السدنة وأحد أجداد النبي والذي سنّ تكميم الحجيح، ليتوارثها أبناؤه بعده، ثم يتوقّف في حادثة حفر عبد المطلب لبئر زمزم وما رافقها من ابتزاز قريش ونذره بذبح أحد أبنائه قربانا، ثم محاولة وفاته به، وما كان من أمر العرافة والفدية، ونجاة عبد الله، ثم زواجه من آمنة بنت وهب، ثم خروجه في تجارة إلى الشام ومرضه ووفاته أثناء الرجوع في الطريق، تاركا زوجه حاملا.

بينما د. سعد الدين ددش في "حياة الرسول محمد"² يكفي بذكر نسبه، ملمّحا إلى حدث سبق ميلاده، وهو فيل أبرهة، ومحاولة هدم الكعبة، ووفق في تحنّب سرد تفاصيل نسبه كاملا، لكونه لا يتناسب والطفولة التي يتوجّه لها، حيث يقول: "هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، من قبيلة قريش.. ويرجع نسبه ﷺ إلى أنبياء الله: إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام"³.

أما كمال قندوزي في "نبي الله محمد"⁴ فنجدّه يصور للطفل الأجواء الفاسدة التي كانت سائدة في شبه الجزيرة العربية والعالم، من عبادة النار في الفرس، ونصرانية محرّفة لدى الرومان، وعبادة أصنام عند العرب، وما كان من إساءة الجوار، وقانون غلبة القوي، وغلبة طبع، وقساوة قلب، وكيف أن في هذه البيئة حمل عبد الله بن عبد المطلب من آمنة، ويفارق الحياة في طريق تجارته، ليولد محمد ﷺ الأب.

وفي "الحبيب للمصطفى - مولده وصباه"⁵ يتحدث ساعد العلوي في أسلوب شيق إلى حدثين من أحداث هذه المرحلة، وهما الأجواء الدينية التي كانت سائدة، وقصة أبرهة في هدم الكعبة وما جرى بينه وبين عبد المطلب من حوار قبل محاولته الفاشلة.

أما في "قصة محمد ﷺ"⁶ التي طبعتها دار البدر فيكفي خلال حديثه عن النسب بإشارات إلى أن والده للفدى يسمى بـ "الذبيح الثاني"، مبينا سلسلة أعمامه عليه السلام، وما يلاحظ فيه أنه أطنب في ذكر نسبه، وفي ذكر أسماء أعمامه بما لا يتناسب والفئة التي يتوجّه لها هذا القصص، إذ أنه موجه إلى مرحلة الطفولة للتوسّطة التي لا تستفيد شيئا من هذا التفصيل. والاختصار ذاته نجده في "حياة الرسول ﷺ"⁷ حيث يكفي بإشارات إلى هذه المرحلة، وكيف أن الناس كانوا يترقبون ظهور نبي.

1- إلياس بن ساعد، السيرة النبوية الشريفة، دار السجلات، (د.ت).

2- سعد الدين ددش، السيرة النبوية الميسرة، دار الهداية، قسنطينة، 2000.

3- المرجع نفسه، ص 4.

4- كمال قندوزي، نبي الله محمد، المكتبة الخضراء، الجزائر، (د.ت)، ص 6.

5- ساعد العلوي، الحبيب المصطفى: مولده وصباه، المكتبة الخضراء، الجزائر، 2004، ص 8.

6- مجهول المؤلف، قصة محمد، دار البدر، الجزائر، ص 5.

7- جماعة من رجال التعليم، حياة الرسول ﷺ، الزيتونة للإعلام والنشر، باتنة (د.ت).

وفي "عرف نبيك"¹ نجد تفصيلا في نسبه، بما لا يتناسب والمرحلة التي يتوجه لها أيضا، دون إشارات إلى هذه المرحلة، فبعد ذكر نسبه وأسمائه وبيان طهارة نسبه عمد إلى ولادته.

وفي "محمد رسولي وقائدي وقُدوتي"² التي طبعها دار المعرفة يشير إلى علو شرف نسبه، ووفاته أبيه عبد الله وهو لا يزال في بطن أمه، والكتاب يأتي ضمن "سلسلة منهاج المسلم" الذي يتناول في أعداده الأخرى أركان الإسلام، وما يؤخذ على هذه السيرة هو المقدمة المطولة، والتي لا تتناسب والطفولة للتوسطة ولا للتأخرة، حيث راح يحذر من خطر قصة "حي ابن يقظان" لابن طفيل على توحيد الإنسان في جدل فكري لا يفهمه إلا الكبار، ثم شرح منهجه في السلسلة، مينا الهدف منها: "كل هذا كي تمحي من ذهن الشاب المسلم تلك النتائج الخاطئة التي وصل إليها ابن طفيل رحمه الله وغفر له، وتلك للمقدمات التي بنى عليها بحثه"³.

ثانيا - الميلاد والطفولة:

تمثلت أبرز أحداثها في الآتي: مولده ﷺ وما رافقه من أحداث رضاعه في بادية بني سعد -واقعة شق الصدر- وفاة أمه -كفالة جده ووفاته- كفالة عمه وتكريمه -رعي الغنم- رحلته إلى الشام مع عمه ولقاء بحيرى.

- مدى إلمام كتاب السيرة بهذه الأحداث: إلياس بن ساعد في "السيرة النبوية الشريفة"⁴ تناول أحداث المرحلة بأسلوب فيه شيء من الإثارة والتشويق أحيانا، لكن أحيانا أخرى تخونه البلاغة فيجحف في استشارة بعض الأحداث الهامة، كحادثة المولد التي تفتقد إلى شيء من الحرارة، فيقول: "وجاء الولد إلى الدنيا يوم الاثنين، الثاني عشر من ربيع الأول، عام الفيل، فأرسلته أمه إلى جده عبد المطلب، فأخذه إلى الكعبة ودعا الله له وشكر له، واختار له اسم (محمد)"⁵.. في مقابل هذا أجاد في عرض حادثة الرضاع من أمنا حليلة السعدية، فيما حلّ بيتهما من بركة بقلومه، وما أعقبه من واقعة شق الصدر، حيث استهلها بتمهيد مشوّق يقول فيه: "لقد رأت هذه الأخيرة بمقدم الصبي الصغير عجائب أذهلتها، وهي التي أبت أن تأخذه أول ما عرض عليها لكونه تيمما"⁶.

كما أجاد في وصف مشهد لقاء قافلة أبي طالب ببخيرى الراهب، حيث حاول أن يسطح الحوار ويوضحه بما يتناسب والطفولة للتأخرة، بقوله "فخرج إليهم (الراهب) ولم يكن يخرج إليهم قبل ذلك، فبدأ يتخلّلهم، حتى وصل إلى رسول الله، فأخذه بيده وقال: هذا سيّد العالمين، هذا رسول رب العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال أبو طالب وأشياخ قريش: وما علمك بذلك؟ .. وبعدها نصّح عمه بإرجاعه حماية من خطر يهود المدينة".

1- مجهول المؤلف، عرف نبيك، دار الخلدونية، الجزائر، 2006.

2- مجهول المؤلف، محمد رسولي وقائدي وقُدوتي، دار المعرفة، الجزائر، (د ت).

3- المرجع نفسه، ص 5.

4- إلياس بن ساعد، السيرة النبوية الشريفة، دار السجلات، الجزائر، (د ت).

5- المرجع نفسه، ص 6.

6- المرجع نفسه، ص 6.

ويختلف "حياة الرسول محمد" لسعد الدين ددّش و"حياة الرسول"¹ عن غيرهما من الكتاب في توقيت حادثة شق الصدر، فالمشهور عند كتاب السيرة أنها وقعت بعد أن أعادت إرجاعه من أمه عقب إتمام الرضاع، بينما يذكر الكتابان أنها وقعت في المرة الأولى أثناء رضاعه²، وهذا يخالف ما توكّده الشواهد الفعلية المرافقة للحادثة، حيث يذكر سعد الدين ذاته أنها وقعت للنبي ﷺ عندما كان يلعب مع أخيه من الرضاع أو مع العلمان خارج البيت، وفترة اللعب مع الأقربان تتجاوز مرحلة الرضاع، وعليه فهذا يؤكد نقص تمحيص الأخبار التاريخية.

وعلى خلاف هذا في "حياة النبي محمد" لكمال قندوزي³، وفي "محمد رسولي وقاندي وقدوتي" ينفي أنها أرجعته بعد إتمام الرضاع إلى أمه، وإنما يشير إلى أنه بقي لديها خمس سنوات من يوم قومه⁴.

وفي نصح بحيري لأبي طالب يارجاع محمد إلى مكة نجد خلافاً آخر، إذ يشير إلياس بن ساعد أن أبا طالب بعث به مع بعض غلمان، بينما ددّش وقندوزي يذكران أن أبا طالب هو من تولى إرجاعه مباشرة، وفي "قصة محمد" لدار البدر تشير إلى أنه أخذه معه إلى الشام، ثم أرجعه بسرعة إلى مكة⁵، مما يشير إلى تعدد المصادر التي استقى منها الكتاب مادهم التاريخية، أو إلى نقص تمحيص الحقائق.

ويبين قندوزي بوضوح شيق ومبهج أجواء ميلاد النبي، وكيف أنه كان نورا على البشرية، وأشار إلى ما رافق هذا الحدث من وقائع، كانطفاء نار الفرس، إلا أنه ذكر أموراً لم تشتهر لدى كتاب السيرة، وهي تساقط أصنام قريش، وغياب نجوم السماء⁶. ومما اختلف فيه من أحداث بحاجة إلى تدقيق لدى كتاب السيرة هي: ما كان تركبه حليلة وزوجها لما قدما مكة للإرضاع، بين من يقول أنه حمار، ومن يقول أنها أتان.

ومما فيه نوع من تشويه الحقائق لفرط الخيال ما ذكره عبد التواب يوسف في "حياة محمد في عشرين قصة" حيث تميز بروعة التصوير ودقته، إلا أن قوة الخيال أثر في بعض حقائقه، من ذلك أتان حليلة السعدية وما شعرت به من بركة النبوة، فجعل كتاب السيرة يشيرون إلى أن البركة حلت في خفة سيرها أثناء رجوعها إلى البادية محملة بالنبي، بينما هو يشير إلى أن البركة حلت بها وهي في طريقها إلى مكة أول الأمر.

وربط ساعد العلوي بين ما وقع من أحداث مرافقة للمولد النبوي وما توحى به من نهاية عصر الظلام وبداية عصر النور، وهو مما يترك أثراً بالغا في الطفل القارئ، ويعمّق تعلقه بشخصية محمد ﷺ⁷.

- 1- جماعة من رجال التعليم، حياة الرسول ﷺ، الزيتونة للإعلام والنشر، باتنة (د.ت).
- 2- ينظر سعد الدين ددّش، السيرة النبوية الميسرة، دار الهداية، قسنطينة، 2000، ص6، وكذا جماعة من رجال التعليم، حياة الرسول ﷺ، الزيتونة للإعلام والنشر، باتنة (د.ت). ص4.
- 3- كمال قندوزي، نبي الله محمد، المكتبة الخضراء، الجزائر، ص5.
- 4- مجهول المؤلف، محمد رسولي وقاندي وقدوتي، دار المعرفة، الجزائر، (د.ت) ص8.
- 5- مجهول الملف، قصة محمد، دار البدر، الجزائر، (د.ت)، ص14.
- 6- كمال قندوزي، نبي الله محمد، المكتبة الخضراء، الجزائر، ص4.
- 7- ساعد العلوي، الحبيب المصطفى: مولده وصباه. ص8.

وغالب قصص السيرة أغفلت ظروف وفاة أمّه "أمّنة بنت وهب"، إلا ما ذكرته الزيتونة للإعلام والنشر في "حياة الرسول ﷺ" حيث عرض الحدث مفصّلاً، فالحدث وظروف وقوعه أمر يثير شفقة وإثارة لدى الطفل، حيث يقول "ولما بلغ محمد السادسة من عمره رغب في زيارة قبر أبيه والتعرف على عمومته وأحواله، وحققت له أمه هذه الأمنية، فاصطحبته إلى زيارة قبر أبيه وذهبت به إلى المدينة للنورة حيث عرفته إلى بني النجار (أحواله)، وأثناء عودتها إلى مكة فاجأها الموت ومحمد لم يجاوز السادسة من عمره.. وهكذا أرادت حكمة الله تعالى أن يفقد النبي أبويه وهو طفل صغير"¹. إلا أن القصة لم تشر إلى كفالة جده عبد المطلب، حيث يذكر أنه بعد وفاة أمّه تولى أبو طالب كفالته، وهذا ما لم يقل به أحد من كتاب السيرة.

وفي "انصر نبيك"² اعتمد في تصوير بشري ميلاده وما رافقه من نور على نصوص من مصادر السيرة، فيورد ما تعارف لدى كتاب السيرة، ورواية عن العرابض بن سارية مرفوعاً إلى النبي يروي لحظات ميلاده، وهذا ما لا يتناسب مع مرحلة الطفولة، إذ هي ليست بحاجة إلى إحالات ولا أسانيد.

وعن واقعة شق صدره يعرضها الكتاب في سرد بارد لا حرارة فيه، ولا يشعر بأن حليلة خافت فأرجعته، فيقول: "وشق عن فؤاده هناك، واستخرج منه حظ الشيطان، فردته حليلة إلى أمه إثر ذلك".

ثالثاً- الشباب والزواج:

تمثلت أبرز أحداثها في الآتي: حرب الفجار — سفره ﷺ بتجارة خديجة — زواجه منها — الحجر الأسود بعد إعادة بناء الكعبة — مشاركته حلف الفضول.

- مدى إلمام كتاب السيرة بهذه الأحداث: تشير "السيرة النبوية الشريفة" لإلياس بن ساعد³ أن الرسول كان يمارس رعي الغنم كأول حرفة يتعلّمها، ثم انتقل إلى عمل التجارة مع "السائب بن أبي السائب المخزومي"، ثم يذكر واقعة تجارته بمال خديجة التي مهدت لزواجه منها وما أثبتت منه، في عرض سلس ومختصر فيه شيء من الإثارة، ويتوقّف عند بناء الكعبة وما كان من نزاع حول الحجر الأسود فيصور في براعة حكمة النبي وحسن تصرفه بما يجعل الطفل يكبر فيه ذكاءه ويزداد إعجاباً وتعلّقاً به، وتقادى الحديث عن حرب الفجار وعن حلف الفضول، وهو حذف لا يضرّ بتراطيب الأحداث⁴.

والأمر ذاته نجده في "حياة الرسول محمد" لسعد الدين ددّاش⁵، إلا ما كان من اختصار في حاجة إلى تبسيط من أمر الحجر الأسود، حيث ذكر الحدث مجملًا، فيقول: "فكان أول من دخل محمد ففرح الجميع ورضوا بحكمه لأنه كان أميناً وعادلاً" وهو مما يترك استفهاماً لدى الطفل القارئ عن نوع هذا الحكم، وما دامت المصادر قد تحدّثت عن الواقعة فيجدر بكتاب السيرة أن يحرص على عرضها، لأنّها مما ستبلي هدفاً وهو بيان حكمة النبي، وهذا من خلال نماذج كهاته، ولا يكفي بأحكام مجردة.

1- جماعة من رجال التعليم، حياة الرسول ﷺ، الزيتونة للإعلام والنشر، باتنة (د.ت). ص5.

2- مجهول المؤلف، انصر نبيك، دار الخلدونية، الجزائر، 2006، ص 5، 6.

3- إلياس بن ساعد، السيرة النبوية الشريفة، دار السجلات.

4- ينظر المرجع نفسه، ص12.

5- سعد الدين ددّاش، السيرة النبوية الميسرة، دار الهداية، قسنطينة، 2000، ص 9.

وفي "نبي الله محمد" لكمال قندوزي¹ يشير إلى أن من تقلّم لعرض طلب زواج خديجة من الرسول إنما هو غلامها مسيرة بقوله: "أرسلت خادمها إلى محمد ﷺ ليعلمه بطلب خديجة فرضي بها وتزوجها"، ولكن مصادر السيرة تذكر خلاف هذا، فالواسطة إنما كانت نساء ورجالا من الطرفين، وربما كان قصد الكاتب التبسيط ولكن لن يكون على حساب الواقع، وإلا فإن الطفل سيقع في ازدواجية الخطاب حينما يعيد قراءة السيرة في كبره، فأيهما يصدّق².

وفي "حياة الرسول ﷺ"³ يعرض حدثين أساسيين في هذه المرحلة، ويبين الدرس الأخلاقي من كل منهما، فالأول ما كان من أمر التجارة بمال خديجة حيث أعطى درسا في الأمانة، والثاني في حل مشكلة وضع الحجر الأسود، ليقدم درسا آخر في الحكمة، وقد استفاد بما هو مناسب في عرض الحدثين.

وفي "انصر نبيك"⁴ لم يراع الكاتب ترتيب الحدثين، حيث يشير إلى ما كان من قصة الحجر الأسود ثم يرجع إلى تجارة خديجة وزواج الرسول منها، وهذا يحدث تشويشا في معلومات الطفل، وفي ترتيب الأحداث زمنا، إذ قد لا يتذكر سنة وقوعها، لكن ترتيبها سيضع أمامه تصورا حول تنابع أحداث السيرة، والأخطر من هذا أن يشير بعد أمر زواجه منها إلى أنها لم تدم معه طويلا بل توفيت، فهذا مما يثبط من عزيمته الطفل على مواصلة القراءة، إذ لما يشاهد الطفل تراوجا بين اللال والخلق في أبهى مظاهرهما فإنه سيتوقّع حياة بهيجة بعدها، فإذا به يفاجأ بعنصر الموت.

ولم يتطرق إلا قليل من الكتاب إلى مشاركته ﷺ في "حرب الفجار" التي دارت بين قريش وبين قيس عيلان، فنجد هذا في قصة "محمد رسولي وقائدي وقُدوتي"⁵ حيث عرض الحدث في اختصار يناسب مرحلة الطفولة، مينا عمله في هذه الحرب، وهو مما لا ينبغي أن يتعافى عنه كتاب السيرة، حفاظا على نسق واحد لبنية أحداث السيرة لدى الطفل القارئ، وإنما تعامل الكاتب مع أحداث السيرة يكون في اختصار أحداث لا تناسب، وتبسيط أحداث غامضة، وتفصيل ما به إشباع لحاجات الطفولة، أما الحذف فإنه مما يربك الطفل في بنائه لنسق أحداث السيرة النبوية.

رابعا- بدء نزول الوحي:

تمثلت أبرز أحداثها في الآتي: عزله ﷺ في غار حراء -إرهاصات الوحي- نزول الوحي -تطمين خديجة وبشرى ورقة بن نوفل.

- مدى إلمام كتاب السيرة بهذه المرحلة: أغلب كتاب السيرة للأطفال يسجّلون وقفة بين هذه المرحلة والمرحلة السابقة، يحاولون من خلالها تقسيم المرحلة السابقة وكيف أنها كانت سببا وتحضيرا لهذه المرحلة، من خلال بيان أوجه العناية الإلهية في تنشئة نبيه ﷺ، وكأن ما مضى مقارنة بما سيأتي عبارة عن سلم في وسطه درج كبير يحتاج إلى مساعد يعين الصاعد ليتمكن من مواصلة الصعود، فحاول الكتاب توفير هذا المساعد، بتهيئة الطفل القارئ لاستقبال خبر نزول الوحي على الرسول بما يجعله يقتنع بأن محمدا كان أهلا لهذه المسؤولية الإلهية.

1- كمال قندوزي، نبي الله محمد، المكتبة الخضراء، الجزائر، ص8.

2- ينظر عادل محلو وأحمد زغب، دراسات في أدب الأطفال، ص31.

3- جماعة من رجال التعليم، حياة الرسول ﷺ، الزيتونة للإعلام والنشر، باتنة (د.ت).

4- مجهول المؤلف، انصر نبيك، دار الخلدونية، ص7.

5- مجهول المؤلف، محمد رسولي وقائدي وقُدوتي، دار المعرفة، الجزائر، (د.ت).

فإلياس بن ساعد يقدم شخص النبي على أنه نشأ على النور من كل ما تأباه الفطرة الصافية، وكان ميالا للعزلة لما تُقَرَف الحُرَمَات، من شرب خمرٍ، وأكل ما ذُبِح على التَّصَب، وطقوس تقام على الأوثان، ولم يكنف بذلك بل صوّر مشاعره بقوله "بل كان يُغض ذلك أشدَّ البُغض، ويُحزنه ذلك أشدَّ الحُزن، حتى أنه كان يفرّ بهمّة إلى غار حراء، فيخلو فيه الأيام". ثم يمهّد في سلاسة للحدث الأكبر، بمصادفته ﷺ لأُمور خارقة، من تسليم حجر عليه كلما مرّ به، وما يقع من رؤيا صادقة، وعلامات أخرى.

ويستمر بن ساعد في مساعدة الطفل لاستقبال خبر نزول الوحي بقوله "واستمرّ الأمر على ذلك شهورا، وصار النبي يختلي في غار حراء الليالي ذوات العدد، ثم يرجع إلى زوجته "خديجة" فيأخذ الزاد ثم يرجع إلى خلوته، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال له: اقرأ. فقال النبي: ما أنا بقارئ"¹..

ويعصف لحظات نزول الوحي وصفا حسيا مشوقا ومثيرا، يناسب مدارك الطفولة للتوسطة، بأنه تلقى كلمات كانت ثقيلة ثقل الجبال الراسيات، رجع بها النبي إلى بيته وهو يرجف.

ويجيد في وصف مشهد استقبال خديجة له، وكيف جمعت بين خصلتين حميدتين، صلاح الزوجة وحنان الأمومة، بما تجعل الطفل يعتبرها وكأنه أمّه التي أرضعته، فبعد إخبارها بما حدث له تُطمئنه بما يخفف حتى على الطفل القارئ هول ما أصاب النبي ﷺ، فتقول "والله لا يُحزرك الله أبداً، إنك لتصل الرّحم، وتحمل الكلّ، وتكسب للعلوم، وتُعين على نوائب الحقّ"، فما أحمله من كلام يعثّ مرسلات أخلاقية قويّة إلى وجدان القارئ، فترسخ في أعماقه، وتتجسّد في سلوكه عن تلقائية، وينشرها بين أقرانه، ثم ينقل مجريات الأحداث إلى دار ورقة بن نوفل حيث تتأكّد مسألة النبوة، ويهيّئه نفسيا بما سيلقاه من قومه².

وما يكون من خلاف بين الكتاب في هذه المرحلة من حدث هو ذهاب خديجة بالرسول إلى ورقة بن نوفل، حيث هناك من يشير إلى ذهابها بمفردها، وتوليّها أمر الاستفسار عن الحدث من ابن عمّها ورقة، وهو الذي ذكره ددّاش في "حياة الرسول محمد"، حيث استعرض أحداث المرحلة لكن يبدوا نقصا في عنصر الإثارة والشويق، بما يجعل الطفل القارئ لا يتقمّص للمشاهد.

ومن الكتاب من لم يثبت رؤيا الرسول لجبريل أثناء نزوله أول مرة، وإنما يذكره على أنه صوت يستمع إليه، وهو ما ذهب إليه قندوزي، ويضيف حدثا لم يشتهر لدى كتاب السيرة بعد خروج النبي من الغار، إذ يذكر أنه سمع صوتا يقول له "اقرأ" ثلاث مرات ثم تلا عليه صدرا من سورة العلق، ولما همّ بالانصراف من الغار سمع صوتا يقول له "يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل"³. وللشهور لدى المحققين أنّ محمّدا ﷺ رأى جبريل في صورته الحقيقية ثلاث مرات إحداها لما نزل عليه أوّل مرة!

ويسبّط حدث نزول الوحي ويختصر في "قصة محمد" بما يتناسب ومرحلة الطفولة للتوسطة، حيث شرح كلمة "ما أنا بقارئ" بمعنى (لا أستطيع القراءة)، ويعلق "نعم لقد كان رسول الله ﷺ لا يستطيع القراءة والكتابة"⁴، وهو تبسيط وتوضيح مطلوب إذا

1- إلياس بن ساعد، السيرة النبوية الشريفة، دار السجلات، الجزائر، (د.ت)، ص 12.

2- المرجع نفسه، ص 13.

3- كمال قندوزي، نبي الله محمد، المكتبة الخضراء، الجزائر، ص 9.

4- مجهول المؤلف، قصة محمد، دار البدر، الجزائر، ص 15.

كانت السيرة موجهة لأطفال هذه المرحلة، حيث لا يفرق الطفل في لفظة "ما" إذا كانت تقيد النفي الاستفهامي أو النفي الاعتراضي.

وهناك من الكتاب من ركّز على البعد الأخلاقي للحادثة، فلم يهتم بدقة تصويرها، ولا بما يمكن أن تثيره من خيالات، فعرضها عرضاً جافاً مغتتما الفرصة لتبليغ قيم أخلاقية، وهو ما فعله "حياة الرسول ﷺ" للزيتونة، حيث اغتنم حدث نزول الوحي فقال: ودعا أيضاً إلى العدالة ونشر الخير والدفاع عن الحق ورفع الظلم عن للظلمين والصدق في القول وحفظ العهد والأمانة وبر الوالدين، ونهى القرآن الكريم عن القتل والكبر والكذب والاعتداء على حقوق الناس أو شتمهم أو سبهم، ونهى عن الغيبة والنميمة والفتنه وشهادة الزور، وغيرها من الأخلاق السيئة¹، فهذه التقريرية في الخطاب وللمؤسسة على الوعظ والإرشاد لا تترك أثراً في وجدان الطفل، بل قد تنفره أصلاً من الإقبال على هذه السيرة العطرة.

ينما "اعرف نبيك"¹، رغم اختصاره الشديد ونقص الربط بين أحداث السيرة أثار الطفل في تصوير حدث نزول الوحي وما رافقه من أجواء وتلاه من أحداث.

وفي "محمد رسولي وقائدي وقُدوتي" اعتمد التهيئة النفسية للطفل في استقبال خبر نزول الوحي، وأضاف أن عرّف من هو جبريل، وما معنى نزول الوحي، وأن نزوله على أنواع، منها هذه الطريقة التي نزل بها على محمد، وهو تفصيل يمكن أن يستغني عنه طفل هذه المرحلة، فهو ليس طالباً في الدراسات الشرعية مطالب بمعرفة طرق إنزال الوحي².

خامساً - مرحلة الدعوة السرية:

تمثلت أبرز أحداثها في الآتي: انقطاع الوحي -إسلام الأوائل -اجتماعاته ﷺ مع أصحابه بدار الأرقم -أصداء الدعوة في مكة. - مدى إلمام كتاب السيرة بهذه المرحلة: يتحدث الكتاب هنا عن فضل أول الناس إسلاماً أمناً خديجة، وكيف أن إسلامها كان عوناً للنبي على الصبر في الشدائد التي سيتعرض لها، "لقد كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله، فوقفت إلى جنبه تقوي عزمته، وتخفف عنه الهم، وتكون عليه ما يلقي من أذى الناس، وتكذيبهم له". ثم يتابع الحديث عن الأوائل، وكيف أنهم كانوا من آل بيته ورفقائه، بدءاً بـ علي وزيد، وأبي بكر وعثمان، والزيد بن العوام وغيرهم.. واستمرت السرية في الدعوة للدين الجديد ثلاث سنوات.

ومن كتاب السيرة من يتوقف عند مسألة انقطاع الوحي بعد نزوله أول مرة كإلياس بن ساعد في "السيرة النبوية الشريفة"، فيشير إليه ويبيّن تحسّر النبي واشتياقه للقائه، ومنهم من يعرض عنه مثل قنلوزي كمال في "نبي الله محمد"، وهو حدث يمكن الاستغناء عنه في مرحلة الطفولة للتوسطة، لأنه تفصيل لا يؤثر فيما بعده من أحداث، وربما قد لا يشعر الطفل بأهميته، بينما يلتزم به كتاب المرحلة للتأخرة وما بعدها، لما يبرز من علاقة بين الرسول وجبريل، تثير فضول الطفل في ترقّب ما سيقرب عن هذا الانقطاع، فإذا به يعرف بأنها سبباً لنزول سورة الضحى، التي قد حفظها من معلم التربية الإسلامية.

1- مجهول المؤلف، اعرف نبيك، دار الخلدونية.

2- مجهول المؤلف، محمد رسولي وقائدي وقُدوتي، دار المعرفة، الجزائر، (د.ت)، ص12.

ويدعو محمد ﷺ قومه سرا، فيبدأ بالأقرنين، ثم يجهر بدعوته، ومن كتاب السيرة من لا يفرق بين مرحلتي السر والجهر بالدعوة، وهذا أمر مطلوب للطفولة للتوسطة، تفاديا لتفاصيل الأحداث، وقد فعلها قندوزي كمال، ومنهم من يتوقف عند هذه المرحلة ويفردها بالحديث، وكيف أنما كانت مستقلة عن التي تليها، وهو ما يناسب الطفولة للتأخرة وما بعدها، حتى تستين منهج النبي في دعوة قومه، فيترك انطبعا لديه على أهمية تنظيم أموره الخاصة، إذا ما أراد النجاح والتفوق، وهو الأمر التي سار عليه سعد الدين دداش في "حياة الرسول محمد" حيث يشير إلى أن عدد للمسلمين لما بلغ في مرحلة الدعوة سرا ثلاثين ما بين رجل وامرأة اختار لهم الرسول دار الأرقم بن أبي الأرقم ليلتقي بهم فيها، ويلبغهم أحكام الإسلام وما نزل من القرآن الكريم¹.

وما وقع من تعدد الرؤى في أحداث المرحلة، هو اجتماع الرسول بدار الأرقم مع أصحابه، فهناك من يشير إلى وقوعه في مرحلة الجهر بالدعوة كإلياس بن ساعد، بينما يذهب آخرون إلى أن هذه الدار كانت خلال هذه المرحلة، اتقاء لعيون قريش في المرحلة السرية.

سادسا- مرحلة الدعوة الجهرية:

تمثلت أبرز أحداثها في الآتي: إسلام عمر بن الخطاب — معاملة قريش لمحمد وأصحابه — دفاع أبي طالب عن ابن أخيه — للمقاطعة الاقتصادية لبني هاشم — هجرة بعض الصحابة إلى الحبشة الأولى والثانية — وفاة حديجة وأبي طالب — الرحلة إلى الطائف — الإسراء والمعراج — بيعة العقبة الأولى والثانية.

- مدى إلمام كتاب السيرة بهذه المرحلة: هي مرحلة غنية بالأحداث، وقد كانت حساسة تحددت بها العناصر التي ستحمل عبء هذا الدين، إذ نجد إلياس بن ساعد أرجأ حدث إسلام عمر وحزمة إلى ما بعد هجرة للمسلمين إلى الحبشة، وهو أمر قد يخل بترتيب أحداث السيرة لدى الطفل القارئ، وقد سار المؤلف مع موقف قريش للمعارض لدعوة محمد سيرا منطقيا متناميا، يتطور حسب تدرج طبيعة النفس البشرية لما تتخذ موقفا تجاه ما تأباه، فكلما يزداد هذا الشيء ثباتا وإصرارا كلما تزداد تلك النفس في إبراز امتعاضها ومعارضتها، مستخدمة في ذلك مختلف الوسائل والأشكال متدرجة في القسوة وشدة الألم.

إذ بدأ موقف قريش بتقديم شكواها إلى سيد العائلة أبي طالب، فكان له ردا جميلا أبرد من حرارة موقفهم قليلا، لكن تطور الأحداث بتنامي عدد للمسلمين، حاولت قريش التعامل مع الموقف بأسلوب آخر، تجسد في تسفيه ممارسات عبادته، وإثارة الشبهات، ثم تطور إلى اضطهاده، وتعذيب أصحابه، وتجسد في نماذج ذكر منها بن ساعد أذى أم جميل زوجة أبي لهب لابن أخي زوجها ﷺ، وتعفير أبا لهب ذاته لوجه ابن أخيه في التراب لما رآه ساجدا على مرأى من القوم، وفعلة ابن أبي معيط وغيرها.. ليربط في الأخير بين هذا الجو وبين دعوة الرسول ﷺ أصحابه للمستضعفين إلى هجرة مكة نحو الحبشة.

ومما لم يفصل فيه ما وقع من تحاكم عند النجاشي حول الدين الجديد والقلة الذين لجئوا إليه طلبا للحماية، فأورد رد للمسلمين على دعوى قريش على لسان جعفر بن أبي طالب وفيها ملخص لأهم ركائز الدين الجديد، ولم يذكر مضمون دعوى قريش تجنبا للإطالة، وهو أمر مستساغ من الكاتب، يتضمن تسفيها ضمنيًا لموقفها.

1- سعد الدين دداش، السيرة النبوية الميسرة، دار الهداية، قسنطينة، 2000، ص 11.

ويرجع بن ساعد بمسرح الأحداث إلى مكة ليبرز ثبات الرسول ﷺ على دعوته واستمرار حماية عمه له، ليثمر ذلك قطعاً طيباً طالما ترقب محمد وأصحابه موعد حنيه، تمثل في إسلام عمه حمزة بن عبد المطلب (أسد الله) والثاني عمر بن الخطاب الذي قال في شأنه: "لو كانت النبوة بعدي لكانت لعمر"، ليبين الكاتب أثر هذا الأمر في تغير موقف قريش من الاضطهاد والأذى إلى الإغراء والمساومة.

لكن الموقف لم يدم طويلاً، فيذكر بن ساعد محاولة قتل محمد، فتأتي حماية القبيلة، ويتطور الموقف إلى عقابها بحصار اقتصادي، موثق ومتفق عليه، ويستمر ليأتي الفرج بعد ثلاث سنين، فيما يسمى بنقض الصحيفة.

ويصور بن ساعد احتضار أبي طالب بين يدي محمد وأعدائه وهو في صراع بين الإيمان والثبات على إرث السلف، ولكن يختار الثاني بحيث يجعل الطفل القارئ يصاب بنوع من الحسرة والأسى من جهد ضاع في آخر لحظة، فيقول: "لقد مات الحصن الذي احتمت به الدعوة الإسلامية، تاركاً في النفوس أثراً عميقاً، مع أنه كان مشركاً، ولكن هذه هي أقدار الله..."¹.

ثم يعمق من جرح الطفل القارئ بوفاة ساعده الأيمن السيدة خديجة بعده بشهور، ليعيش الطفل تلك اللحظات الحرجة من حياة محمد بحيث لو توقف خلالها عن القراءة لأصيب بإحباط نفسي، مما يجعله يصر على مواصلة القراءة فإذا بصيص أمل يظهر لما يخبر بأن الرسول قد غادر مكة نحو الطائف، ربما قد يجد متنفساً لدعوته فإذا بالطفل يصاب مرة أخرى بصدمة أخرى، عندما يواجه بالرفض والأذى ثم يفر ويستريح في بستان يتوجه فيه إلى مولاه داعياً الفرج بعد استقصاء الأسباب، تجعل الطفل يدرك عظمة ذلك الرجل الذي يقف أمام خطوب كهذه، ويوحى له في الوقت ذاته بأن هذا الأمر يدل على قيمة ذلك الكثر الذي كافح من أجل أن يصل إليه، فإذا به يعيشه ويتنعم به، وهو نعمة الدين، ممثلاً القول للأنور "ومن يعلم المطلوب يحقر ما بذل".

وتبدأ مطالع الفرج الإلهي تلوح في الأفق بعد خروجه من البستان بنفر من الجن يصدقون به، وهو ما لم يشر إليه بن ساعد، ثم بجائزة الإسراء وللعراج، وما حفها من محاولة إرباك الطفل على غرار محاولة قريش مع أبي بكر للإيقاع بينه وبين محمد حول صدق الواقعة.

ولم يتوقف إلياس بن ساعد عند حدث بعة العقبة، وهو أمر أساسي في أحداث السيرة، يبرر من خلالها سبب هجرة محمد وأصحابه إلى المدينة دون غيرها من البلاد، إذ كانت تمهيداً لها.

ونجد عدم تنابع لبعض أحداث هذه المرحلة لدى بعض الكتاب، ومنهم عبد الحق سعودي في "السيرة النبوية" حيث يذكر قصة الإسراء وللعراج قبل وفاة خديجة وأبي طالب، وهو أمر يمس البناء التراكمي التي أقامه الطفل القارئ لأحداث السيرة، فيشعر بأنه يمتلك نسقاً مشكوكاً فيه عن أحداث السيرة².

وهناك من كتاب السيرة من يبالغ في تصوير بعض الأحداث إلى حد تشويهها، ومن ذلك دفاع أبي طالب عن ابن أخيه، فالمشهور لدى كتاب السيرة أنه كان دفاع عمومة وقبيلة ودم، ولم يكن دفاع مبادئ، إلا أن في "محمد رسولي وقائدي وقلوبي"

1- إلياس بن ساعد، السيرة النبوية الشريفة، دار السجلات، الجزائر، (د.ت)، ص 20.

2- عبد الحق سعودي، السيرة النبوية، شركة الشهاب، الجزائر، الحلقة السادسة.

نجدّه يبالغ في وصف الدفاع إلى حد أنه "يبين حقارة الأصنام، وبطلان دين قريش" ¹، فهذا ما لم يقل به أحد، وكأن حسرة الكاتب على عدم إسلام أبي طالب جعلته يحاول أن يحسن من صورته، حتى أنه تغاضى عن رفضه الإسلام لحظات احتضاره. ومن أبرز مظاهر تعذيب أصحابه والتي يجدر الإشارة إليها ما لقيه بلال بن رباح من سيده أمية بن خلف وكذا عمار وأبويه، وهو ما لم يشر أغلب كتاب السيرة للوجهة للأطفال بالجزائر.

وقد تجنب بعض الكتاب الحديث عن إسلام عمر بن الخطاب، ومن ذلك سعد الدين ددش في "حياة الرسول محمد" وهو نقص لا يمكن تجاوزه لما له من أثر تشويقي في استشارة هم الطفل القارئ، إذ بإسلامه انتقل الإسلام من السر إلى الجهر، وهو الذي قال فيه محمد: "اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين".

وما كان من الاعتماد على سوق الأحداث على الروايات أفقد كثيرا بنية السيرة، وجعلت الطفل يلتقط من الروايات ويجمع بما يعد باجتهاده نسقا عن أحداث السيرة، وهو ما وقع فيه "عرف نيك" للخلدونية، حيث يذكر السند على مصطلحات علم الحديث بما يشوش على ذهن الطفل، ويوجد فجوة بين الأحداث، كالتي بين أذى قريش قبل وفاة أبي طالب وبعده، فلم يشر إلى وفاته، ولا إلى الحماية التي كان يقوم بها تجاه ابن أخيه، وإنما قد يستشفها القارئ أنه من ثايا الأحداث ².

وهناك كتابات تحذف سلسلة أحداث هامة لها دور في بناء السيرة لدى الطفل، وهو الذي وقع فيه "حياة الرسول" ³، إذ بعد ذكر اضطهاد قريش وهجرة بعض الصحابة إلى الحبشة، يشير مباشرة إلى حدث عودتهم ثم الهجرة إلى المدينة، حاذفا مقاطعة قريش لبني هاشم، ووفاة أبي طالب وخديجة ورحلة الطائف والإسراء وللعراج وبيعة العقبة ⁴.

سابعاً - الهجرة إلى المدينة وتأسيس الدولة:

تمثلت أبرز أحداثها في الآتي: هجرة المسلمين — وقائع هجرة محمد وأبي بكر — بناء مسجد قباء — قنوم المدينة والاستقبال — بناء المسجد — اللؤاحاة بين المهاجرين والأنصار — تنظيم الحياة المدنية.

— مدى إلمام كتاب السيرة بهذه المرحلة: من بين الكتابات التي وفقت في تغطية هذه المرحلة ما قدمه ناصر بوحجام عن حدث هجرة المسلمين، إذ تناوله بإسهاب يتناسب والفئة التي قصدها، وهي الطفولة المراهقة، ففي سلسلته "قصص من السيرة للفتيان والفتيات" يتناول حدث الهجرة إلى المدينة ضمن حلقتين، افتتح للمشهد فيها بما كان يلقاه المسلمون من أذى قريش، خصوصا وقد رجع أغلب من هاجر إلى الحبشة، وتضاعفت شكاوى المسلمين من أذى قريش، فيفرح محمد بالفرج الإلهي للتمثل في إسلام مجموعات من يثرب، ليأمر أصحابه بوحى إلهي إلى اللحاق بهم بقوله: "قد أحبرت بدار هجرتكم وهي يثرب، فمن أراد الخروج فليخرج إليها".

1- مجهول المؤلف، محمد رسولي وقائدي وقودتي، دار المعرفة، الجزائر، (د.ت)، ص13.

2- مجهول المؤلف، اعرف نبيك، دار الخلدونية، القبة، الجزائر، 2006، ص 10.

3- جماعة من رجال التعليم، حياة الرسول ﷺ، الزيتونة للإعلام والنشر، باتنة (د.ت).

4- المرجع نفسه، ص11.

ويغتتم ناصر بوحجام الحدث ليستعرض وقائع من هجرة بعض الأوائل، وفي مقدمتهم أبو سلمة بن عبد الأسد وزوجه وابنه، وما تعرض له من ابتزاز فرق بينه وبين زوجته، وبينهما وبين ابنتهما، ليضع القارئ في صورة من أبشع صور الأذى، وفي مقابلها صورة من صور التضحية النفسية لما يهاجر تاركا أهله وراءه في سبيل هذا الدين، ويورد الكاتب أم سلمة وهي تتألم من الواقعة، فيقول: "كانت أم سلمة بعد ذهاب زوجها وضياح ابنها تخرج كل صباح إلى الأبطح¹ تبكي حتى تضيء.. مضى بها ذلك حوالي سنة"، ثم يترك الكلام لها لتحدث عن الفرج، وكيف كان في رابعة من صور الأمانة والعفة والشرف، فعثمان بن طلحة بعد إذن قومها لها لحاق زوجها يقوم بمرافقتها خلال سفرها كما لو أنها أمانة ينبغي أن تصل إلى أهلها، فنصفه بعد حين وصفا يدخل به نسق أحداث السيرة من بابه الواسع، فيقول: فو الله ما صحبت رجلا من العرب قط أكرم منه. كان إذا بلغ للتل أناخ بي، ثم استأخر عني، حتى إذا نزلت أخذ بعيري فحط عنه، ثم قيده في الشجرة، ثم تنحى عني إلى شجرة أخرى فاضطجع تحتها، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أوصلني للمدينة.. فقال: زوجك في هذه القرية فادخليها على بركة الله. ثم انصرف راجعا إلى مكة².

ويورد نموذجاً آخر من نماذج التضحية وهذه المرة كان بلال، فضبيب الرومي وقد كان من كبار التجار، خير بين البقاء بمكة وبين ترك أمواله ومغادرها فاختار الثاني، ونموذج ثالث لكن في صورة معاكسة تكسر سلطان الأذى الذي لازم عددا من المهاجرين، هو عمر بن الخطاب، فقد خرج شاهرا سيفه، مُنكباً قوسه، مبادرا بالاستفزاز على خلاف عادة قريش.

ويتوقف محمد ناصر بوحجام عند هذا الحدث ليبين الدرس الإيماني الذي ينبغي استخلاصه من هذه الصور، وكيف أن للمسلمين "تركوا أموالهم وأمتعتهم وكل ما يملكون، وفروا بدينهم إلى حيث يجلبون الجود للناس للعبادة، وأن هذا السلوك لا يصدر إلا من مؤمن أحلص الدين لله، فهو يتخلص من كل ما يمنعه من عبادة الله حق العبادة، ويترك كل ما يؤخره عن التوجه بسرعة نحو تحقيق هدفه³.

وقد تناول كتاب قصص السيرة الحدث لكن على تفاوت بين مفصل، ومختصر، ومكتفيا بالإشارة.

ففي "حياة الرسول" لدار الزيتونة يكثفي جماعة رجال التعليم بإشارات مختصرة للحدث، وهو إيجاز مجحف إذا ما نظرنا إلى وزن الحدث في مسار الدعوة مقارنة ببقية الأحداث، حيث لا يتجاوز بضع جمل، فيقول: "ولما اشتد بهم العذاب والابتلاء أمرهم الرسول أن يهاجروا إلى المدينة، وعلى رأس أصحابه عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين، ثم أذن الله للنبي بالهجرة، فصحب أبا بكر الصديق، فهاجرا معا إلى المدينة"⁴.

ونجد كمال قندوزي اختصر الحدث كذلك وركز على هجرة الرسول أكثر، واكتفى بالإشارة إلى هجرة أصحابه، بقوله: "أمر النبي أصحابه أن يخرجوا إلى يثرب والتي سماها للمدينة" وراح يتحدث عن هجرة للصطفى عليه السلام بما يناسب مرحلتي الطفولة للتوسطة والتأخرة، وهذا الإيجاز نجده كذلك في سعد الدين ددش، وربما مرده أمران:

- 1- الأبطح: جبل من جبال مكة.
- 2- محمد ناصر بوحجام، قصص من السيرة للفتيان والفتيات، وزارة الأوقاف، عُمان، 2007.
- 3- المرجع نفسه، ص5.
- 4- جماعة من رجال التعليم، حياة الرسول ﷺ، الزيتونة للإعلام والنشر، باتنة (د.ت)، ص 12.

- أن الحدث ليس مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بحياة محمد عليه السلام.
- أن المرحلة التي تتوجه لها ليست بحاجة إلى تفاصيل الأحداث والوقائع.
- والموضوع الذي يلي هذا الحدث هو هجرة النبي ﷺ، وغالب كتب السيرة تناولت هذا الحدث البارز من سيرته ﷺ، لأمرين:
- أنه كان نقطة تحول لحركة الدعوة الإسلامية من مرحلة الضعف والأذى إلى مرحلة القوة والدولة.
- أنه تضمن وقائع مثيرة، ولعل أبرزها محاولة القتل التي تعرض لها الرسول وكيفية نجاته منها.
- أنه تضمن دروساً إيمانية، في حسن التوكل، واليقين الراسخ بالمعية الإلهية، كقيلة أن تشبع عطش الطفل الناشئة لها حتى تستقيم شخصيته.

وقد أفاض محمد ناصر بوحجّام في الموضوع، إذ استهله بتخوف قريش من تلك الأعداد الهائلة التي تهاجر إلى يثرب من المسلمين لنشر دينهم، وماذا لو لحق بهم محمد، فإنه دعوته ستشتت أكثر، فراح يصوّر مكيدتها وتدميرها في معالجة الوضع، وذلك من خلال اجتماع دار الندوة الذي تم تداول القضية فيه، ليسفر عن اختيار مقاتل من كل قبيلة والاتفاق على موعد معين للقضاء عليه ضربة واحدة يتوزع بها دمه بين القبائل.

وراح الكاتب يثير مشاعر الفتى القارئ من خلال وصف حيلة قريش وما شابهها من عور فقال: حيلة مكررة دبرها الحاقلون على الدعوة الإسلامية، وتدمير حيث أشار به رأس الكفر أبو جهل.. افترق الجمع على أمل اللقاء في الوقت للموعود لتنفيذ الخطة التي تريحهم إلى الأبد من المتاعب التي يعانون منها، بسبب هذه الدعوة". ويعلق على هذا بقوله: "نسي هؤلاء أن عناية الله وتديره فوق كل تدبير، ومكره خير مكر.."¹. فهذه التعليقات تضيء على المشهد وضوحاً أكبر تجعله يترسخ بمختلف أبعاده لدى وجدان الطفل القارئ.

ويبين في تلك اللحظات العناية الإلهية برسوله ورسائله، لما يتزل جبريل ليخبره بمؤامرة قريش، ويعلمه أن الله أذن له بالهجرة، وحدد له وقت مغادرة مكة، "لا تبت تلك الليلة في فراشك الذي كتبت فيه".

ويصور الكاتب مشهد الهجرة في أسلوب شيق فيه شيء من الإثارة، حيث يخبر صديقه أبا بكر، ويتهيأ للخروج بعد تخطيط محكم للحدث من كل جوانبه، يوحى بدرس تربوي مفيد لخصه ناصر بوحجّام ضمن سبع بنود ذيل بها تلك الحلقة، من أبرزها:

- قوة الإيمان بالله تكون أمامها جميع اللهفات الأخرى من وطن ومال وغيرهما..
- الإيمان بالمعية الإلهية والتوكل عليه لا يمنعان من اتخاذ الأسباب والاحتياطات في كل الأمور.
- فداء الجندي قائده بحياته أمر مطلوب، لأن في نجاته سلامة للحركة.
- الاستعانة بالمشرّكين إذا كانت فيها مصلحة لا تضرّ، بل قد تكون مطلوبة أحياناً.

على خلاف هذا التفصيل نجد أيضاً من يتناول هذا الحدث في بضع جمل، فدار الخلدونية في "اعرف نيك" لم يجاوز الحدث سطر وبضع كلمات، وهو أمر فيه إخلال بالسيرة على الوجه الذي ينبغي أن تظهر عليه، حيث يقول: "ثم خرج رسول الله ﷺ

1- محمد ناصر بوحجّام، قصص من السيرة للفتيان والفتيات، قصة الهجرة إلى المدينة، وزارة الأوقاف، عُمان، 2007، ص6.

هو وأبو بكر إلى المدينة فتوجهوا إلى غار ثور، فأقاما فيه ثلاثاً، وعمي أمرهم على قريش، ثم دخل المدينة فتلقاه أهلها بالرحب والسعة، فبنى فيها مسجده ومثله¹.

والأمر على غير عادته لإيلاس بن ساعد في "السيرة النبوية الشريفة" حيث لم يتناول الحدث بالتفصيل الذي دأب عليه مع الأحداث السابقة، فقد اختصره اختصاراً شديداً فوّت به جوانب مثيرة كان يمكن أن يتعرض لها كما فعل مع بقية الأحداث².

وعلى خلاف هذا فقد استوفى كاتب "محمد رسولي وقائدي وقُدوتي" الحدث، رغم كونه موجهاً إلى مرحلة الطفولة للتوسّط والتأخّر، فأوجز وبين بما يفني بالغرض من الحدث، وبالأخص لما تحدث عن مشهد استقبال المسلمين له ولصاحبه على مشارف يثرب³.

واستعرض عبد الحق سعودي في قصته "السيرة النبوية" مشاهد حوارية مختصرة ومناسبة، حول ما كان يجري من حديث في دار الندوة بين زعماء قريش، في كيفية صد محمد عن المحجرة، ثم تحدث عن كيفية خروج النبي عليه السلام من بيته في عبارات مثيرة، تشوق الطفل لمزيد القراءة، لولا الإخراج الفني الذي أثر على مردوديتها القرائية، كما التفت لمشهد لطيف يثير فضول الطفل، وهو انتظار المسلمين لمقدم الرسول، حيث يقول: "كانوا يخرجون إذا صلوا الصبح إلى ظاهر المدينة، ينتظرون رسول الله ﷺ، لا يرحون حتى تغلبهم الشمس على الظلال، حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ جلسوا كما كانوا يجلسون، حتى إذا لم يبق ظل دخلوا بيوتهم، وقدم رسول الله ﷺ حين دخلوا بيوتهم، ومعه أبو بكر رضي الله عنه، وأكثرهم لم يكن رأى رسول الله ﷺ قبل ذلك، وازدحم الناس عليه ما يعرفونه من أبي بكر، حتى زال الظل عن رسول الله ﷺ فقام أبو بكر فأضله برداته فعرفه الناس عند ذلك"⁴.

وقد اختلف الكتاب في تناول بعض المشاهد البسيطة في أحداث هذه المرحلة، من ذلك كيفية تعامل قريش مع علي لما علموا بخروج النبي من بين أظهرهم، فهناك من يشير إلى انصرافهم وانشغالهم بالبحث عن النبي، وهناك من أشار إلى أنهم أخلوا علياً واستنطقوه ساعة أمام الكعبة فأنكر أن يكون له علم بشيء، وعلى كل فهو أمر ينبغي أن يتنبه له كتاب السيرة، لأنه لا يمكن أن تغفل قريش عن علي، وقد كان سبياً في تضليلها، وبالتالي ينبغي الإشارة إلى ما قامت به قريش تجاهه في هذه الواقعة.

يتناول سعد الدين ددش استقبال المسلمين للرسول وأصحابه ويذكر أنه التحق بهما علي بن أبي طالب لما أرجع أمانات أهل مكة، ويستقبل الوفد الحمدي على مشارف المدينة، فيصور ددش في لحظات مختصرة ومناسبة أجواء الاستقبال، ويبين أن أول عمل قام به محمد وصحابته هو بناء المسجد، ثم بيته عليه السلام، ليقوم بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار اثنين اثنين، وبعدها يسن وثيقة تضبط العلاقات بين المسلمين فيما بينهم من جهة وبينهم وبين اليهود للتساكين معهم.

1- مجهول المؤلف، اعرف نبيك، دار الخلدونية، القبة، الجزائر، 2006، ص 12.

2- ينظر إيلاس بن ساعد، السيرة النبوية الشريفة، دار السجلات، الجزائر، (د ت)، ص 25.

3- مجهول المؤلف، محمد رسولي وقائدي وقُدوتي، دار المعرفة، ص 19.

4- عبد الحق سعودي، السيرة النبوية - حلقة 8-، شركة الشهاب، 1990، ص 11.

ويتفرد محمد ناصر بوحجّام ببعض الأحداث الهامة التي وقعت بالمدينة المنورة في سبيلها الأولين بتفصيل¹، وذلك إنما يتناسب والطفولة التي يتوجه لها، فقد تناول مسألة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وما رافق الحدث من استفزازات اليهود، وما نزل الله من قرآن في شأنه، وكذا قصة بداية الأذان، وما تثيره من معاني نبد التقليد والتشبه بغير المسلمين.

ويختصر "حياة الرسول محمد" للرحلة للمدينة في بضع أسطر تلمح إلى أبرز ما وقع في المدينة، مبينا اهتمام المسلمين بالعمل زراعة وصناعة وتجارة على حساب اليهود الذين كانوا مسيطرين، وبعدها يوجه الأحداث صوب فتح مكة، ولم يتحدث ولو بالإشارة عن مسيرة الجهاد التي مرت بها الحياة بالمدينة، والتي كانت أساسا لفتح مكة، وإنما عرض حياة الرسول بالمدينة وكأنها حياة دولة عريقة في الحضارة، همها الأول هو تحسين الوضعية الاقتصادية، وهذا خلاف ما قدمته مصادر السيرة عن هذه المرحلة.

ثامنا - مرحلة الجهاد:

تمثلت أبرز أحداثها في الآتي: السرايا والبعوث - الغزوات: بدر، بني قينقاع، السويق، أحد، حمراء الأسد، بنو النضير، دومة الجندل، بني المصطلق، الأحزاب، بنو قريظة، صلح الحديبية، غزوة خيبر، عمرة القضاء، وقعة مؤتة، فتح مكة، حنين، تبوك، - حجة أبو بكر.

- مدى إلمام كتاب السيرة بهذه المرحلة: بعد تأسيس دولة الإسلام، بدأت مرحلة توطيد الأركان وتثبيت الوجود، ونيل الاعتراف من مختلف القوى المنتشرة على ضواحي المدينة وجزيرة العرب والعالم تدريجيا، ولم يكن ذلك لولا سلسلة بطولات خاضها الرسول رفقة أصحابه، تُوجت بعرض سلطان العالم بعد بضع سنين، وقد خاض كتاب السيرة الجزائريين تجارب في تقديم هذه المرحلة للأطفال، وإن تعددت وتفاوتت حسب ما سيأتي.

فهناك من أفرد هذه المرحلة بسلسلة قصصية تناولت بالتفصيل أبرز الغزوات، وهو ما فعله إلياس بن ساعد في "سلسلة غزوات الرسول"، ود. محمد ناصر بوحجّام في ثلاث عشرة حلقة من مجموع حلقاته الثلاثين في "سلسلة من قصص السيرة للفتيان والفتيات"، بينما هناك من اكتفى بعرض أبرز الغزوات عرضا مختصرا في ثنايا السيرة النبوية، أفردا بعنوانين خاصة تحتوي على أبرز مجرياتها ونتائجها، وهو ما فعله سعد الدين ددش، وهناك فريق ثالث اكتفى بمجرد الإشارة لأبرز غزوات المرحلة وأحداثها ونتائجها، وهو الذي فعله إلياس بن ساعد في السيرة النبوية الشريفة، حيث توقف عند غزوة بدر بتفصيل قليل ثم أقل منه في أحد، ليكتفي بعده ببيان الطابع العام للمرحلة وكيف أهما كانت سببا في فتح مكة وتحقيق التمكين في الأرض، وقندوزي كمال في "نبي الله محمد" يتوقف في انتصار بدر وهزيمة أحد ويكتفي بالإشارة إلى ما تلاه من غزوات، ويبين الدرس الأخلاقي في أسباب النصر والهزيمة، وبهذا الحجم يتناول "محمد رسولي وقائدي وقديوتي" هذه المرحلة، وهو عرض يتناسب والطفولة للتأخرة، بحيث يأخذ الطفل فكرة عن جهاد الرسول وأبرز بطولاته، بينما "اعرف نبيك" لدار الخلدونية أشارت تحت عنوان "غزواته" إلى مشروعية القتال، وعدّد الغزوات والسرايا التي بلغت سبعا وعشرين غزوة، قاتل منها في تسع...، وبعث ستا وخمسين سرية²، ولم يُشر "حياة الرسول محمد" لجماعة من رجال التعليم ولو من قريب إلى طبيعة المرحلة، ولا إلى أي من غزواتها كما بينا سلفا.

1- اكتفى إلياس بن ساعد بالإشارة إلى موضوع تحويل القبلة، ينظر إلياس بن ساعد، السيرة النبوية الشريفة، ص 28.

2- مجهول المؤلف، اعرف نبيك، دار الخلدونية، (دب)، ص 12.

وتكمن أهمية المرحلة في كونها تساهم في بناء شخصية الأطفال من جوانب عدة أبرزها:

— التحلي بروح البطولة وللعامرة والشجاعة كفيل بتحقيق النجاحات.

— ضرورة التنظيم والتخطيط كأساس لنجاح المشاريع مهما كانت صعوبتها.

— أهمية العمل الجماعي ووحدة الصف في تعزيز مكاسب النصر وتقليل عواقب الخزيمة أمام تحديات الحياة.

— قوة الصبر ورسوخ اليقين بالمعية الإلهية بعد اتخاذ الأسباب قاعدة أساسية في ضمان تحقيق الأهداف المرجوة.

وعليه فقد تفاوت الكتاب في عرض غزوات الرسول من جهتين:

أ— من جهة تناول أبرز الغزوات، نجد من يوسع ومن يضيق فيها، فإلياس بن ساعد في "سلسلة غزوات الرسول" يتناول أبرز ثماني غزوات، بينما هناك من يتناول عددا أكبر منها تبعا للفتة التي يتوجه لها، فمحمد ناصر بوحجام توجه بقصصه إلى مرحلة الفتيان والفتيات، فاحتاج إلى تفصيل وبيان أكبر لأحداث المرحلة، مما جعله يتوسع في ذكر كثير من غزوات الرسول وسراياه، بينما الأول كانت سلسلته موجهة إلى فئة الطفولة للتأخرة، فحدّد غزواته بثمانية، هي: بدر، أحد، والخندق، والحديبية، وفتح مكة، وغزوة تبوك.

ب — طريقة عرض الغزوات، من الكتاب من يتناولها ضمن إطار أحداث السيرة النبوية في نطاقها العام، كما فعل د. محمد ناصر بوحجام في "سلسلة من قصص السيرة للفتيان والفتيات"، ومن يفرد لها في سلسلة مستقلة، وهو الذي فعله إلياس بن ساعد في "سلسلة من غزوات الرسول".

تاسعا- الأيام الأخيرة في حياة الرسول ووفاته:

تمثلت أبرز أحداثها في: حجة الوداع-إرسال جيش أسامة إلى اليرموك-مراسلة الملوك-مبايعة الوفود-الوفاة.

— مدى إلمام كتاب السيرة بهذه المرحلة: نجد قصة "اعرف نبيك"¹ تتناسب ومرحلة الطفولة للتوسطة، فرغم كونه من بين أبرز الكتابات الجزائرية التي اهتمت بالاعلاف والإخراج الفني، بحيث يتوقع الطفل القارئ في أول وهلة أنه سيمتعه بمشاهد رائعة من حياة الرسول فإذا به يفاجأ في أول صفحة بأنه كتاب وعظي إرشادي محض، حيث يفتتحه بمقدمة شبيهة باستهلال الخطباء، ثم يقدم السيرة في شكل درس تعليمي مقسم إلى عناصر مرتبة ومختصرة جدا، تحيل السابقة منها إلى اللاحقة، فيلونها بعنوان: نسبه، ثم أسماؤه، فولادته، ثم يعقب مع بقية الأحداث في بنية مفككة، لا تمد الطفل بنفس يتمتع به، ويستشعر مجريات الأحداث، لذلك فهي ليست قصة بمفهومها الفني، ذلك أن صاحبها أرخ لحياة الرسول عليه السلام، فهو يكتب تاريخا لا قصة.

وإذا نظرنا إلى مساحة المحطات التي توقف عندها، نجد الكاتب لم يوفق أحيانا في توزيع المساحات بما ينسجم والمرحلة التي تناسبها، حيث فصل فيما لا ينبغي التفصيل فيه، واختصر فيما به الحاجة، ومن ذلك تناوله لنسب الرسول مفصلا بحيث لا يستفيد الطفل من حشد أسماء أجداد النبي بتلك الصورة، وإنما لو اكتفى بذكر اسمين أو ثلاث من أجداده ثم ربط امتداده إلى إسماعيل بن

1- مجهول المؤلف، اعرف نبيك، دار الخلدونية، القبة، الجزائر، 2006.

إبراهيم عليهما السلام ليرز بذلك طهارة نسبه، وأجل هذا التفصيل إلى للرحلة المدنية من حياته، حيث اختصرها في صفحة واحدة، وفيها جوانب مهمة يحتاجها الطفل، كالبطولة والتضحية والصبر.

ورغم هذا لا تخلوا هذه السيرة من بعض الإثارات اللفظية وللعنوية التي تجلب انتباه الطفل القارئ، فمن الإثارات اللفظية إدراجه لجمل اعتراضية تدغدغ مشاعر الطفل، كقوله "اعلم -رحمني الله وإياك-". "ومن الكتاب من يعتبرها أمر زائد، يناسب الكبار أكثر مما هو للصغار، ومن الإثارات للعنوية وقوفه في بعض محطات السيرة لاستلهاهم بعض العبر والخصائص النبوية، فبعد ذكر نسبه وأسمائه عليه السلام توقف ليلفت انتباه الطفل إلى طهارة نسبه الشريف، وبعد ذلك يتوقف في بعض الأحداث ليعين عناية الله برسوله، وليبرز بعض كريم خصاله.

وما يشفع في هذا الكتاب هو إشارة صاحبه في المقدمة على أنه عبارة عن "رؤوس أقلام في سيرة النبي، قصد بها فتح الطريق لدراسات أعمق لهذه السيرة النبوية الخالدة".

وما كان ناقصا في كتاب دار الخلدونية حاول إلياس بن مساعد إتمامه في كتابه السيرة النبوية الشريفة الذي طبعته دار السجلات، حيث يتناول عرضا تاريخيا لحياة الرسول، والذي يتناسب ومرحلة الطفولة للتأخرة، إلا أنه لم يحافظ على ما تميز به الأول من ناحية الإخراج الفني، فكان متواضعا لا يثير اهتمام القارئ في تنسيق غلافه الخارجي، ولا حتى في تنسيقاته الداخلية.

جدول رقم (4) يبين القصص الذي تناول موضوعات تاريخية

من السيرة النبوية

المؤلف	القصة	دار الطباعة والنشر
إلياس بن مساعد	السيرة النبوية الشريفة	دار السجلات، الجزائر
ساعد العلوي	الحبيب المصطفى مولده وصباه	المكتبة الخضراء، الجزائر
سعد الدين دداس	السيرة النبوية الميسرة	دار الهداية، الجزائر
عبد الحق سعودي	السيرة النبوية	شركة الشهاب، الجزائر
عبد الحميد توفيق	حياة النبي	شركة قروي وأبنائه، باتنة.
عمار بلعلي	قصص الأنبياء للأطفال	دار الهداية، قسنطينة، الجزائر
قندوزي كمال	من صحيح قصص الأنبياء "محمد"	المكتبة الخضراء، الجزائر
محمد ناصر بوحجام	قصص من السيرة للفتيان والفتيات	وزارة الأوقاف، سلطنة عمان
مجهول المؤلف	محمد ﷺ	منشورات القصبة، الجزائر
مجهول المؤلف	قصص الأنبياء للأطفال "محمد"	دار البدر للطباعة، الجزائر
مجهول المؤلف	اعرف نبيك محمد	دار الخلدونية، القبة، الجزائر

2. 2. - القصص الديني:

يتناول القصص الديني موضوعات دينية تدور حول العبادات والمعاملات والعقيدة وسير الأنبياء، "وما أعده الله لعباده من ثواب أو عقاب، وأحوال الأمم الحالية، وعلاقتها بقضية الإيمان بالله تعالى وموقفها من الخير والشر"¹، والحلل للمحظوظ هو أن كثيرا من الكتاب والخطباء الذين يكتبون السيرة النبوية أو يلقون فيها دروسا، يحصرون قضية الخلاف بين الجاهلية والإسلام في عبادة الأصنام وبعض القضايا الأخلاقية، مثل تحريم الزنا وشرب الخمر ووأد البنات، وأن الغزوات كانت لمعالجة مشاكل الحوار ولأمور اقتصادية ونحو ذلك، وهو من البتر الذي لا يُقبل.

وإنما كانت ولا زالت القضية الكبرى التي انتبخت منها باقي القضايا هي قضية الطاعة لمن، أو السلطان يكون لمن؟ أو بتعبير آخر من تعبد؟ الله في صورة شرعة؟ أم الشيطان في صورة للنهائج الأرضية التي زينها لأوليائه؟ وهو نوع يحفل بالمضمون أو الفكرة وسياقها الفني، وأساسه لدى الكاتب هو إيصال معنى معين للمتلقي بوسيلة فنية بارعة، وبذلك يمكن القول أن الشكل وسيلة والفكرة رسالة، ويجب أن تكون الفكرة مقنعة عميقة، مقدمة بصورة قوية، وموحية بأهميتها وآثارها الخطيرة، وتفاعلها في الحدث من خلال الأقوال والأفعال والعواطف.

ومن الضرورة في هذا اللون الحرص على الإيحاء إلى الطفل بسلوك ما، أو بمشاعر معينة، على أن يؤدي ذلك بصيغة فنية مناسبة، محافظة بذلك على القيم الجمالية لها، لكي يتعامل الطفل معها بطريقة مباشرة، وتتفاوت مهارات الكتاب في هذا الصدد².

وطبيعة أهداف هذا النوع من القصص يختلف مقارنة بأهداف باقي أنواع القصص، تبعا لاختلاف مضامينها، إذ أننا أمام موضوع لا سبيل فيه إلى التسلية أو استشارة الخيال، إنما أمام مهمة محددة: أن نقدم صورة سليمة وصحيحة لعقيدة هي بالنسبة لنا كمسلمين الإسلام بأركانها وعلومه التي نقدم بها تصورا سليما عن الخالق عز شأنه وما أمر به، عن طريق أولئك الذين سعوا عبر العصور إلى التمكن لدينه في الأرض، لذلك تهدف القصص الدينية إضافة إلى ما سبق نحو:

- تقديم حقيقة الحياة الدنيا، وكيف أكلها ممر للحياة الآخرة التي هي خير وأبقى.

- تقديم الصورة اللاحقة للإنسان، بوصفه خليفة الله في الأرض.

- تعريف الطفل بعقيدته، وبربه، وبواجبه نحو الله والعقيدة.

ولتحقيق ذلك يجدر بالقصص التي يقتبس كتابها للموضوعات الدينية من السيرة النبوية أن³:

- تحرص على ربط الأطفال بالدين عن طريق الحب لا القهر والخوف، وأن تعلمهم الرحمة حتى ترسم في عقولهم صورة عن رحمة الله بعباده.

- تدور موضوعاتها حول: التوحيد، والإيمان بالله، والصراع بين الخير والشر وهما يعملان داخل نفس الإنسان، وكيف يمكن للإنسان أن يتقي الخطر حتى لا يجد نفسه في معسكر الشر، وهذه للموضوعات أنسب إلى أطفال ما قبل المدرسة، وأطفال

1- حسن شحاته، قراءات الأطفال، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1989، ص 107.

2- ينظر نجيب الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص 71، 73.

3- كمال الدين حسين، فن رواية القصة وقراءتها للأطفال، ص 64.

للمدرسة الابتدائية — مرحلي الطفولة المبكرة والمتوسطة — أما للرحلة المتأخرة فالأمر يتجاوز بساطة هذه المواضيع إلى أخرى أكثر تعقيدا تتصل أساسا بالفروض والواجبات وفقه للعاملات، والجنة والنار وغيرها مما يصعب على طفل أقل من التاسعة استيعابها.

—تتم بالشكل القصصي الذي جاء به القرآن الكريم.

وهذا النوع موجود دائما، غير أنه يكثر ويتقدم ويتشرب بقوة أحيانا، ويتوارى حتى يكاد يختفي أحيانا أخرى، تبعا لعلو الحس الديني أو هبوطه في المراحل الاجتماعية والسياسية المختلفة¹.

ومن العوامل المرتبطة بالمضمون في انقراطية هذه القصص:

— أن يكون عرض أحداثها منطقيا ومتناميا، وأن تدور حول القيم التربوية، وأن تتركز على البطولة والأبطال وتضحياتهم، وتثير الإحساس بالتفاؤل والأمل، وأن يعتمد البطل فيها على التفكير وحسن التصرف، ويكون الصراع فيها قائما بين الخير والشر ويتصر الخير، وتصف بدقة بطل القصة والأماكن، وتحكي عن مساعدة الضعفاء وتثير التفكير والتأمل.

ولم نثر في عينة الدراسة من القصص التي استوحيت من السيرة النبوية موضوعات دينية إلا ثلاث قصص، هي: "محمد رسولي وقائدي وقلوبي"، و"الرجل العاصي" و"انصر نبيك"، وما نجد أحيانا في ثانيا أحداث السيرة، إذ يتناولها الكاتب عرضاً، ويقدر ما تخدم موضوعه العام².

جدول رقم (5) يبين القصص الذي تناول موضوعات دينية

المؤلف	القصة	دار الطباعة والنشر
أياد عيساوي	الرجل العاصي	مكتبة الريام، الجزائر
مجهول المؤلف	انصر نبيك	دار الخلدونية
مجهول المؤلف	محمد رسولي وقائدي وقوتي	دار المعرفة

2. 2. 3- القصص الاجتماعي:

يعالج القصص الاجتماعي مشكلة في المجتمع أو يصور إحدى بيئاته، ويتسع هذه القصص للنواحي العاطفية، وتصوير التراتب الإنسانية، كالحب والإيتار والتعاون، وللكر والجشع والكيد ونحو ذلك، وهذا النوع من القصص يتجه دائما إلى رسم للناس العلياء، وتصوير المجتمعات الفاضلة وفق معيار أخلاقي³، فهو يشجع الحب والإيتار والكرم والتضامن، ويقدم نموذجا منفردا لما عداها من القيم، مقدما بذلك النصيحة وسيلة لرسما وتبنيها في إطار فني مشوق خال من الخيال.

1- ينظر حلمي التواتي "النص، الرسم، الواقع الاجتماعي في كتب الأطفال العربية"، مجلة الحياة الثقافية، تونس، عدد 40، سنة 1986، ص 115.

2- نجد من هؤلاء محمد ناصر بوحجام، لما يستعرض بعض المضامين الدينية على لسان الرسول، أو على لسان الراوي، ومن ذلك قصة "محمد وبدء الدعوة" حيث يطلق العنان للراوي لبيان موضوع الدعوة التي جاء بها محمد بن عبد الله، والتي تتلخص في أفراد العبودية لله، ونبذ الأصنام وما إلى ذلك. ينظر محمد ناصر بوحجام، قصص من السيرة .. قصة محمد وبدء الدعوة، وزارة الأوقاف، عُمان، 2007، ص 4.

3- عبد العليم إبراهيم، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، دار المعارف بمصر، ط5، 1981، ص 373.

وعلى غرار القصص الديني، فلم يحفل هذا النوع من القصص باهتمام بارز من كتاب قصص الأطفال، رغم ما فيه من مضامين يعد الطفل في أمس الحاجة إليها، حيث لا نكاد نعثر إلا على قصة واحدة هي: "حياة الرسول"¹، تناولت موضوعات متعلقة بما ينبغي أن يتحلى به الطفل من آداب للتعامل في علاقته بالآخرين، مثل الحلم والأناة، العفو والصفح، الشفقة والرحمة، الكرم والجود، بر الوالدين، حب الله ورسوله.

2. 2. 4- قصص الغزوات:

اصطلح كتاب المغازي والسير على تسمية كل معركة شارك فيها النبي بالغزوة، وما لم يخرج فيها خلال حياته يسمى سرية²، وقصص الغزوات أقرب إلى قصص للمغامرة والبطولة، لاشتراكهما في كثير من السمات، ذلك أن للمتعة في هذا اللون من القصص تكمن في "غربة المشاهد والحوادث، والشجاعة الفائقة، وصنوف الحيل البارة، والمواقف المحرجة التي تثير الطفل القارئ، كما تكمن أيضا في المخاطر التي تحق بالمغامرين والأبطال من كل جانب"³.

والطفل في مرحلة الطفولة للتأخرة، والتي تسمى أيضا بمرحلة للمغامرة والبطولة تتعلق شديدا بهذا النوع من القصص التي يقوم بها أناس غير عاديين في الحياة، "وهذا التعلق مرده نفسي بالدرجة الأولى، حيث تفرض طبيعة القيم الإنسانية وجود البطل كوسيلة للتغلب على الصعاب، واصطناع للمهارات للتخلص من العوائق التي تعترض طريقه، ولا شك بأن القصة التي تجعل من البطل محوراً رئيسي، إنما تدعو الأطفال للحنو حنوه بالتشبه به، وبالأعمال التي قام بها"⁴.

وقد اهتم كتاب قصص السيرة النبوية بهذا النوع، وظهر ذلك خصوصا في سلسلة "من غزوات الرسول" لإلياس بن ساعد، و"غزوات الرسول للأطفال" لمصطفى وهبه، وسلسلة "قصص من السيرة للفتيان والفتيات" لمحمد قاسم ناصر بوحمام، و"غزوات الرسول للأطفال" لعبد اللطيف عاشور.

وقد تعدد تناول الكتاب لهذا النوع من القصص من حيث الحجم والترتيب والعدد، أما من حيث الحجم فنجد "غزوات الرسول للأطفال" لعبد الطيف عاشور يتناول 11 غزوة، بينما "غزوات الرسول" لمصطفى وهبه يتناول 14 غزوة، حيث لم يشر الأول إلى كل من بني قينقاع، وذات الرقاع وغزوة مؤتة، وكذا في ترتيب الغزوات، حيث نجد بني المصطلق في الأول يذكرها قبل الأحزاب وبني قريضة، بينما الثاني يذكرها بعدهما.

أما من حيث طريقة تناول الكتاب لهذه الغزوات فنجد إلياس بن ساعد في "غزوة الأحزاب" ضمن سلسلة غزوات الرسول يحشد الوقائع في تراكم أضفى على الغزوة تعقيدا منفرا، حيث لم يوفق في تبسيط وعرض بعض وقائعها، مثال ذلك واقعة إسلام نعيم بن مسعود من غطفان وكيف طبق وصية رسول الله "الحرب خدعة"، حيث عمل على إشعال نار الفتنة والشقاق في

1- جماعة من رجال التعليم، حياة الرسول ﷺ، الزيتونة للإعلام والنشر، باتنة (د.ت).

2- راجع عبد الحميد الكردي، وماجد محمد أبو رخي، السيرة النبوية، مكتبة الضامري، عُمان، ط4، 1998، ص 179.

3- ينظر René Léon. La littérature de Jeunesse a l'école hachette. Paris 1994. P 154.

4- حسن مرعي، المسرح المدرسي، دار ومكتبة الحياة، بيروت، 1993، ص 32.

صفوف الأعداء، بين قريش و غطفان من جهة مقابل يهود بني قريظة، فطفل في هذه المرحلة ليس بحاجة إلى ذكر تفاصيل الواقعة بهذا الحشد والتعقيد.

إلا أنه وفق في توظيف عبارات توحى بالإثارة والتشويق، ومن ذلك لما ذكر واقعة إشارة سلمان النبي بحفر الخندق فعقب عليها بقوله "لقد كانت فكرة فريدة لم تستعملها العرب قبل، فأعجب بها الرسول وأصحابه"، وكذا في دعوة النبي للمسلمين إلى طعام جابر بعد أن أهكهم الجوع، حيث دعا جابر الرسول ورجلين معه، فإذا بالنبي يدعو القوم جميعاً إلى وليمة جابر، ونجد الكاتب موفقاً في تصوير اندهاش جابر لفعل النبي، إذ يقول: "لقد تفاجأ جابر لفعل النبي، وتملكه الخوف للحظات، إذ لا طاقة له على إطعام كل ذلك العدد!!".

وما يعاب عليها عدم وجود صور توضيحية للمشاهد أمام حشد الوقائع والأحداث والأماكن والأشخاص، حيث لا توجد أبسط صورة توحى بمضمون القصة كصورة عن الخندق مثلاً.

جدول رقم (6) يبين القصص الذي تناول غزوات النبي ﷺ

المؤلف	القصة	دار الطباعة والنشر
إلياس بن ساعد	سلسلة من غزوات الرسول	دار السجلات، الجزائر
عبد الحميد توفيق	بدر الكبرى	شركة قرفي وأبنائه، باتنة، الجزائر
محمد ناصر بوحجام	غزوة بدر	وزارة الأوقاف، سلطنة عمان
//	غزوة أحد	//
//	غزوة بني المصطلق	//
//	غزوة الأحزاب	//
//	صلح الحديبية	//
//	غزوة مؤتة - فتح مكة	//
//	غزوة حنين - غزوة تبوك	//

2.2. 5- قصص المعجزات:

تعريف المعجزة: هي الأمر الخارق للعادة، والذي يعجز الناس عن الإنيان بمثله، وهي دليل على النبوة وبرهان على صدقه، فما لم تؤيد رسالة نبي بمعجزة فإنها لا تكون محل تصديق واتباع.

فقد أرفقت رسالة عيسى بمعجزات، حيث كان يحيي الموتى، ويرئ الأكمه والأبرص، وسيدنا موسى بعصاه لما تحولت حية فالتهمت حبال السحرة، ولما يدخل يده في جيبه ثم يخرجها فإذا هي بيضاء للناظرين، أما محمد ﷺ فقد أيد بمعجزات عديدة، أعظمها كان معجزة بيان القرآن الكريم، إلى جانبها فقد أيد بمعجزات أخرى، كمعجزة الإسراء والمعراج، وكسر الصخرة يوم الخندق، وغيرها.

وللتأمل لكتابات الأدباء الجزائريين تصادفه ندرة في تناول هذا النوع من الموضوعات، رغم ما فيها من نزوع بارز نحو الدهشة والإثارة، واستمالة قلوب القراء الأطفال، إذ لم نعتز سوى على ثلاث قصص تناولت معجزتين هما: "الإسراء والمعراج" لإلياس بن ساعد¹، وقصتي: "محمد وبدء نزول الوحي"، و"محمد وحادثة الإسراء والمعراج" لمحمد ناصر بوحجام².

ومن أفرد قصصا فيها من الكتاب العرب غير الجزائريين نجد محمد بيومي في "معجزات النبي للأطفال"³، وفيه عرض للمعجزات، ولكن أضاف لها الشمائل والفضائل، كما كتب محمد حمزة السعداوي "معجزات النبي للأطفال"⁴.

كما نجد من الكتاب من جمع عددا من المعجزات في قصة واحدة، ومنهم من أفرد إحداها بالتناول، والضابط في هذا أمران: - أولهما: مضمون المعجزة، وما اكتنفها من أحداث ومجريات، إذ قد نجد معجزة اكتنفها وقائع كثيرة، من شأن الكاتب أن يفردها بالتناول، كمعجزة الإسراء والمعراج، وهو ما فعله إلياس بن ساعد، كما نجد معجزات أخرى لا تعدو أن تكون مجرد واقعة مثيرة، فمن شأن القاص أن يجمع عددا منها في قصة واحدة.

- ثانيهما: فئة الأطفال الذين تتوجه لهم هذه الموضوعات، فبقدر ما يرتفع نحو الطفولة للتأخرة والمراهقة بقدر ما يفسح المجال للكاتب في تناول المعجزات الكثيرة في قصة، وبقدر ما يتوجه بقلمه نحو الطفولة للتوسطة فإنه مضطر إلى تناول معجزة بسيطة.

2.2. 6- قصص الحيوان:

يحتل الحيوان مساحة واسعة في القصص المكتوب للأطفال منذ نشأة هذا اللون من الأدب، ولا سيما تلك الحيوانات التي تعيش مع الإنسان، فالطفل ميال بطبيعته إليها، يحب ملاحظتها، وله شغف كبير للاستمتاع بقراءة ومشاهدة وسماع قصصها. والقصص الحيوانية حكايات مستظرفة، وأحاديث مستملحة تتضمن أقوالا وأفعالا تعزى إلى الحيوانات، ويقصد منها تهذيب الأخلاق، وتقويم السلوك، وإذاعة الآداب الرفيعة، ونشر الحكم الصالحة بطريقة جذابة، وأسلوب مؤثر خلّاب⁵.

وتعد الحكاية على لسان الحيوان من أقدم أنماط القصص الشعبي الذي لا يزال نابضا بالحياة حتى يومنا هذا، ولعل ما يميز هذا النوع من القصص بين كل الأجناس الأدبية، أن الحيوان هو الذي يلعب دور البطولة فيه، كما يميزه أيضا أنه يروى تورا وينظم شعرا، إلى جانب هذا فهو قادر أن ينفذ بيساطته وعبقريته الجمالية إلى للتلقي على اختلاف مراحل العمرية والثقافية، فيخاطب الكبير والصغير والمتعلم وغير المتعلم، والحاكم والمحكوم، فهو كالأسطورة قادر على أن يهب كلا منا شيئا، حيث أن ظاهره هو وباطنه حكمة⁶.

- 1- إلياس بن ساعد، قصة الإسراء والمعراج، دار السجلات، الجزائر، (د.ت).
- 2- محمد ناصر بوحجام، قصة محمد وبدء الوحي، وقصة محمد وحادثة الإسراء والمعراج، سلسلة قصص من السيرة للفتيان والفتيات، وزارة الأوقاف، سلطنة عمان.
- 3- محمد بيومي، معجزات النبي للأطفال، دار النجاح للكتاب، الجزائر (د.ت).
- 4- محمد حمزة السعداوي، معجزات النبي للأطفال، منشورات ميموني، الجزائر.
- 5- محمد مرتاض، من قضايا أدب الطفل، ص 105.
- 6- ينظر محمد رجب النجار، حكايات الحيوان في التراث العربي، مجلة عالم الفكر، الكويت، عدد 1-2، مجلد 24، سنة 1995، ص 187.

وإذا كانت الآداب القديمة والحديثة قد عرفت القصص الحيواني، فإن الأدب الجزائري سواء في شكله الشفوي الشعبي أم في شكله الرسمي الفصيح قد شهد هو الآخر هذا اللون من القصص.

ففي الأدب الشعبي الجزائري حكايات كثيرة تقوم الحيوانات بأدوار رئيسية فيها، وتشارك مع شخوص آدمية في تلخيص تجربة، أو الوصول إلى غاية أخلاقية وعظيمة، وتعطي الحكاية للحيوان روحا ووعيا، وتجعله شبيها بالإنسان، ويستغل المجتمع الشعبي معرفته بطباع الحيوانات في نسج خيوط القصة، ويان ما يهدف إلى إيصاله من اللواعظ والتجارب¹.

وإذا كان لقصص الحيوان وظائف متعددة في أدب الكبار، كالوظيفة السياسية، والوظيفة التربوية، والوظيفة الجمالية، فإنه في أدب الأطفال يتوقف غالبا عند الوظيفة التربوية "وهي وظيفة تعليمية ممتدة الأبعاد والغايات، تستهدف النقد الاجتماعي والأخلاقي، فهي تتجاوز تقويم العادات أو تدعيم التقاليد أو تأكيد القيم ولمثل العليا، أو تشريح أنماط السلوك، أو تسديد اعوجاج خلقي أو اجتماعي، أو تعليم درس علمي.. أو كشفا للطباع"².

وقصص الحيوان تشكل وعاء واسعا لنشر الأفكار والسلوكات التي يرغب في أن يتحلى بها الأطفال، موازنة مع ما يمكن تقديمه عبرها من مختلف المعارف والخبرات، وما يرجى أن يتحلى به الصغار من الأخلاق والصفات النبيلة.

يقول عبد التواب يوسف نقلا عن ماري هل أربنتوت: "ليس أسير من أنسنة الحيوان وإضفاء صفة البشر عليه، أما بقاء الحيوانات على حالها موجهة حديثها للأطفال فهو مفيد ورائع"³.

ومن عوامل انقراطية قصص الحيوان مما هو مرتبط بمضمونها أن تعرض مغامرات مثيرة وسريعة، فيها مزج الخيال بالواقع، وإثارة الإحساس بالتفاؤل والأمل، وتحكي عن مساعدة الضعفاء، وتصف بدقة بطل القصة والأماكن.

وهناك من الكتاب من حاول توظيف الحيوان في قصص السيرة، لما له من أهمية مرتبطة بمرحلة الطفولة من جهة، ولما لهذه العناصر من حضور فاعل في الأحداث، فاستعمل الحيوان، وأشياء أخرى من الطبيعة، تعتبر نمطا جديدا في كتابة السيرة النبوية جدير بالاهتمام، وإن لم نعثر على من خاض هذه التجربة من الكتاب الجزائريين.

ينما نجد عبد التواب يوسف استعان في سلسلته الرائعة "حياة محمد في عشرين قصة" بعنصر الحيوان، في توظيف أدبي وفني دون أن يشوه من مصداقية الواقعة التاريخية⁴، حيث حاول أن يستعين بمختلف الحيوانات التي كان لها حضور في السيرة النبوية، كالفيل في حادثة أبرهة، والقصواء في أيام الهجرة، والحمامتين في وقفة غار ثور، وأسند إليها أدوارا قصصية، فكانت بذلك نمطا جديدا في كتابة السيرة النبوية للأطفال، يجمع بين التحري التاريخي، والخصائص النفسية والوجدانية والفنية للطفل.

1- عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص124.

2- محمد رجب النجار، حكايات الحيوان في التراث العربي، ص209.

3- عبد التواب يوسف، الطفل العربي والأدب الشعبي، الدار المصرية اللبنانية، مصر، 1992، ص79، 80.

4- حصل العمل على جائزة راعية ثقافة الطفل السيدة سوزان مبارك، لأفضل ناشر عام 1999.

2 . 3- المضامين وحاجات الطفولة:

يحتاج الطفل خلال مراحل نموه إلى إشباع رغبات معنوية ومادية بغرض تحقيق توازنه النفسي والعقلي والجسمي، وتعتبر السيرة النبوية مصدراً ثرا يسهم في إشباع كثير من هذه الرغبات في جانبها المعنوي، واعتماداً على التحليل السلوكي¹ لنصوص قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال بالجزائر نحاول التعرف على أبرز حاجات الطفولة، وإلى أي مدى تمكن الكتاب من إشباعها؟!

أولاً- الحاجة إلى الأمن:

تقف على رأس الحاجات النفسية للكائن البشري، والحاجة إلى الأمن تعني تجنب الخطر والقلق، وهي من حاجات النقص التي تمنع تحقيقها العوامل الخارجية، مثل الحرب التي تؤدي إلى فقدان الإحساس بالأمان وارتفاع معدلات القلق، وإلى تكوين استجابات تساعد على زيادة القلق، وحدوث اضطرابات نفسية، بينما السلام يؤدي إلى قيمة الجوع للنمو النفسي السليم، وكما تحصل الطفل على هذه الحاجة وبشكل إيجابي دائم من قبل محيطه كانت حياته أميل للاستقرار، ونموه أقرب إلى الصحة والثبات.

وأدب الأطفال عموماً يستطيع إشباع هذه الحاجات بحماية الفرد من الأخطار التي تهدده، من مستقبل تعليمي، ووظيفي، واقتصادي، واجتماعي، والحاجة إلى الأمن النفسي يمكن إشباعها عن طريق قصص الأطفال الذي ينتصر فيه الحب والترابط على غيرهما من المشكلات، والقصص الدينية له دور كبير في إشباع الحاجة إلى الأمن عند الطفل، فهي تتحدث عن وجود الله، وقدرته اللامحدودة في إشباع الحاجات المختلفة، وأهمها الأمن في نفوس الأطفال.

وللتع لمضامين بعض قصص السيرة النبوية تستوقفه مشاهد تثير أحاسيس متباينة لدى الطفل للتلقي، فمنها ما يولد الشعور بالأمن والطمأنينة، ومنها ما يثير القلق والاضطراب في نفس الطفل القارئ².

إذ نجد من بين مشاهد هذا القلق حادثة شق الصدر، والتزول الأول لجبريل على محمد في غار حراء، وهزيمة جيش المسلمين في غزوة أحد، ومن بين مشاهد الطمأنينة والأمان بشارات ميلاده، ومكانته لدى جده وعمه خلال كفالتهم إياه، ومدد الملائكة يوم بدر، والعناية الإلهية له ولصاحبه خلال الهجرة من مكة إلى المدينة.

ومن أبرز القصص الذي تناول هذه الموضوعات نجد كلا من سلسلة "قصص من السيرة للفتيان والفتيات" محمد ناصر بوحجام³، وسلسلة "من غزوات الرسول" لإلياس بن ساعد⁴.

1- يعتمد التحليل السلوكي على منطلق مفاده أن للمضمون والرسومات التوضيحية مثيرات حسية تولد استجابات سلوكية لدى الطفل على اختلاف نوعها ودرجاتها، فيحلل مدى تلبية الكتاب للحاجات الأساسية للطفل.

2- تؤكد دراسات معاصرة إصابة مشاهدي برامج تتضمن العنف في التلفزيون الياباني بالشلل والرعاش والأمراض النفسية، لأنهم شاهدوا شخصية محبوبة لديهم، تخوض فيها معركة ضد وحش مفترس يطلق من عينيه أشعة حمراء وزرقاء، مما أدت إلى اندفاع 700 من أطفال المدارس إلى المصحات النفسية، وإصابة 208 بنوبات الشلل الرعاش، مما نبه الأوساط اليابانية إلى خطر أدب الطفل المرئي على سلوكيات الأبناء. ينظر إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص 115.

3- محمد ناصر بوحجام، قصص من السيرة للفتيان والفتيات، وزارة الأوقاف، سلطنة عُمان، 2007.

4- إلياس بن ساعد، من غزوات الرسول (6حلقا)، دار السجلات، الجزائر، (د.ت).

ثانيا- الحاجة إلى الحب:

أن يحب الإنسان الآخرين ويحبه الآخرون، نجد في قصص السيرة النبوية ما يستطيع إشباع هذه الحاجات أخذاً وعطاء، عن طريق تقديم نماذج من علاقات الحب بين الطفل والآخرين، تعوض له ما حرمه في حياته من إشباعها، "فالطفل الذي ينشأ على حب الآخرين يتقبل منهم ضعفهم، ويشاركهم ألهم، ويرثي لأشكال العجز التي تصيب بعضهم، إنه يتوحد مع الكون، يحترم فيه عناصر القوة، ويقدر فيه أشكال الضعف ويحس بها"¹.

ومن خلال تتبعنا لوقائع قصص السيرة النبوية رصدنا نماذج رائعة من علاقات الحب وللودة بين محمد وأصحابه، حتى شهد بذلك الأعداء، ومنهم سفيان بن حرب حين قال: "ما رأيت أحداً أشد حبا لأحد من حب أصحاب محمد محمدًا"، ولقد حاول كتاب قصص السيرة تجسيد بعض الوقائع للثيرة لإحساس الحبة، في صور ومظاهر متعددة.

إذ نجد من الكتاب من حاول تجسيد مظاهر العطف والحنان مرة بأسلوب مباشر، وذلك من خلال بعض التراكيب اللفظية، كعلاقة جده ﷺ به، حيث عبر إلياس بن ساعد عنها في (السيرة النبوية الشريفة) بقوله: "ورق عليه رقة لم يرقها على ولده"، وأحيانا أخرى يعبر عنها الكتاب من خلال بعض المواقف الفعلية، وهي الأقوى تأثيراً، ومن ذلك علاقة عمه به بعد وفاة جده، حيث جسدت علاقة الحبة بموقف فعلي قائلاً: "فكان نعم الكفيل، حتى أنه كان يقول لأبنائه وقت الطعام: انتظروا حتى يأتي ولدي، فيأتي النبي فيأكل معهم فيشبعون".

ثالثا- الحاجة إلى الانتماء:

وهي شعور الطفل بانتمائه إلى جماعة ما تتقبله ويتقبلها، والانتماء يكون في دوائر اجتماعية، مثل الأسرة ثم المدرسة ثم الأصدقاء، ثم المجتمع المحلي، ثم الوطن والقوم والدين.

وقصص السيرة النبوية يمكن أن يصور العلاقة الطيبة بين أفراد الأسرة الواحدة، كل واحد يشعر فيها بمكانته وتقديره كغيره من الأطفال، له مكانته في أسرته.

وفي مشاهد السيرة النبوية وقائع تدور حول الجماعة التي ينتمي إليها الطفل، ويفخر بانتمائه إليها، لم نثر في قصص اللودنة من الكتاب من حاول تسخيرها بوضوح في غرس هذه اللبادئ التي تشبع إلى حد كبير حاجة الطفل إلى أن ينتمي لوطنه، وأن يعتز به. ومن ذلك حماية أبو طالب لابن أخيه من ظلم قريش، ودفاع للمسلمين بعضهم لبعض من كيد الأعداء وللتربصين في مختلف مراحل الدعوة، ورغبة محمد ﷺ وأصحابه في العودة إلى مكة (للمربع الأولى) وهو يغادرها فراراً من أذى قريش، من شأنها أن تجعل الطفل القارئ يشعر بفخر الانتماء إلى وطنه وإن لقي فيه من أهله أو أعدائه ما لا يرضيه.

رابعا- الحاجة إلى التقدير وتحقيق الذات:

أخطر ما يتعرض له الإنسان في حياته هو الإحساس بالنقص، أو أنه لا ينال التقدير اللازم، ولا يحظى بالاحترام للشود، وللتأمل لبعض مواقف النبي ﷺ يجد ما يسهم في إشباع هذه الحاجة يث الثقة في نفوس الأطفال، لدفعهم إلى النجاح والثوق في

1- رشدي أحمد طعيمة، في البيت يتكون الطفل القارئ، مجلة العربي، الكويت، عدد 278، سنة 1982، ص121.

قدراهم لتحقيق مستقبل باهر، عن طريق تأصيل للمهارات، وتطوير القدرات، وصقل الخبرات، وإكساب الطفل ثقة أكبر بنفسه، كما يستطيع الكاتب أن يستقي من وقائع السيرة النبوية ما يمهد للطفل طريق الاستقلال عن والديه، ويقدم من صور البطولة ما يتسع ليشمل مختلف مجالات الحياة، وهي تلعب دورا مهما في توكيد الذات عند الطفل، ولذلك يساعد قصص السيرة الأطفال على أن يتقمصوا شخصيات يحبونها، طبقا لميولهم، والتقمص عملية إيجابية يحس الطفل فيها بذاته، عن طريق النموذج والقوة والتقليد وعن طريق التوحد والتماهي يُنوت الأطفال القيم ويمتصونها، بحيث تسهم في تكوين شخصياتهم واتجاهاتهم في المستقبل.

خامسا- الحاجة إلى المعرفة والفهم:

حب الاستطلاع والنمو العقلي والتحصيل غريزة فطرية، وتعتبر من أهم حاجات الإنسان، وهي تنشأ منذ مولده وتنمو مع نموه الجسمي والعقلي، ورغم تضجر الطفل من المعرفة الجبر عليها إلا أنها تؤدي دورا هاما في تنشئته، ويقبل الطفل على المعرفة الحرة، ويسأل كثيرا عن الأشياء التي حوله لدرجة تضايق الكبار أحيانا، وينبغي تشجيعه على هذا الأمر وتيسير سبل المعرفة له من الأوعية الثقافية المختلفة.

وقصص السيرة النبوية يؤلف حصيصا في معظمه ليشبع الحاجة إلى المعرفة والفهم عند الطفل، فهذه الحاجة تدفع به إلى أن يتخيل أشكالا من العلاقات بين الظواهر التي يراها ويجهل سرها، فالطفل يمتلك القدرة على التخيل وحب الاستطلاع، وهما عمليتان تمضيان في وقت واحد، ومن مواقف النبي ﷺ وسلوكاته ما يشبع هذه الحاجة لدى الطفل، وإن وجدنا كثيرا من الكتاب عن طريق الصدفة حاول إشباع هذه الحاجات، من خلال سرد العديد من الأحاديث التي تحت على العلم والتفكير والتدبر، إلا أنها تفتقد للصبغة الفنية في عرضها.

سادسا- الحاجة إلى اكتساب مهارات الحياة اليومية:

يحتاج الطفل إلى اكتساب عادات المجتمع المحيط به، ويسعى لتعلم مهارات الحياة الضرورية، ومن هنا فإن وعاء الطفل الثقافي يتقبل بسهولة ما يربطه بواقع الحياة اليومية ويزيد من رصيده المعرفي للتعلم بالمجتمع الذي يحيط به وعاداته وسلوكياته.

ومن خلال قصص السيرة النبوية للأطفال بالجزائر لم نثر إلا على بعض الومضات التي تكشف عن سلوكيات النبي ﷺ في حياته اليومية، إذ لم نجد من الكتاب من حاول تصوير بعض للمهارات، بينما أحادت بعض قصص السيرة النبوية غير الجزائرية في هذا المجال، كـ "حياة محمد في عشرين قصة" لعبد التواب يوسف.

ومن ذلك الحاجة إلى العمل وتقدير قيمته، فرغم ميل الطفل للعب إلا أنه يجب أن يقوم ببعض الإنجازات ويكافأ عليها، ويقدر عليها، ولا شك أن تحقيق هذا الجانب من خلال القصة أو الخبر أو المعلومة يعزز لديه هذا الجانب ويؤصله في نفسه.

سابعا- الحاجة إلى اكتساب القيم الدينية والأخلاقية للجماعة:

إن لهذه الحاجة أولوية قصوى في الاهتمام بتلقينها للطفل وإن كان لا يبحث عنها بوضوح كبقية الحاجات في هذه السن، مثل الحاجة إلى الغذاء والأمن والترفيه، فإذا لم تقدم الأخلاق والسلوكيات له فإنه غالبا لن يفتقد لها في طفولته، وسيكون عسيرا عليه انتطبع بها في رجولته.

ويحتاج الطفل في هذه المرحلة أن يرى الأخلاق والقيم مطبقة في المجتمع المحيط به كي يستطيع العمل بها، ولا يعيش ازدواجية التناقض بين الممارسة والنظرية، خصوصا أن هذه القيم لا تتعارض أصلا مع نوازع الطفل، وبالتالي فإن قدرة الطفل على التعامل معها تكون إيجابية، وتؤكد عندما تصاغ له بأساليب ثقافية راقية ومحبة كالقصص النبوي الذي يحتفي بهذا النوع من القيم، وستوقف على مدى اعتناء كتاب قصص الأطفال في الجزائر بهذا النوع من الحاجات في مبحث القيم.

ثامنا - الحاجة إلى التنفيس عن رغباته المكبوتة:

وهي خاصة بالأطفال ذوي الظروف الاجتماعية السيئة، أو الحالة الاقتصادية المتعثرة، أو للمشكلات الأسرية، وعادة ما يرغب الطفل في إخراجها بصورة قد تكون خطيرة، لذلك فإن إيجاد منافذ ثقافية لإخراج هذه النزعات تمثل حلا أكيدا لها¹، ونجد في بعض المشاهد الاجتماعية من السيرة النبوية ما يقارب واقع حياته، ومن شأنها إذا ما أحسن توظيفها أن تحقق هذا الهدف.

2. 4- خلاصة:

لكل أمة تراثها الثقافي الذي تخرنه في ذاكرتها الجماعية، وتستمد منه المنظومة القيمية التي تعيش على هديها وتربي عليها ناشئها، وليس في هذا الأمر مفاضلة بين أمم متحضرة وأخرى بدائية على حد قول أحد الدارسين: "فليس هناك شعوب طفلة، كلها بالغة بما في ذلك التي لم تقرأ بعد يوميات طفولتها"²، ومع ذلك فإن كتاب أدب الأطفال في بلداننا لا يزالون يتجهون إلى الآداب العالمية فيقتبسون من تراثها تاركين هذا للخزون الثقافي ينتظر من يستلهم منه قصصا للأطفال³، الأمر الذي يعطي للأسف انطباعا بأن مخزوننا الثقافي يتسم بالضحالة.

ومن خلال تتبعنا لمدى تلبية قصص الأطفال بالجزائر لحاجات الطفولة، أمكننا الوقوف على ما يلي:

أ- للمادة الحكائية في السيرة النبوية ثرية جدا، إلى حد أن كل من حاول أن يكتب عنها شيئا لم يعدم تلبية حاجات معينة لدى الطفل، إما بعفوية وإما بقصد، والأمر يحتاج إلى دراسة وبحث عميق يوفر للكتاب زادا يهتدون به في تجاربهم الإبداعية المتعلقة بالموضوع مستقبلا.

ب- لم نثر من الكتاب من حاول استيفاء هذه الحاجات بتوازن وتكامل، إذ نجد بعض القصص يركز على حاجات معينة، ويكتفي بالمرور عرضا على بقية الحاجات.

ج- من القصص من حاول الاهتمام بما يشبع هم الطفل، لكن الطريقة التقريرية المباشرة أضعفت من مفعوله، ذلك أن الطفل له من الكفاية ما يتلقاه بهذا الثوب من المدرسة أو الكبار، وإنما عمل القاص ينحصر في إعادة تقديمها في قالب قصصي في مشوق، وهو ما اجتهد فيه بعض الكتاب، لكن لا تزال أقلام أخرى تفتقده.

1- إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص 106.

2- ينظر كلود ليفي سترأوس، الإناسة البنائية، تر: حسن قبيسي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص 305.

3- ينظر العيد جلولي، النص الأدبي للأطفال في الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2001، ص 100.

3. منظومة القيم في قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال بالجزائري:

كان الاهتمام بدراسة القيم والتفكير فيها منذ القدم، حيث نالت اهتماما واسعا من الفلاسفة والمفكرين القدامى، ضمن مسميات أخرى، مثل: الخير، والخير الأسمى، والكمال، وقد برزت في أدبنا العربي القديم قيم كثيرة، وتجلت واضحة في العصر الجاهلي عامة، والأدب خاصة في مناح محددة هي: الكرم والجود والشجاعة، والعزة والأنفة.

والقيم هي دوافع محرّكة لسلوك الفرد ومحددة له، كما أن لها دورا أساسيا في قوة شخصيته وصحته النفسية، ذلك أن اتساق نظام القيم لديه يعني أنه ذو شخصية سليمة، بينما يؤدي الخلل في نظامه القيمي إلى اضطرابات عصبية يصعب علاجها¹.

وتمثل كتب التراث كمصدر للقيم في قصص الأطفال "نحو خمسة وسبعين في المائة، طبقا لأحدث الدراسات الأمريكية، وكتب التراث الشعبي والسيرة الشعبية بما فيها من قيم تربط الطفل بتاريخ أمته وأبطالها الذين يتمنى التشبه بهم، وهو بذلك يحاول اكتساب صفاتهم، فينبذ من صفاته ما لا يليق ويتجنبه، ويحاول أن يغرس في نفسه ما يجعله في مصاف هؤلاء"².

وأحداث السيرة النبوية تعتبر منها خلاصة يستقي منه الطفل قيما عديدة، من شأنها أن تجعله في مصاف الجيل الأول من أصحاب النبي في الشجاعة والإقدام، والوفاء والاحترام، والعطف على الضعفاء والتواضع، خاصة وأهم من دم ولحم وليسوا خياليين وخرافيين مثل سورمان وأمثاله.

وتحليلنا لقصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال بالجزائر يقوم على معاناة مدى تتابع وتدفق القيم وتكاملها في نصوصها، ومدى توافق وضوح فكرة الكاتب ومزج الخيال مع الواقع، والبناء التسلسلي في الكتاب، "وذلك ما يعطي مذاقا خاصا للكتب الموجهة للطفل، لأنها تؤدي إلى ترابط أحداث القصة، وتكامل فكرتها، وتعاضد موقعها على الخريطة الأدبية والتربوية للطفل"³.

وقبل التعرض لدراسة القيم في قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال، يجدر الوقوف على للمصطلح والآلية التي يتم على ضوئها التحليل، وهي هنا: القيم ونسق القيم، ومعرفة الخلفية النظرية لمستويات تلقي هذه القيم تبعا لتعدد مراحل الطفولة، حتى يتسنى على ضوء هذا استقراء القيم وكنهها في كتابات السيرة النبوية الموجهة للأطفال بالجزائر.

3. 2- مفهوم القيم/ نسق القيم:

أ- القيم لغة:

قيمة الشيء قدره، وقيمة للتأع منه، ويقال: "ما لفلان قيمة" أي ما له ثبات ودوام على الأمر، وأمر قيم: مستقيم، والأمة القيّمة: للمستقيمة المعتدلة⁴.

- 1- خليفة حسين مصطفى، الأسطورة والواقع، مجلة الفصول الأربعة، ليبيا، عدد 34، 1986، ص 101.
- 2- عبد التواب يوسف، الطفل العربي والأدب الشعبي، الدار المصرية اللبنانية، 1992، ص 42 وما بعدها.
- 3- ينظر سرجيو سبيني، التربية اللغوية للطفل، تر: فوزي عيسى وعبد الفتاح حسين، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991، ص 119، 122. وينظر إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص 110.
- 4- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، 1979، ص 406.

ب- القيم اصطلاحاً:

تحدث كثير من الباحثين في مصطلح القيم، ونظروا له تعريفات متعددة، وسنستعرض أهم الآراء التي توقفنا عليها، محاولين من خلال ذلك استخلاص أهميتها ووظائفها على الفرد والجماعة:

يعرف وايت (Ralph White) القيم بأنها: هدف أو معيار حكم يكون بالنسبة لثقافة معينة شيئاً مرغوباً، أو غير مرغوب لذاته¹، بينما يشير وليامس (Robin Williams) إلى أنه يمكن اعتبار القيم كمفاهيم لما هو مرغوب فيه، تؤثر في عملية انتقاء السلوك²، في حين يرى ألبرت أن القيم إيجابية وسلبية، ويمكن أن تكون ضمنية وصریحة، أي أنها تستتج من السلوك اللفظي وغير اللفظي الذي يتضمن الموافقة أو عدم الموافقة، كاللوم والإطراء وللكافأة والعقاب والدعم والقمع³.

ويركر ناصر إبراهيم على صفة "الاهتمام" مع تعدد الاعتبارات فيقول: هي كل ما يعتبر جديراً باهتمام الأفراد وعنايتهم، لاعتبارات اجتماعية نابعة من المجتمع، أو اعتبارات اقتصادية تهم حياتهم وعيشتهم، أو اعتبارات نفسية ترضي نوازعهم وتسد حاجتهم، أو اعتبارات أخلاقية تربوية تهيب لهم العيش الهنيء بأسلوب مرضي عنه بين جماعاتهم⁴.

ويضيف عبد التواب يوسف إلى جانب ذلك صفة "الجماعية"، حيث يقول: أن القيمة هي كل صفة ذات أهمية لاعتبارات نفسية أو اجتماعية أو أخلاقية أو جمالية، وتنسم بسممة الجماعية في الاستخدام⁵.

ويركر أحمد علي كنعان على البعد العملي الواقعي في تعريفه للقيم بأنها: معيار للحكم على كل ما يؤمن به مجتمع ما من المجتمعات البشرية، ويؤثر في سلوك أفرادها، حيث يتم من خلاله الحكم على شخصية الفرد، ومدى صدق انتمائه نحو المجتمع بكل أفكاره ومعتقداته وأهدافه وطموحاته، وقد تكون هذه القيم إيجابية أو سلبية لكل ما هو مرغوب أو غير مرغوب فيه، يتمثلها الفرد بصورة صريحة واضحة أو ضمنية خفية، تنعكس آثارها في سلوكه فتحدد مجرى حياته التي تتجلى من خلالها ملامح شخصيته⁶.

وعليه فمن خلال هذه التعريفات يمكن استخلاص خصائص القيم ووظائفها في خمس أمور أساسية هي:

- تزويد الفرد بالإحساس بالغرض مما يقوم به وتوجيهه تجاه هذا الغرض.

- تهئية الأساس للعمل الفردي والعمل الجماعي للوحد.

- اتخاذها كأساس للحكم على سلوك الآخرين.

- تمكين الفرد من معرفة ما يتوقعه من الآخرين وماهية ردود الفعل.

1- أحمد علي كنعان، أدب الأطفال والقيم التربوية، دار الفكر، دمشق، ط2، 1999، ص134، نقلاً عن:

Ralph White; VALUE ANALYSIS; The Nature and Use of Method.

2- المرجع نفسه، ص134، نقلاً عن:

Robin Williams and Albert Ethel; VALUES in David L.Sills (ed) International Encyclopedia of the social science.

3- ينظر المرجع نفسه، ص134.

4- إبراهيم ناصر، التربية الأخلاقية، دار وائل للنشر، الأردن، 2006، ص 141.

5- عبد التواب يوسف، الطفولة والقيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987، ص107.

6- أحمد علي كنعان، أدب الأطفال والقيم التربوية، ص136.

- إيجاد الإحساس بالصواب والخطأ لديه.

ولهذا فإن غيابها أو عدم وضوحها يؤدي إلى ضياع الفرد ذاته، ويصل به إلى عدم الإحساس بمعنى الحياة¹.

ج - مفهوم نسق القيم (منظومة القيم) Value System:

انبثقت فكرة نسق القيم من تصور مؤداه أنه لا يمكن دراسة قيمة معينة أو فهمها بمعزل عن القيم الأخرى، فهناك بناء أو تنظيم شامل لقيم الفرد، تمثل كل قيمة في هذا النسق عنصراً من عناصره، و تتفاعل هذه العناصر معاً لتؤدي وظيفة معينة بالنسبة للفرد، وعليه فإن "بين القيم المتعددة تكاملاً أو تحالفاً يجعلنا لا نريد قيمة دون أن نريد في الوقت ذاته سائر القيم، ومن الخطأ أن نقول بقدرة الإنسان على أن يختار قيمة خاصة به من لائحة قيم معينة، وينفي سائر القيم².

وقد تعامل "روكيش" (Rokeach) مع نسق القيم على أنه عبارة عن مجموعة الاتجاهات للترابطة فيما بينها، وتنظم في شكل بناء متدرج، وأشار إلى أن نسق (الاعتقاد - اللاعتقاد) يعتبر نسقاً شاملاً للاتجاهات والقيم وأنساق القيم. ويتضح مما سبق أن نسق القيم هو عبارة عن مجموعة القيم التي تنظم في نظام متساند بنائياً، متباين وظيفياً داخل إطار ينظمها ويشملها في تدرج خاص.

- تصنيفات القيم (نسق القيم):

يتفق دارسوا القيم على صعوبة تصنيفها، وعلى أنه لا يوجد تصنيف شامل لها، ومع ذلك ورغم الصعوبة والقصور بالإحاطة بأنواعها جميعاً نحاول استعراض أبرزها، مع اعتماد أقربها إلى الشمولية والصواب³.

ويلاحظ أن أغلبية التصنيفات تضع القيم الدينية في أعلى الهرم، فقد وضع شيلر أربعة مستويات للقيم، أدها مستوى القيم الطبيعية الحسية، وأدها مستوى القيم الدينية التي اعتبرها أساس القيم كلها، واعتبر لافيل القيم الدينية أو الروحية تاج القيم جميعاً، أما لوسين فقد اعتبر قيمة الدين أكثر القيم اتصافاً بالصفة الصحيحة، بل إن بعضهم اعتبر أن الدين ليس قيمة، ولكنه حامي القيم⁴. وتتوزع وتتعدد للمضامين والقيم في أدب الأطفال، وهي لا تقتصر على النص/الكلمات بل يمكن أن تظهر كذلك في الرسومات والصور والألوان.

وبعد تفحص عدة تصنيفات للقيم، والاطلاع على الدراسات ذات الصلة بها، وجد أن تصنيف وايت للقيم (انظر الملحق رقم 1)¹ هو التصنيف للملائم من بين التصنيفات الأخرى في مجال أدب الأطفال، كتصنيف كلكهوهن، وذلك، وسبرنجر، وموريس، وذلك للاعتبارات التالية:

1- ينظر أحمد علي كنعان، أدب الأطفال والقيم التربوية، ص 135.

2- المرجع نفسه، ص 133.

3- مثل دراسة فوزية دياب، حيث صنفت القيم على أساس أبعادها كالتالي: بعد المحتوى، بعد المقصد، بعد الشدة، بعد العمومية، بعد الموضوع، بعد الدوام.

4- إبراهيم ناصر، التربية الأخلاقية، ص 141.

أ- ملامح للثقافة العربية، إذا استخدم في كشف القيم المتضمنة في مواد مكتوبة، من نتائج ثقافة عربية مشتركة بين البلدان العربية.

ب- يظهر القيم بشكل تفصيلي، فهو يتضمن على سبع وأربعين قيمة أساسية تشتمل على قيم فرعية.

ج- يمتاز بالمرونة، فهو يتقبل متغيرات جديدة، ويسمح بحذف أو دمج الأصناف دون انتهاك لمنهج.

د- يتصف بالشمول، فهو يمثل نظاماً كاملاً للقيم.

هـ- ملامح للاستخدام في الدراسات التي تتجهج طريقة تحليل للمضمون، وتتناول دراسة القيم في مواد لفظية تمتاز بالتنوع، لاعتماد بناءه على خبرة طويلة في تحليل للمضمون لمواد لفظية متنوعة، ومنها قصص الأطفال، ولأنه أسلوب في الوصف الكمي، ويضمن للباحث أقصى قدر من الموضوعية.

وسنعمد على هذا التصنيف في تحليل قيم قصص السيرة النبوية للكاتب للأطفال بالجزائر مع الأخذ بعين الاعتبار التعديلات التي أضافها الدكتور أحمد علي كنعان (انظر الملحق رقم 2) على هذا التصنيف، لكونها²:

أ- نابعة من أهدافنا التربوية في الوطن العربي عامة.

ب- تلبي حاجات الأطفال ومتطلباتهم.

ج- قادرة على مواكبة رايح التغيير في المجتمع عبر تطوره وتقديمه.

د- معبرة عن مضمون للمادة القابلة للتحليل.

هـ- سهلة التصنيف والمعاملات الإحصائية.

3.3 - مراحل الطفولة وأثرها في اكتساب القيم:

هناك موقفان من قدرة الطفل على تفهم القيم وممارستها، الأول رائده ياجيه وتلميذه كولبرغ، ويؤمنان بأن الطفل في سبع سنوات الأولى من عمره غير قادر على تفهم القيم وعلى ممارستها، والثاني يتبناه علماء كثيرون، ويقولون أن الطفل قادر على تفهم القيم والسير حسبها منذ سنواته الأولى تبعاً لتطور المفاهيم اللغوية والوظائف المعرفية لديه، وسنحاول من خلال استعراض مراحل الطفولة تبين مدى تأثيرها في اكتساب القيم.

أولاً- مرحلة ما بعد الولادة إلى سن الثالثة: حين يولد الطفل يكون لديه استعداد فطري لتعلم الأخلاق والسلوك الأخلاقي، وفي هذه المرحلة لا يكون قد نمى لديه ضمير ولا نظام للقيم، ولذلك لا يمكن الحكم عليه في ضوء مقياس للسلوك، وتسمى بمرحلة الحذر، حيث يبدأ بها الطفل في السيطرة على دوافعه الغريزية، ويسمى ياجيه بمرحلة التركيز نحو الذات، وتمر هذه المرحلة بالتكليف للثواب والعقاب، والإذعان للقوى الحسية والمادية للثفوقة.

ثانياً- مرحلة الطفولة المبكرة: وتكون بين سن الثالثة والثامنة من عمر الطفل، بحيث يكون نموه العقلي لم يصل بعد إلى درجة تسمح له أن يتعلم للمبادئ الأخلاقية المجردة فيما يتعلق بالصواب أو الخطأ، ولكنه يستمع إلى أن هذا السلوك خطأ وهذا

1- يستعين النقاد عادة في استخراج القيم الموجودة في قصص الأطفال بتصنيف "وايت" المطور للقيم، وتضم منظومته المطورة ثمانية مجموعات، فيها سبع وأربعون قيمة.

2- أحمد علي كنعان، أدب الأطفال والقيم التربوية، ص 221.

السلوك صح، ويعترف عليهما فينبه إليهما، ولكنه لا يعرف لماذا هو خطأ؟ مثل الكذب، ونوبات الغضب، أو التخريب.. الخ. وهنا يكون دور الوالدين بضرب المثل الصالح للخير أو الصواب والقُدوة الحسنة، ويقوم سلوكه خلال هذه المرحلة على أساس اللذة والألم، ويتمكن الطفل من التفرقة بين الناس وبين الأشياء في بيته، ويسمى بياجيه بمرحلة الانصياع للسلطة، أو بمرحلة التكيف الأناني الساذج، أي هو يستجيب استجابات بدائية ساذجة لما يحقق متع النفس وحاجاتها.

ويعبر بياجيه عن المرحلتين السابقتين بمستوى ما قبل التقيد بالأعراف والتقاليد، وهو مستوى غالب الأطفال قبل سن التاسعة، وفي هذا المستوى تتركز الأحكام الأخلاقية حول الذات، حيث توصف الأفعال بالصالح والسوء، والصواب والخطأ طبقاً لما تجلبه للطفل من متعة أو ألم، ولما تسبب به من ثواب أو عقاب، والإذعان للقوة يكون صائباً إذا كانت ثمرته تعود بالنفع على الفرد.

ثالثاً - مرحلة الطفولة الوسطى: وتمتد من عمر ثماني (8) سنوات إلى اثني عشرة (12) سنة، وفي هذه المرحلة يحل المفهوم العام لما هو صواب وما هو حلال وما هو حرام محل القواعد المحددة، وتحل للمعايير الداخلية تدريجياً محل الطاعة للمطالب الخارجية، ويقول جان بياجيه (1932) في ذلك: يزداد إدراك قواعد السلوك الأخلاقي القائم على الاحترام للتبادل، وتزداد القدرة على فهم ما وراء القواعد والمعايير السلوكية، وفي هذه المرحلة أيضاً يبدأ الطفل في إصدار أحكام أخلاقية على أساس الثواب والعقاب للتوقع، ويقوم سلوكه على أساسهما¹.

وتسمى بالمرحلة الاجتماعية، لكونها عند اتساع دائرة الطفل، وبعد اكتشافه أفعاله وممارسته الحياتية للواقعة لما تراه الجماعة أو المجتمع بشكل عام، وتسمى بالمرحلة التبادلية عند بياجيه، كما يسميها بمرحلة التكيف ليصبح الولد الطيب، ويستهدف الفرد منها أن ترضى الأسرة أو الجماعة عن أخلاقه التي توجه علاقاته.

رابعاً - مرحلة الطفولة المتأخرة: تبدأ من سن الثانية عشر، وفيها تتحد الاتجاهات الأخلاقية للطفل عادة على ضوء ما هو سائدة في أسرته ومدرسته وبيئته الاجتماعية، فهو يكتسبها ويتعلمها من الكبار، وبذلك يتعلم ما هو مرغوب وما هو غير مرغوب، كما ويدرك الطفل في هذه المرحلة مفاهيم أخلاقية، مثل: الأمانة، والصدق، والعدل، ويمارسها عن فهم وقناعة وبما يرضي من حوله من أصحاب السلطة عليه، ويقوم سلوكه على أساس المدح والذم، وفيها يتمكن المرء من السيطرة على دوافعه، والخضوع لمثل أعلى في سلوكه، وهي أرقى مراحل النمو الأخلاقي أو الخلفي، وتسمى عند بياجيه بمرحلة الإنصاف.

خامساً - مرحلة المراهقة: يكون الطفل في هذه المرحلة قد تعلم المشاركة الوجدانية، والتسامح، والأخلاقيات العامة المتعلقة بالصدق، والعدالة والتعاون، والولاء، وللودة وللرونة والطموح، وتحمل المسؤولية.. الخ، وتزداد هذه المفاهيم عمقاً مع النمو، ويكون اهتمام الفرد في هذه المرحلة بالقيم لذات القيم لا للثواب والعقاب، ولا للمدح والذم.

ويسمى بياجيه بمرحلة التكيف لمراعاة النظام الاجتماعي أو السلطة الاجتماعية، من خلال احترام الفرد لهذا النظام وممارسة ما يوجبه من أعمال.

¹ - ينظر ناصر إبراهيم، التربية الأخلاقية، ص 31.

ويعبر ياجيه عن المرحلتين السابقتين بمستوى التقيد بالأعراف والتقاليد، وهو مستوى غالب للمراهقين والبالغين في المجتمع، ففي هذا المستوى يطور الفرد مشاعره بالتوقعات والأحكام الأخلاقية التي يتبناها الآخرون، ثم يعمل على أن يسلك طبقاً لهذه الأحكام والتوقعات التي يدعمها أفراد العائلة أو الأمة دون اعتبار لتأثيراتها.

ومن المهم أن يعي المهتمون بتربية الأطفال — والكتاب منهم — أهمية العلاقة الموجودة بين المجتمع وقيمه، وأن يلموا بسلم القيم الذي ينطلق من الأهداف التربوية، ليمكنوا من نقل هذه القيم وغرسها في نفوس الأطفال، وغالبية العلماء يعتقدون بأن على المربين أن لا يستعملوا التربية للباشرة في إكساب القيم من خلال الوعظ والتلقين وإعطاء الأوامر.

وخلاصة القول إن القيم تنمو تدريجياً في الطفل:

فحين يولد يكون لديه استعداد لتعليم الأخلاق والسلوك الأخلاقي، إذا تهيأت له فرص التربية الأخلاقية في الأسرة من والديه وال كبار في العائلة، ولكننا لا نستطيع الحكم على سلوكه لأنه لا يميز بين الخطأ والصواب.

وفي مرحلة الطفولة الوسطى (6-9) سنوات يزداد إدراكه لقواعد السلوك القائم على الاحترام، وتزداد قدرته على فهم القواعد وللعائير السلوكية كما يقول ياجيه.

وفي مرحلة الطفولة المتأخرة (9-12) سنة تتحدد الاتجاهات الأخلاقية للطفل في ضوء ما هو سائدة في أسرته ومدرسته وبيئته المحيطة، ورفاق اللعبة، ومع ذلك فإنه في هذه المرحلة يدرك مفاهيم أخلاقية مثل: الأمانة، والصدق، والعدالة، ويمارسها كمفاهيم، وفي نهاية هذه المرحلة يكون قد حقق توازناً بين الأنانية، وبين السلوك الأخلاقي، وتكون درجة تسامحه قد زادت، كما يلاحظ نمو الضمير عنده، والرقابة الذاتية على السلوك نسياً.

أما في مرحلة المراهقة (ما بعد سن 12) ورغم تكون الناحية الأخلاقية في نهاية المرحلة السابقة، إلا أنه في هذه المرحلة يحاول إبداء رأيه واستقلاليته في السلوك، لأنه في هذه المرحلة يكتسب الكثير من السلوكات الأخلاقية من الأقران، فتراه يقرر ما هو صحيح وما هو خطأ، على أساس حكمه الشخصي أكثر من حكمه في ضوء المعائير الاجتماعية، فتراه يبرر موقفاً خاصاً به بأنه صواب، ويحكم على نفس الموقف لغيره بأنه عمل لا أخلاقي، ولكنه في نهاية هذه المرحلة يقترب في سلوكه من المعائير الاجتماعية والأخلاقية المجتمعية للجماعة التي يعيش بينها¹.

3. 4 — منظومة القيم في قصص المدونة:

بناء على المنظومة القيمية التي أعدها الدكتور أحمد علي كنعان²، وبالاكتفاء على المنهج الوصفي التحليلي نحاول الوقوف على أبرز القيم للتضمنة في قصص السيرة النبوية للكتوب للأطفال بالجزائر، من حيث تناسقها وتكاملها، ومن حيث الإيجابية والسلبية، وطريقة عرضها فيما إذا كانت تقريرية أو بالتضمين، ثم النظر في علاقتها بما هو سائد أو مرغوب فيه واقعياً، ومدى مراعاتها لحاجات الطفولة، مع الاستعانة بالمنهج الإحصائي أحياناً في الرصد الكمي لبعض القيم.

1- ينظر ناصر إبراهيم، التربية الأخلاقية، ص 34 وما بعدها، وص 239.

2- منظومة الدكتور أحمد علي كنعان قائمة أساساً على تصنيف وايت للقيم، وإنما قام بتعديلها تبعاً لما ينسجم مع المنظومة الفكرية العربية كما تقدم.

أولاً - مجموعة القيم القومية والوطنية:

وتعني شعور الطفل بانتمائه إلى الوطن الجزائري خاصة والعربي عامة، واعترازه به، ومحبه له، والذود عن حياضه لتحقيق حريته واستقلاله، كي يشعر بطعم الطمأنينة والسعادة، بالإضافة إلى اعترازه بالانتماء إلى الأمة العربية، حيث يشعر بروابطها القومية الأصيلة، إذ يتطلع إلى وحدتها الشاملة، ويكافح ضد أعدائها في الداخل والخارج، مما يدعوه إلى التمسك بتراث أمته العربية، فيحافظ على لغتها الأصيلة، ويعتز بتاريخها الناصع، ويفتخر بأجسادها عبر آلاف السنين، وإذا ما شعر بخطر يهدده فإنه يحمل شعار التضحية والفداء، حيث تصبح الشهادة قمة القمم وذمة الذمم¹.

وللتبصير لقصص السيرة النبوية للكتوب للأطفال بالجزائر تستوقفه أبرز هذه القيم، لكونها تعد من الركائز على تأسست عليها وقائع السيرة النبوية، من حيث محبته لوطنه الأول (مكة المكرمة)، ودفاعه عن وطنه الثاني (المدينة للنورة) والكفاح ضد أعدائه في الداخل (اليهود والمنافيين)، والخارج (قريش وحلفائها)، إلى جانب ذلك كانت سمة التفاؤل بالمستقبل المشرق للإسلام والمسلمين بارزة في أقواله ﷺ، وهذا من خلال بشرى غزوة الأحزاب لما كسر الصخرة الكبيرة بيديه فتطايرت منها شرارات تبشر بفتح بلاد الفرس والروم، كما كان الحرص على وحدة الأمة ظاهراً جلياً من خلال واقعة الإخاء بين المهاجرين والأنصار، ومحاربه لدعاوى التعصب القبلي بين أصحابه.

وقد تعددت طريقة عرضها بين التقريرية أحياناً، والتضمين أحياناً أخرى، كما جاءت أبرز هذه القيم ملية لحاجة الطفل إلى انتمائه الأسري والقومي والوطني، وهذا من خلال طريقتين، إما بعرض القلوة، وإما بسرود وقائع تخدم هذا الغرض.

ثانياً - مجموعة القيم المعرفية والثقافية:

ونعني بها الإيمان بالعلم طريق لتقدم المجتمع وتطوره، وبناء العقول للفتحة والأذهان القادرة على استيعاب المعارف والثقافات العلمية، ومحاربة الجهل والتخلف الفكري والحضاري القائم على الوهم والخرافات والتقليد الأعمى، وتنمية القدرات العقلية والذكاء من خلال الملاحظة العلمية المسلحة، والتفكير السليم، والحكمة والنطق والفهم، وتوليد الابتكار والإبداع، وتشجيع التفكير العلمي والبحث التجريبي²، وتكوين زاد من المعارف الثقافية والعلوم بالإقبال على المطالعة وتبادل الخبرات بين الشعوب³.

وإذا كانت ثقافة الأطفال هي نتاج التنشئة للكسبة من الأسلوب الحياتي السائد في الجماعة والتفاعل مع الكبار والتوجه للنظم لتكريس أساليب التفكير والعمل والعلاقات والأدوات والرموز والقيم والمعايير، ولما كانت مرحلة ما قبل المدرسة تمثل الأساس للشخصية التي يحملها معه الطفل إلى مراحل نموه التالية، فإن الصياغة الثقافية تتوقف على تغيير برمجة الطفل وتفعيل أساليب التنشئة في

1- ينظر أحمد علي كنعان، أدب الأطفال والقيم التربوية، ص238.

2- تزايد اهتمام بحوث التربية بالتنشئة العلمية، وتنمية التفكير في الآونة الأخيرة، ويتأكد هذا في كتابات وبرامج بستانلوتزي، وفروبل، ومنسوري، وديفيد اللكيند، وذلك من منطلق استغلال طبيعة الطفل في هذه المرحلة، والتي وصفته الكتابات المتخصصة في علم النفس النمو بأنه باحث سائل مستفسر لاستكشاف البيئة المحيطة.

3- أحمد علي كنعان، أدب الأطفال والقيم التربوية، ص240.

إطار فلسفة تربوية، واستراتيجيات تنموية توجه الأداء على كافة المسارات، وتدعم الاتجاهات نحو أبعاد وأفكار ملائمة يؤمن بها للعلمون قبل النشء.

وإذا تبعنا قصص السيرة النبوية تستوقفنا تلك المشاهد الرائعة من إقبال الصحابة على تلقي أحكام الدين بين يدي النبي الكريم، وكذا للترلة التي أولاه الرسول ﷺ قولاً وفعلاً للعلم، ومن ذلك اتخاذ تعليم عشرة من أبناء الصحابة كخيار بين فديات أسرى قريش في بدر.

وللتأمل لخط السير في أحداث السيرة النبوية يستشف ملامح مشروع حضاري يتأسس في ثنائها، من شأنه أن ينقل صورة ضمنية إلى وجدان الطفل القارئ، لما اصطغ عليه من تغيير جذري في أبرز مناحي الحياة من طريق الجهالة والضلال إلى سبيل الهداية والعلم والإيمان.

ومن خلال بعض المواقف والأحداث يتلقى الطفل عبراً ودروساً من شأنها أن تنمي ملكاته الذهنية في التفكير السديد، ودقة الملاحظة، وغيرها.

ثالثاً - مجموعة القيم العملية والاقتصادية:

وتعني ما يمس الفرد من أمور حيوية يومية عبر احتكاكه بالمجتمع، وتعامله مع أفراد من ذوي المهن والأعمال الضرورية لاستمرار الحياة على وجهها الأكمل.

وهنا لا بد أن يشعر الفرد بقدسية العمل وأهميته وضرورته، ويحترم القائمين عليه من عمال وخبراء وفنيين وأصحاب مهن، ويقدر جهودهم، حيث سخر كل فرد لخدمة الآخرين عبر خدمات متبادلة مشتركة، وهذا يدعو إلى غرس حب العمل في النفوس، لأنه عنوان تقدم الشعوب ورفقيها، ولا بد من احترام العمل مهما صغر، ولا بد من تشجيع المهارات اليدوية وتدعيم الإنتاج الوطني وتطويره وحمايته، بالإضافة إلى التوعية لترشيد الاستهلاك حفاظاً على الثروة القومية ومحاربة الهدر، وتحديد سبل الإنفاق عبر برنامج يومي يغطي حاجات الفرد وفق دخله اليومي، كما لا بد من الحفاظ على الملكية العامة للأفراد جميعاً وحمايتها من العابثين فيها عبر الشركات والمؤسسات والمعامل العامة، وخلق روح الجد والثابرة وإتقان العمل والحفاظ على جودته¹.

وإذا بحثنا في قصص السيرة عن هذه القيم فإننا نجد لها واضحة جلية، من خلال مشاهد رائعة، جسدت أفعال النبي ﷺ وصحابته، إذ كان العمل أمراً مقدساً ومحترماً، ومن ذلك تقبيل النبي يدي أحد صحابته وهي خشنة من أثر العمل قاتلاً: "هما يدان بجبهما الله ورسوله"، إلى جانب مشاركته الفعالة مع المسلمين في بعض الأعمال الشاقة كبناء المسجد النبوي، وحفر الخندق، وغيرها، وكان يحث على الإنفاق قولاً وفعلاً، وضرب أروع الأمثلة في ذلك، حتى شهد له الغريب قبل الصديق²، كما حث على ضرورة الجد والثابرة وإتقان العمل.

1- أحمد علي كنعان، أدب الأطفال والقيم التربوية، ص 242.

2- ومن ذلك الأعرابي الذي رجع إلى قومه مبشراً بسخاء محمد ﷺ حين طلب منه يد المساعدة اختياراً، فقال له عليه السلام: "لما بين الجبلين" - قطع أغنام -، فرجع الأعرابي إلى قومه يدعوهم للإسلام، لما رأى من فضله، قائلاً: "أسلموا تسلموا، فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر".

رابعاً- مجموعة القيم الاجتماعية:

وتعني مجموعة الصفات النبيلة التي يتحلى بها المرء في مجتمع ما عبر القنوات التي يكونها مع الآخرين من خلال التعامل القائم على المحبة للتبادلة والاحترام، حيث يقدم للمساعدة لكل من يحتاج إليها منطلقاً من انتمائه لأسرته الصغيرة، ومحبة لأهله، وللآخرين وتقديرهم، والعمل على تنمية الروح الجماعية بين الأفراد، والتعاون معهم بما يعود بالمنفعة للتبادلة عبر المصلحة الجماعية لأفراد المجتمع جميعاً، وتنمية حب الإيثار في النفوس والصدقة لتوثيق روابط العلاقات الاجتماعية¹.

ويهدف هذا البعد إلى التعرف على الحقوق للتبادلة والواجبات فقط، ولا التحلي عن الفردية باسم الجماعة، ولكنه بالأحرى يسعى إلى تحديد أسس ومعايير العلاقات بين الأشخاص، لتسمح بوضع دقيق لكل فرد في مكانه ومسؤوليته المناسبة، كما يهدف إلى زيادة طاقة الفرد، ويجعل منه شخصية قادرة على اختيار الأحداث ونماذج النسيج الثقافي على أساس المفاضلة بين ما هو موجود في المجتمع، وبالتالي يكون قادراً على القبول والرفض على أساس القيمة والجدوى من خلال وعي اجتماعي يساعد على التفكير والتحليل والتصرف وفق معيار أخلاقي.

ولما كان طفل ما قبل المدرسة يتجه نحو التخلص من حالة التمرركز حول الذات، حيث تنمو لديه القدرة على فهم وجهة نظر الآخرين والمناقشة للموضوعية والعمل التعاوني وتبادل الأفكار من خلال الروضة كهيئة اجتماعية تلعب دوراً هاماً في تعميق هذا التفاعل الاجتماعي، وتساعد على اكتساب العديد من الحقائق والأفكار والمعايير المختلفة السائدة في المجتمع، يصبح توجيه الطفل عبر قصص السيرة النبوية نحو تعايش اجتماعي واع ناضج نوعاً من الانفتاح الذهني على مشاكل الساعة. وإذا نظرنا إلى علاقات المحبة والاحترام والمساعدة بين أفراد الأسرة أو المجتمع من خلال وقائع السيرة النبوية، نجد متراكمة، وتظهر براء في مواضع كثيرة.

فقد كان ﷺ يسأل عن أصحابه، ويؤمرهم ويتفقد أحوالهم، ويعينهم على نوائب الدهر، وكان يؤلف بينهم ولا يفرقهم، كما كان ﷺ يحث على توطيد العلاقات الأسرية، حيث يقول: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي"، وكان يقدم للمصلحة العامة على المصلحة الخاصة، متجنباً الأثرة وحب الذات والسلطوية والطمع والاستغلال.

خامساً- مجموعة القيم الإنسانية:

ونعني بها القيم التي تتعلق بحرية الإنسان وكرامته وحقه في العيش والوجود والحركة والتنقل والتعبير عن أفكاره بشكل يضمن حقه وحقوق الآخرين وذلك عن طريق:

أ- محاربة الظلم والاستغلال والاستبعاد في المجتمع بكل أشكاله الداخلية والخارجية.

ب- الدعوة الإنسانية لوحدة البلدان المجزأة والضعيفة في العالم، بنشر السلام والمحبة والحياة الشريفة الكريمة.

1- أحمد علي كنعان، أدب الأطفال والقيم التربوية، ص 245.

ج - سيادة العدل والمساواة بين أفراد المجتمع جميعاً كبيرهم وصغيرهم، غنيهم وفقيرهم، أمام القانون وفي الحقوق والواجبات، وما يميز أحدهم عن الآخر هو مقدار ما يقدمه من جهده للوطن وللأمة أكثر من غيره¹.

ومن خلال قصص السيرة النبوية نجد محمد ﷺ من أكبر للدفاع عن حرية الإنسان وكرامته، بالقول والفعل، وقد حث صحابته على تحرير العبيد، وبذل جهدا عظيما في استرجاع كرامة الإنسان للنطمسة تحت برائن الجاهلية، من طبقة ووآد البنات، واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان.

كما سعى إلى تجسيد مبدأ العدالة والمساواة في مختلف مناحي الحياة، ومع مختلف الأفراد، بغض النظر عن دينهم وانتمائهم، فشهد له بذلك العدو قبل الصديق²، وقد كان أول من دعا إلى السلم والسلام ونبد العنف، وكرم الضعفاء وأصحاب العاهات. ومن القصص من حاول إبراز بعض هذه القيم، كـ "السيرة النبوية الشريفة" لإلياس بن ساعد، حيث حاولت ترسيخ قيمة إعانة الضعفاء والرأفة بهم بغض النظر عن انتمائهم، ولو كانوا من المخالفين في الدين، وذلك حينما عرض مشهد رأفة عتبة وشيبة ابني ربيعة للشركين بالنبي لما استراح أمام حدار بستانهما منهكا من أذى بني ثقيف، فيقول: "لقد كان منظرا مؤثرا فعلا، جعل صاحبي الحائط يرأفان به ويعطيانه شيئا من العنب يستجمع به قواه".

سادسا - مجموعة القيم الروحية والأخلاقية:

ونعني بها مجموعة القيم التي تدعو إلى التمسك بالأخلاق الكريمة والخصال الحميدة، التي يتحلى بها المجتمع، حيث تسوده المحبة والإخاء والتعاون، والتكاتف بين أفرادها للترمين بالصدق والأمانة والاستقامة والوفاء والإخلاص، بروح من التواضع والظرف واللطافة والتأدب مع الآخرين ضمن علاقات اجتماعية تسودها روح التسامح والعفو والرحمة والرفق واللين مما يحفظ كرامة الإنسان وإنسانيته.

وتعني أيضا احترام الكبار والمسنين وأصحاب الفضل، كالمعلمين الذين أناروا عقول أبنائهم، وكذلك احترام الأنظمة والعقائد وللقديسات والحفاظ عليها واحترام الأديان، والإيمان بالخالق الواحد، والامتثال إلى التعاليم السماوية التي تكفل سعادة الفرد وطمأنينته³.

وارتباط الأخلاق بالدين قائم على أساسين: الأساس الأول يتعلق بصحة ومصداقية الأخلاق الصادرة من الدين وملائمتها للفطرة، والأساس الثاني يتعلق بالشحنة القوية التي تحرك بها الأخلاق عبر النفوس، والتي تستمد قوامها من مبادئ الدين.

الدين هو روح التربية الخلقية وقوتها المحركة، إذ يستمد المجتمع قيمه الأخلاقية وقواعد تنظيم السلوك من التعاليم الدينية التي تلعب دوراً أكثر فعالية في الالتزام الشخصي أكثر من القواعد والقوانين الوضعية، ومن ثم يعد الدين هو المحور الأساسي الذي تنطلق منه الشئمة الأخلاقية والقوة الدافعة لها. "ويجمع علماء الإسلام على أن التربية الخلقية هي روح التربية الإسلامية، والوصول إلى الخلق

1- ينظر أحمد علي كنعان، أدب الأطفال والقيم التربوية، ص 247.

2- ومن ذلك شهادة سفيان بن حرب أمام هرقل ملك الروم.

3- ينظر أحمد علي كنعان، أدب الأطفال والقيم التربوية، ص 250.

الكامل هو الغرض الحقيقي من التربية لا عن طريق حشو الأذهان بالمعلومات، بل بتهديب الأخلاق وتربية الأرواح وتعويد الناشئة على الآداب السامية، ومن ثم تتحقق التشبعة الأخلاقية.

وقد كان شعار رسالة محمد ﷺ مكارم الأخلاق، حين قال: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، فدعا إلى الخصال الحميدة، من صدق وأمانة واستقامة ووفاء وإخلاص، وضرب في ذلك أروع الأمثلة.

إلى جانب تلك الخصال فقد دعا إلى الآداب العامة، من حسن الحديث، وآداب الطريق، والتعامل مع الآخرين، كما كان يراعي في دعوته منازل القوم ومعتقداتهم رغم ضلالتهم، فيعامل كبيرهم بما لا ينقص من قدره.

ولقد ركر أغلب كتاب قصص السيرة على هذه القيم، لكونها جوهر نبوة محمد، وعنوان رسالته، فلم تغب عن أي صفحة من صفحات هذه القصص، وبمختلف الأنماط والأساليب، فقد وردت بالتقرير والتضمين، وإن كان الأول ظهر كثيرا في أغلب القصص، وهو ما أضعف بناعها الفني، وجاءت واضحة أعيانا وغامضة أحيانا أخرى.

ومادام بطل السيرة إيجابيا، وكان عليه مدار الحديث، فإن أغلب القيم كانت تحمل في طياتها سمة الإيجابية، وتجلى هذا من خلال الأدوار التي أسندت للنبي، وكذا خط السير الذي نهجته مراحل السيرة.

ولم نجد من الكتاب من حاول الربط بين قيم النص وما هو سائد في الواقع للعاصر للطفل، مما هو موجود أو مرغوب فيه، وإنما اكتفى بعرضها دون إحالة إلى ما هو واقع معاش، مما قد يجعل الطفل يتصور أنها مثالية تقتصر في شخص النبي.

وتوقف الطفل القارئ وهو يقلب صفحات هذه القصص القيم الدينية بوضوح، إلى درجة أنه يشعر أحيانا أنه أمام كتاب في التربية الدينية، لما حشدته من أحكام في سرد مباشر، الشيء الذي قد يضعف تأثيرها في النفوس، بل قد تجعل الطفل وهو هنا قارئ مخير يستكشف عنها ويتجنبها، فضيع بذلك وسيلة هامة في غرس القيم لدى الأطفال.

سابعاً - مجموعة القيم الترويحية والجمالية:

وتعني مجموعة القيم التي يعيشها الفرد بعيدا عن خضم العمل حيث يخلد إلى الراحة في جو الطيبة الحادثة، فيمارس هواياته الأدبية والفنية، ويشعر بالسعادة في رحلاته ومغامراته وهو يتمتع بالجمال الطبيعي والفني، والخبرات الجديدة، فستصبح ملهما له في التعبير الذاتي للبدع، كما في الشعر والرسم وغير ذلك¹.

وإذا تأملنا في مشاهد قصص السيرة النبوية نجد البعد الترويحي واردا لكن ليس بالحجم الذي يتلائم والطفولة، ذلك أن سيرة النبي كانت تحمل بين طياتها أمرا جديا، متعلق بالدين وتبليغه والدفاع عنه، وبالتالي فقد ندرت القيم الترويحية إلا في بعض المواقف والتصرفات، حين يقول لأصحابه "ساعة بساعة".

أما القيم الجمالية فإن قصص السيرة النبوية نجد بينها تباينا، من حيث استعمال الألوان والرسومات التوضيحية، بدءا بالغلاف الخارجي، وبين دفتي القصص، إذ نجد القليل منها من احتفى بهذه الفنيات بينما أغلب القصص كانت صفحات بيضاء، أو

1- أحمد علي كنعان، أدب الأطفال والقيم التربوية، ص 251.

رسومات لا تسهم في تربية الذوق الجمالي، لقدمها من جهة، أو لضعف الحس الفني لدى أصحابها، أو لكون التجربة الفنية في هذا النوع من الكتابات بالجزائر لا تزال في خطواتها الأولى.

ثامنا - مجموعة القيم الصحية والوقائية:

ونعني بها كل ما يمس الجسد مباشرة، من حيث الطعام والشراب والنظافة والصحة والعلاج والتنفس، وتنعكس آثاره في عملية النمو للتكاملة في مختلف نواحي الجسم، ولهذا فالفرد مسؤول عن كل ما يؤثر في جسده ومطالب بحمايته والحفاظة عليه وتغذيته عبر وجبات منتظمة، ونظافته من كل ما يلحق الأذى به، واللجوء إلى معالجته عن طريق الطبيب المختص والابتعاد به عن للشروبات المؤذية والتدخين، وإيجاد البيئة النظيفة للزدهرة التي تسهم في صحة الإنسان وسعادته¹.

وقد عنيت بعض قصص السيرة بهذه القيم والآداب، كأداب الطعام ونظامه، وأهمية النظافة وأنها من الإيمان، والحفاظة على الجسم بما لا يضره، والبيئة وجمالها، وما يلاحظ على القصص أنها لم تركز على هذه القيم إلا ما جاء عرضا، وقد تغفل عنها.

تاسعا - مجموعة القيم الرياضية:

لم تعد الرياضة مجرد تسلية يقوم بها بعض الأفراد في بعض المناسبات لإشباع هواياهم أو ملء أوقات فراغهم، وإنما أصبحت حياة متجددة، ونشاطا وحيوية، حيث أقبل عليها الناس بمختلف الأعمار والمستويات للحفاظ على بنية الجسم ورشاقته وقوته ونشاطه، فسادت الروح الرياضية بين اللاعبين، وهم يمارسون مختلف أنواع الرياضة التي خضعت لقوانين دولية تكرم الفائزين وتشجع اللاعبين حسب هواياهم، كالسباحة، والصيد وغير ذلك².

وقد حث النبي ﷺ على بعض القيم الرياضية، من خلال حثه الآباء على تعليم أبنائهم الرماية والسباحة وركوب الخيل، للحفاظ على بنية أجسامهم ورشاقته، ولزيد من القوة والنشاط.

عاشر - مجموعة قيم تكامل الشخصية:

وتعني كل ما يتعلق بشخصية الفرد وسلوكه وشعوره الداخلي، الذي ينعكس بدوره في حركاته وتصرفاته، وحسن تكيفه مع محيطه، وما يشعر به من سعادة وفرح، وبمأ صدوره من تفاؤل وأمل بالمستقبل الذي يحمل بين طياته البشر والنجاح والتحصيل، من خلال الطموح والتصميم والإرادة والشجاعة لبلوغ الهدف، الذي يتطلب وجود الحرص والانتباه والقدرة على القيادة والديمقراطية، للبعثة من احترام الذات والثقة بالنفس وامتلاك الجرأة الشخصية، بحيث يكون قادرا على فرض احترامه وهيبته على الآخرين، وهو يتمتع بالتربية الاستقلالية، فيحسن التصرف والاستيقاظ للبكر والاعتناء بحاجاته وغير ذلك من الأمور التي تعود الفرد الاعتماد على الذات³.

1- أحمد علي كنعان، أدب الأطفال والقيم التربوية، ص253.

2- المرجع نفسه، ص254.

3- المرجع نفسه، ص256.

ومن خلال وقائع السيرة النبوية نجدها أنها تناولت العديد من هذه القيم بصورة ضمنية، تجلت في تصرفات النبي ﷺ وأصحابه، حيث كان يتكيف مع الظروف والمستجدات، ويدعو إلى الابتسامة والفرح، ويغرس الأمل والطموح في نفوسهم لما يهمهم بالقتال، إلى جانب الإرادة والشجاعة والإقدام.

وقد كان مضرب مثل في الهبة، حتى قال عن نفسه وهو يتحدث عما اختصه الله به: "نصرت بالرعب"، وقد كان قائداً ديمقراطياً، واثقاً من نفسه، محترماً لغيره.

3. 5- خلاصة:

السيرة النبوية مادة أدبية قادرة على أن تصيغ منظومة قيمية متكاملة ومتناسقة، وهذا من خلال زخم الأحداث للتوفر، والذي يتيح لمختلف المجموعات القيمية فرصة التجسيد، وهذا ما لم نعتز عليه إلا في عمليتين أو ثلاثة، حاولت أن تقارب هذا التكامل والتوازن (جدول 07)، والحق أن هذه للنظومة مازالت غائبة على الرغم من وضوح الأهداف العامة للتربية لدى هؤلاء الكتاب، إذ أن النسق القيمي كلما كان شاملاً ومتكاملاً ومؤسساً على علم دقيق بحقيقة الإنسان وأصله ووظيفته ومآله، كلما أدى إلى آثار إيجابية، وكلما كان النسق القيمي مليئاً بالثغرات، كلما كان ذلك مفضياً إلى خلل على مستوى الشخصية والمجتمع والحضارة.

إلى جانب هذا نجد النزعة التوجيهية للسيطرة على معظم الكتاب، وسيادة الطرح المباشر للقيم في قصص السيرة، ذلك أن الراشد - وهو محقّ في أن ثقافة الأطفال لا تنفصل عن ثقافة الكبار - تَقْمَصُ موقف للعلم، وراح يعظ الطفل ويُعلّمه الحقائق ويربّه على القيم السامية، وقد فاتته أن للعلم مضطر إلى هذا الأسلوب داخل المدرسة الابتدائية، وأن الطفل يعي ذلك ويقبله على مضض، ولكنه لا يقبل للموقف نفسه من الكاتب في المجلة والكتاب لأنه ليس مجبراً على القراءة، وإذا كان مجتمع الأسرة والأقران يضغط على الطفل ويجبره على دخول المدرسة، فإن الثقافة خارج المدرسة فعل حرّ لا يُجبره عليه أحد، ومن ثمّ تكمن العلة في المرسل الذي لا يملك الوسيلة ولا يعرف الطفل للتلقّي لها ولا تكمن في الرسالة.

ولا تستطيع قصص السيرة النبوية توفير التأثير والإقناع إذا لم تكن مائعة يجبها الطفل ويُقبل عليها، لما يجد فيها من متعة وتشويق، ولا سبيل إلى توفير الإمتاع والتأثير والإقناع إذا لم تكن مخلصاً لطبيعتها، معبّرة عن وظيفتها بوساطة الفن، إنما تنقل المعارف والقيم بشكل ضمني غير مباشر بوساطة الحكاية الشائقة¹، والحبكة المائعة، والبطل القريب من عالم الأطفال والحوادث المستمدة من البيئة، وما إلى ذلك من أمور الصوغ الفني للثقافة القصصية.

ولا شك في أن هذه للملاحظات تُشير إلى أن العمل في الجزائر مع الأطفال في ما يتعلق بالسيرة النبوية مازال اجتهادياً، ولم يُصبح بعد عملاً علمياً تقوده استراتيجية واضحة محدّدة شاملة، تنبع منها أهداف ملائمة تُزوّد الطفل بما يحتاجه منها في جرعات مناسبة، وتُعدّه لدخول معركة الحياة.

1- خصّ الدكتور عبد الرزاق جعفر الحكاية في أدب الأطفال بكتاب مستقل عنوانه: الحكاية الساحرة، تولى نشره اتحاد الكتاب العرب بدمشق سنة 1985.

وكل ما نرجوه من تحليل مضمون قصص السيرة النبوية للأطفال بالجزائر هو بيان ما كتب لهم، وما يصلح منه لأن يكون زادا تربويا فنيا، وعدة يتسلحون بها في مستقبلهم، وما يجب أن يحذف من قاموسهم كي لا يشوه هذا للمستقبل للشرق المبني على مراعاة حاجاتهم وتلبية متطلباتهم، ورائدنا في ذلك أن الكلمة التي لا تتحول إلى سلوك إيجابي لدى أطفالنا لا حاجة لنا بذكرها.

جدول رقم (7) يبين توزيع منظومة القيم على عينة المدونة

الرقم	اسم مجموعة القيم	عدد القصص المضمنة للقيم	النسبة المئوية
1	القيم القومية والوطنية	31/16	51%
2	القيم المعرفية والثقافية	31/ 25	78%
3	القيم العملية والاقتصادية	31 /04	11%
4	القيم الاجتماعية	31 /17	53%
5	القيم الإنسانية	31 /08	24%
6	القيم الروحية والأخلاقية	31 /31	100%
7	القيم الترويجية والجمالية	31 /07	21%
8	القيم الصحية والوقائية	31 /03	09%
9	القيم الرياضية	31 /05	15%
10	قيم تكامل الشخصية	31 /09	27%

الفصل الثالث:

مصادر قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال بالجزائر

.تمهيد:

لكل أدب من الآداب العالمية المختلفة مصادر يعتمد عليها ويفيد منها، ودراسة هذه المصادر تساعد دون شك على فهم هذا الأدب، ومعرفة خصائصه واتجاهاته.

وأدب الأطفال كأدب الكبار له مصادر يعتمد عليها، وينهل منها، ودراسة هذه المصادر أيضا تكشف الجنور والفروع للعرفية التي يستقي منها هذا الأدب أفكاره ومضامينه، ومن ثم يمكن تحديد اتجاهاته المختلفة التي تحكمه. والدارس لقصة السيرة النبوية المكتوبة للأطفال بالجزائر يجدها متعددة المصادر والمناهل، ونستطيع حصرها في أربعة أنواع أساسية، إضافة إلى مصادر أخرى فرعية على التفصيل التالي:

1- المصادر الأساسية:

وتتمثل أساسا في:

- أ - القرآن الكريم.
- ب - كتب السنة والحديث.
- ج - أمهات كتب السيرة.
- د - دراسات في السيرة النبوية.

2- المصادر الفرعية:

وتتمثل في الآتي:

- أ - كتب التفسير وأسباب النزول.
- ب - الشعر المصاحب للرسالة.
- ج - سير الصحابة والصحابيات.

وستحاول دراسة هذه المصادر من خلال ثلاث جوانب أساسية هي:

أولا- التعريف بالمصدر، وبيان خصائصه ومكانته بين بقية المصادر.

ثانيا- طريقة تناوله لوقائع السيرة النبوية.

ثالثا- مدى اهتمام كتاب قصص السيرة الجزائريين بالمصدر.

1-المصادر الأساسية:

1-1- القرآن الكريم:

هو أول وأصدق كتاب حدثنا عن رسول الله ﷺ منذ نزول الوحي عليه، وأول مصدر اعتمده الدارسون للاستدلال على عظمتهم وقوة شخصيتهم، لصحة ما جاء فيه من أخبار، ولما فيه من مقتطفات مهمة من سيرته، "إذ يحدثنا عن يتمه وفقره وأميته، وعن أخلاقه ومهمته وأصول دعوته، وعن كيفية تعامله مع أهله وأصحابه وجيرانه، وعن صبره وقوة عزيمته في مواجهة تحديات أعدائه، وعن غزواته، وغير ذلك مما يتعلق به"¹.

وله أهمية خاصة من حيث الثبوت للطلق دينياً وتاريخياً، حيث لا يشكك أحد فيه من الناحية التاريخية، وإن اختلفت الآراء بين المسلمين وغيرهم حول مصدره، وعن هذه الوثوقية يقول عماد الدين خليل: "يجب ألا ننسى لحظة واحدة أن القرآن الكريم هو الوثيقة التاريخية الأكثر أهمية في دراسة العصر، ومحاولة الإلمام بنبضه الأساسي وملاحمه للتفردة، وإنه ينطوي على شبكة خصبة من اللطائف التاريخية التي تحمل مصداقيتها للطلقة، والتي تشكل -التالي- نقاط الارتكاز في بنية السيرة، حيث يجيء الأديب فيقيم بنيانه عليها"².

وحديثه عن السيرة كثير، وعرضه متنوع، ومنهجه في عرض الأحداث والوقائع يتميز بالشمول في تحليل الحدث ومعالجته، ويلاحظ الأهداف والغايات، ويركز على الآثار والنتائج، ويتربع الصورة للموحية من الحدث ثم يبرزها، غير ملتزم بتسلسل الحدث في سياقه التاريخي، لأن القرآن الكريم كتاب هداية وتربية وأحكام لا كتاب تاريخ، فهو يهتم بالقيم والأخلاق.

وهو مصدر أساس نستمد منه ملامح السيرة النبوية، فقد تعرض القرآن الكريم لنشأته ﷺ فقال: ﴿لَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ، وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ (الضحى: 5، 6)، كما تعرض لأخلاقه الكريمة العالية فوصفه ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (الفلم: 4)، وقد تحدث عما لقيه النبي ﷺ من أذى وعنت في سبيل دعوته، وذكر ما كان للمشركون ينعنون به من السحر والجنون صدا عن دين الله ﷻ، وقد تعرض القرآن لهجرة الرسول ﷺ، كما تعرض لأهم المعارك الحربية التي خاضها بعد هجرته، فتحدث عن معركة بدر، وأحد، والأحزاب، وصلاح الحديبية، وفتح مكة، وغزوة حنين، وتحدث عن بعض معجزاته، كمعجزة الإسراء والمعراج.

وما نزل من القرآن قبل الهجرة يحمل بين ثناياه صوراً واضحة عن السيرة النبوية، عن طفولة النبي B، وعن بعثته، وعن جهاده للمشركين، وعن الحوار المستمر بينه وبين خصومه، ودعوتهم لدين الله تعالى، ومواقفهم من هذه الدعوة، ويعرض الجوانب النفسية والفكرية عندهم، ويعرض صوراً من ثبات المؤمنين، وتضحياتهم وإخلاصهم وجهادهم في سبيل الله بالكلمة الطيبة، وتحمل الأذى في الله ورسوله.

1- سعيد المغناوي، شخصية رسول الله بين تصوير الوحي وتصورات الدارسين، دار ابن حزم، لبنان، 2008، ص 9.

2- عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، ص 83.

وما نزل منه بعد الحجر كذلك يعرض صوراً واضحة من السيرة، فمواقف اليهود من الدعوة في المدينة، والرد على اغترابهم ودسهم، وإثارة الشبه بما عندهم من علم في الكتاب يُحرِّقون به الكلم عن مواضعه، ويكتمون ما آتاهم الله من البينات والهدى، ويؤمنون ببعض، ويكفرون ببعض.

ومواقف المنافقين من الرسول ﷺ ودعوته، والدين الذي جاء به، وتآمرهم على أصحابه، وكيدهم لهم، وإظهار الإيمان، وإبطان الكفر، وتلاحمهم في السر مع اليهود والمشركين ضد المسلمين، وأساليبهم للأكرة في الغدر وكشف هوياتهم ليكون للمؤمنون منهم على حذر.

ومواقف المؤمنين وثباتهم مع رسول الله ﷺ، وكيف برزت جلية في بدر وأحد والخندق والحديبية وتبوك، وكيف كان يعترهم الضعف البشري، وتزل بهم المحن، ثم يتداركهم الله ﷻ برحمته، ويصفهم بقوله: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾ (الأحزاب: 23).

وفي القرآن نجد الحديث عن الغزوات، فهناك سور بأكملها تدور حول غزوة، كسورة الأنفال عن غزوة بدر، وسورة التوبة عن غزوة تبوك، وسورة الحشر عن جلاء بني النضير، وهناك آيات كثيرة في سورة آل عمران تتحدث عن غزوة أحد. إلى جانب ذلك فإن هذا المصدر يتميز بالثراء الموضوعي، ففيه قصص كثيرة ومبادئ أخلاقية عديدة، كالصبر والثبات والتضحية والدفاع عن الحق ونصرة للظالمين، "وكلها قيم ومبادئ يمكن بوسائل العرض الفنية أن تشبع حاجات الأطفال، لا سيما إذا وجدت المواهب القادرة على حسن التوظيف واستثمار هذه الجوانب في أعمال فنية ناضجة واعية تناسب الأطفال، فتغذي اهتماماتهم في هذه المراحل المبكرة من العمر، فيقبلون بحب وشغف على القصص التي تروي بمثل هذه المبادئ".¹

ولكن من الملاحظ أن القرآن لم يتعرض لتفاصيل الوقائع النبوية، وإنما تناولها إجمالاً، فهو حين يتحدث عن معركة لا يتحدث عن أسبابها، ولا عن عدد المسلمين والمشركين فيها، ولا عن عدد القتلى والأسرى من المشركين، وإنما يتحدث عن دروس للمعركة وما فيها من عبر وعظات، وهذا شأن القرآن في كل ما أورده من قصص عن الأنبياء السابقين والأمم للماضية، ولذلك فنحن لا نستطيع أن نكتفي بنصوص القرآن المتعلقة بالسيرة النبوية لنخرج منها بصورة متكاملة عن حياة الرسول ﷺ.²

ويجدر التنويه في هذا الصدد بدراسات هامة في مجال استخلاص السيرة النبوية من القرآن الكريم، نذكر من أبرزها: شخصية الرسول ودعوته في القرآن الكريم لمحمد علي الهاشمي³، وإطلالة قرآنية على بيت النبوة، لمحمد عمر الحاجي⁴، وكتاب العرض القرآني لسيرة الرسول، لعمر حمزة⁵. والجلول التالي يبين نماذج أخرى من هذه البحوث والدراسات:

1- سعد أبو الرضا، النص الأدبي للأطفال، أهدافه ومصادره وسماته، ص37، 38.

2- مصطفى السباعي، السيرة النبوية دروس وعبر، المكتب الإسلامي، دمشق، 5، 1980، ص35.

3- محمد علي الهاشمي، شخصية الرسول ودعوته في القرآن الكريم، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، 2003.

4- محمد عمر الحاجي، إطلالة قرآنية على بيت النبوة، دار غار حراء، دمشق، سوريا، 2001.

5- عمر حمزة، العرض القرآني لسيرة الرسول، دار أسامة، عمان-الأردن، 2، 1996.

عنوان الكتاب	المؤلف	ملاحظات
الحجرة في القرآن الكريم.	حزمي سامعون جزولي.	مكتبة الرشد 1996.
سيرة الرسول: صور مقتبسة من القرآن الكريم.	محمد عزة دروزة	راجعه عبد الله بن إبراهيم الأنصاري
غزوات النبي في ضوء القرآن والأحاديث.	محمد غوث الندوي.	الدار السلفية، 1983.
السيرة النبوية في القرآن الكريم: دراسة وتحليل.	محمد علي الحر كان.	دار الكتاب الإسلامي، 1981.
هجرة الرسول وصحابه في القرآن والسنة.	أحمد عبد الغني النجولي	دار الوفاء، 1989.
السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة.	محمد أبو شهبة	ط2، دار القلم، دمشق سورية 1992.
رسول الله في القرآن.	حسن كامل الملطوي	دار المعارف، 1972.
الرسول في القرآن.	محمود بن الشريف	دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1985.
النسب والأنبياء في ضوء القرآن.	أبو الحسن علي الحسيني الندوي.	الدار السعودية للنشر بجلد.
السيرة النبوية على منهج الوحيين القرآن والسنة الصحيحة.	مأمون جُمُوش	ط2، دار دمشق 1421هـ - 3 أجزاء.

جدول رقم (8) أبرز الدراسات والبحوث التي تناولت السيرة النبوية في القرآن الكريم.

وللتبعية لقصص السيرة المكتوبة للأطفال بالجزائر في مدى استلهاها من هذا المصدر تستوقفه للملاحظات التالية:

- من القصص من أثبت استعانتها بالمصدر، وظهر ذلك جليا من خلال توظيفه لنصوص قرآنية تدعم بعض الوقائع والأوصاف، وهو ما نجده عند قصة "محمد" لقندوزي كمال¹، وعند ساعد العلوي في "الحبيب المصطفى: مولده وصباه"، حيث نسجل حضور سورة الفيل كاملة بعد حديثه عن واقعة أبرهة².

- بينما نلاحظ اعتماد هذا الصنف من الكتاب على القرآن اعتمادا كبيرا في مختلف مراحل القصة، نجد غيرهم يقلل من ذلك إلا لماما، كقصة "حياة الرسول محمد" لسعد الدين ددش، حيث اكتفى بذكر أول آية نزلت في غار حراء في سياق حدث نزول الوحي³.

- ومن الكتاب من حاول استلهاها من هذا المصدر من دون بيان ذلك، وإنما يستشف من خلال بعض ألفاظه وعباراته، دون أن يذيل في نهاية القصة توثيقا وبيانا يدل عليه، وهو ما نجده في سلسلة السيرة النبوية لعبد الحق سعودي⁴.

1. 2- كتب السنة والحديث:

1- كمال قندوزي، قصة محمد، المكتبة الخضراء، ط2، 2003.

2- ساعد العلوي، الحبيب المصطفى: مولده وصباه، المكتبة الخضراء، الجزائر، 2004، ص6.

3- سعد الدين ددش، السيرة النبوية الميسرة، دار الهداية، قسنطينة، 2000.

4- عبد الحق سعودي، السيرة النبوية، شركة الشهاب، 1990.

تأتي السنة النبوية بعد القرآن الكريم، كمصدر ثان لسيرة المصطفى الأمين، وقد تضمنت كتبها أقواله وأفعاله، وتقريراته وصفاته، وأفردت أبوابا لنسبه وكيفية نزول الوحي عليه، وهجرته ومغازيه، ومرضه ووفاته، وفضائل أزواجه وأصحابه، وأخبار أخرى عن حياته¹.

وهي الأصل الثاني بعد القرآن الكريم، تستقى منها أحداث السيرة النبوية، إذ لا يوجد كتاب من الصحاح أو المسانيد إلا أفرد للسيرة بابا يتناول فيه أحداثها، وقد تم توثيقها على ضوء علم مصطلح الحديث، وعلمي الجرح والتعديل. وهذه الكتب تقدم مادة واسعة، وتحتوي على تفاصيل كثيرة متصلة بالحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ومن ذلك أحاديث جابر بن عبد الله الأنصاري الطوال وهو يروي عن بعض غزوات النبي ﷺ، مثال ذلك ما رواه منه عن غزوة الأحزاب وغيرها، وحديث كعب بن مالك عن المخلفين في غزوة تبوك، وهو حديث طويل يمكن أن يندرج ضمن القصص التاريخي. وتجدر الإشارة إلى أهمية كتب علم الرجال التي تدخل ضمن مصنفات علوم الحديث، والتي تقدم تفاصيل مهمة عن حياة الرواة ومدى تمتعهم بثقة معاصريهم ومن بعدهم، حيث أن نقد الروايات الحديثية، وروايات كتب السيرة من الناحية الإسنادية يتوقف على هذه للوفات الرجالية، بالإضافة إلى كتب مصطلح الحديث التي تبين بتفصيل كيفية استعمال هذه للمعلومات. فمصنفات الحديث وما فيها من الأخبار والروايات قد خضعت لنقد وتمحيص من علماء الجرح والتعديل، ونصوا على صحيح الأخبار وحسنها، وميزوها عن ضعيفها وموضوعها، كما نصوا على الرواة الثقة العدول، والرواة الضعفاء والمجهولين، مما سهل على الباحثين القدرة على النقد ومعرفة الصحيح من غيره.

فوجد ابن حجر مثلاً يقول عن محمد بن إسحاق في "تهذيب التهذيب": "إمام في الغزاة صدوق يلبس² و يقول عن الواقدي: متروك مع سعة علمه، ويقول عن سيف بن عمر التميمي: ضعيف في الحديث، عمدة في التاريخ³.

وكتب السنة والحديث كثيرة، إلا أن منها ما هو محقق معتمد، ومنها ما ينبغي أخذ الحيطة والحذر فيه، تبعاً لما أثبتته المحققون من علماء الجرح والتعديل، فنجد في مقدمة ما يعتمد عليه من هذه المصادر: الجامع الصحيح للربيع بن حبيب، وصحيح البخاري ومسلم، وكتب السنن لكل من أبي داود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجه، ويضاف إليها: موطأ الإمام مالك، ومسند الإمام أحمد، فهذه الكتب في الذروة العليا من الصحة والثقة والتحقيق، أما الكتب الأخرى، فقد تضمنت الصحيح والحسن، وفي بعضها الضعيف أيضاً.

وهذه الكتب الحديثية حوت القسم الأكبر من حياة النبي ﷺ، ووقائعه وحروبه، وأعماله، نستطيع أن نكون فكرة شاملة – وإن كانت غير متكاملة أحياناً – عن سيرته ﷺ، ومما يزيد الثقة بها والاطمئنان إليها أنها رويت بالسند المتصل إلى الصحابة، وهم

1- سعيد المغناوي، شخصية رسول الله بين تصوير الوحي...، ص 11.

2- الإمام والصدوق والمدلس مصطلحات في علمي الجرح والتعديل، وهي أوصاف متعلقة بالعدالة الأخلاقية والضبط العلمي لشخص الرواة.

3- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي، تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، 1984م.

الذين عاشوا الرسول ولازموه، ونصر الله بهم دينه، وقد رباهم رسول الله ﷺ على عينه، فكانوا أكمل أجيال التاريخ استقامة أخلاق، وقوة إيمان، وصدق حديث، وسمو أرواح، وكمال عقول.

وتجدر الإشارة إلى محاولات مهمة في مجال استخلاص السيرة من كتب السنة والحديث، منها:

كتاب "حقائق الأنوار ومطالع الأسرار" للمحدث ابن الديبع الشيباني¹، حيث اعتمد أوثق الروايات وأصحها فقط في عرض السيرة النبوية، ولكنه لم يتمكن من سد الفجوات كلها في عرض السيرة النبوية للطهرة.

بينما نجد دراسة سعيد المغناوي الأكاديمية حول شخصية الرسول ذا قيمة بالغة الأهمية في هذا المجال، حيث حاولت استخلاص ما يتعلق بالسيرة النبوية من الصحيحين البخاري ومسلم، فاستنبط 235 واقعة وموضوعا يسهم في بناء السيرة من أحاديث صحيح البخاري، و106 واقعة من صحيح مسلم، كما جمع 174 موضوعا من بقية كتب الحديث وعلومه².

وإذا تتبعنا اهتمام كتاب قصص السيرة للأطفال في الجرائد بهذا النوع من المصادر نجدهم على قسمين:

- القسم الأول لم يستعن أساسا بهذا المصدر، ومنهم سعد الدين ددش في "حياة الرسول محمد"³، وقندوزي كمال في قصة "محمد"⁴، ومحمد ناصر بوحجام في "سلسلة قصص من السيرة للفتيان والفتيات"⁵.

ويمكن تبرير هذا الإلغاء بأحد أمرين:

إما أن هؤلاء الكتاب صوبوا جام اهتمامهم على جانب الحكيم، فكان البناء الفني على حساب التوثيق العلمي، وكان هدفهم الطفل القارئ الذي لا تهمه التحقيقات والتوثيقات.

وإما لاعتمادهم مباشرة على كتب السيرة التي أقامت بناءها على هذه المصادر الحديثة، وإن وجدنا من هؤلاء من لم يوثق وقائعه وأحداثه لا من كتب السنة ولا من كتب السيرة للموجهة للكبار.

- القسم الثاني استعان بهذا المصدر، فيوثق أحيانا، ويحتجب أحيانا أخرى، ومنهم إلياس بن ساعد في "غزوة بدر الكبرى"⁶ فيما يتعلق بإخبار النبي صحابته قبيل الغزوة عن مصارع الأعداء، حيث أورد النص كاملا وأخرجه من صحيح مسلم تحت رقم (170/6)، ولم يوثق بعض الأعمال التي قام بها النبي أو أمر صحابته القيام بها، كذلك التي كانت قبيل قيام المعركة، من استشارة أصحابه، وتنظيم جيشه، والأمر نفسه مع قصة "محمد رسولي وقائدي وقلوبي" حيث وثق قوله عليه السلام "إنما بعثت لأتمم

1- ابن الديبع الشيباني، حقائق الأنوار ومطالع الأسرار، تحقيق عبدالله الأنصاري، مطبعة محمد هاشم الكتبي، دمشق، (د.ب.).

2- سعيد المغناوي، شخصية رسول الله ..، ص435 وما بعدها، وينظر ص724.

3- سعد الدين ددش، السيرة النبوية الميسرة، دار الهداية، قسنطينة، 2000.

4- كمال قندوزي، نبي الله محمد، المكتبة الخضراء، الجزائر.

5- محمد ناصر بوحجام، قصص من السيرة للفتيان والفتيات، وزارة الأوقاف، عُمان، 2007.

6- إلياس بن ساعد، سلسلة من غزوات الرسول، غزوة بدر الكبرى، دار السجلات.

صالح الأخلاق" من مسند الإمام أحمد، ولم يوثق قوله لمشركي مكة يوم الفتح "قولوا لا إله إلا الله واكفروا بأهنتكم تملكون العرب والعجم"¹.

1. 3 – أمهات كتب السيرة:

وهي المصدر للباشر الذي تستقى منه أحداث السيرة عادة، وإذا كانت كتب السيرة كلها تشترك في كونها مصدرا من المصادر التي يرجع إليها للتعرف على أحوال للمصطفى إلا أن كتب للتقدمين كسيرة ابن هشام (ت218)²، وطبقات ابن سعد (ت230هـ)، تمتاز بالسعة والشمول في العرض وذكر دقائق الأخبار، تاركة للدارس استخراج الدروس والعبر.

وتعد سيرة ابن اسحق (85 – 152 هـ)³ أوثق كتب السيرة للتخصصية التي وصلت إلينا بتهديب ابن هشام⁴، فهو حجة في المغازي كما صرح الذهبي، رغم ما ذكره النقاد المحدثون من وجود للناكبر والعجائب في رواياته، إذ أنهم قبلوا من أحاديثه ما صرح فيها بالتحديث ولم يدلس ما لم يخالف من هو أوثق منه، واعتبروها في مرتبة "الحسن" الذي يحتاج به⁵.

أما للمصدر الآخر من كتب السيرة فهو مغازي الواقدي⁶، وقد رفض المحدثون قبول مروياته، ولكن للورخين اهتموا بها لغزارة معلوماته، وتقديمه تفاصيل كثيرة ينفرد بها، سواء في وصف الغزوات، أو تحديد تواريخ الأحداث بدقة تثير الشك في صدقه، والملاحظ من استقراره مغازيه أنه يسوق روايات كثيرة بأسانيد فيها رواة لا نجد لهم تراجم في كتب علم الرجال.

وفي مجال التراجم فالطبقات الكبرى لمحمد بن سعد (168 – 230)⁷، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني⁸ هما الكتابان العمليان اللذان يرفدان السيرة النبوية في توضيح بعض الجوانب الغامضة فيها.

وتمتاز كتب السيرة للتخصصية بسهولة العرض، وتتابع الأحداث التاريخية واتصالها، ومراعاة الزمن في سردتها، كما أنها تقدم وصفاً مفصلاً للأحداث بحكم تخصصها، وقد فقد العديد منها، مثل مغازي عروة بن الزبير (22 – 94 هـ)¹، ومغازي ابن شهاب الزهري (58-124 هـ)، التي نقلها تلميذه موسى بن عقبة (55 – 141 هـ)².

1- مجهول المؤلف، محمد رسولي وقاندي وقدوتي، دار المعرفة، ص16، وص26.

2- تقدم التعريف به ص7.

3- تقدم التعريف به ص4.

4- يتحدث ابن هشام عن تهذيبه لسيرة ابن إسحاق فيقول: "وتارك بعض ما يذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن شيء،.. وأشعرا ذكرها لم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضها يشنع الحديث به، وبعض يسوء بعض الناس ذكره، وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته..". ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 2004، ص9، 10.

5- ينظر أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط وغيره، ص48.

6- هو محمد بن عمر الواقدي السهمي الأسلمي، ت207هـ.

7- تقدم التعريف به ص5، كان كاتباً للواقدي مما جرّ إلى اتهامه بسرقة مصنفاته، ولكن المحدثين النقاد رفضوا هذه الاتهامات ووثقوه، كما أن التحقيق والاستقراء لكتابه يكشف عن كونه مؤلفاً أصيلاً، وأن رواياته عن الواقدي وقد صرح بالنقل عنه لا تمثل معظم الكتاب الذي استقى مادته من شيوخ عديدين..

8- ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1992.

ومن المفيد الإشارة إلى أن مصادر متأخرة نسبياً مثل "الدرر في اختصار المغازي والسير" لابن عبد البر القرطبي (ت 463 هـ) و "جوامع السيرة" لابن حزم (ت 456 هـ) ليست إلا أصداء للمصادر القديمة، ولكن المصادر التي تلتها زمنياً استقت من كتب الحديث إلى جانب كتب السيرة المتخصصة، ويدو هذا للسلك واضحاً عند ابن سيد الناس في "عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير" و الذهبي في "السيرة النبوية"، وابن كثير في قسم السيرة من كتابه "البداية والنهاية"، لكن الأخيرين أبديا ملحوظات نقدية مهمة عن الأسانيد وللتون.

ومع بداية القرن الخامس الهجري تقريباً توقفت الرواية والتحديث في السيرة النبوية بالإسناد، حيث صارت المؤلفات تغفل الإسناد، ويرجع المصنفون إلى الكتب والمؤلفات بدلاً من التلقي المباشر من الرواة والشيوخ، وظهرت في تلك الفترة مؤلفات في السيرة النبوية تغفل الإسناد، وإذا وجد فهو إلى المصنفات الأولى في عصر الرواية.

وقد استلهمت بعض قصص السيرة النبوية للكتابة للأطفال بالجزائر من هذه المصادر الأولى وبالأخص منها سيرة ابن هشام، حيث نجد إلياس بن ساعد يستعين بها في تحضيرات النبي للمعركة، من إرسال بسبس بن عمرو الجهني وعدي بن أبي الزغباء الجهني لتحسس أخبار قافلة أبي سفيان، واستشارته للأمن في أمر القتال³، وهذا اعتماداً على ما ذكره ابن هشام في سيرته.

وذهب صنف آخر من الكتاب إلى ذكر المصادر التي اعتمد عليها إجمالاً في مقدمة القصة، ولم يفصل في ذلك، ومنهم ساعد العلوي في "الحبيب للمصطفى: مولده وصباه"، حيث ذكر اعتماده على سيرة ابن هشام الجزء الأول، ومحمد للثل الكامل لمحمد أحمد جاد المولي، وفقه السيرة للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي⁴.

بينما نجد من الكتاب من لم يوثق لهذه المصادر ولا لغيرها، وربما استعان بها لكن دون إشارة أو بيان، وهو ما نجده لدى "أنصر نبيك"، و"أعرف نبيك" التي تولت دار الخلدونية طباعتها⁵.

1.4- دراسات في السيرة النبوية:

اهتم الفكر الإنساني بشخصية النبي أينما اهتمام، وأولاهها عناية فائقة على امتداد العصور والأزمان، كل حسب اتجاهاته ومنطلقاته وغاياته، حتى أصبح يشتمل هذا المجال على عدة فنون⁶، أبرزها:

- 1- تذكر بعض المؤلفات أن عروة هو أول من كتب في السيرة، وهو من أهل الحديث، كان لإقامته في المدينة أثر كبير في الاطلاع على سيرة الرسول، وقد ذكرت بعض رسائله المتعلقة بالسيرة في كتب ابن إسحاق والطبري وغيرهما.
- 2- ابن شهاب الزهري (58 - 124 هـ) أول من دون الحديث، فقيه حافظ تابعي، من علماء السيرة، جمع ما رواه التابعون فأضافه إلى مروياته، ولم تصلنا سيرته، لكن اعتماد ابن إسحاق والواقدي عليها يدل على أهميتها، ومن تلاميذه موسى بن عقبة بن أبي العباس (55 - 141 هـ) قال فيه مالك: عليكم بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة فإنها أصح المغازي.
- 3- ينظر إلياس بن ساعد، سلسلة من غزوات الرسول، "غزوة بدر الكبرى"، دار السجلات، ص 10.
- 4- ساعد العلوي، الحبيب المصطفى: مولده وصباه، المكتبة الخضراء، 2004، ص 03.
- 5- مجهول المؤلف "أنصر نبيك" و"أعرف نبيك"، دار الخلدونية، 2006.
- 6- سعيد المغناوي، شخصية رسول الله بين تصوير الوحي وتصورات الدارسين، ص 11.

فن للغازي: ويعني بدراسة غزوات النبي وسراياه، وقد صنف فيه بعض أبناء الصحابة ومن جاء بعدهم كتباً مهمة، نذكر منها على سبيل المثال: للغازي لعروة بن الزبير (ت 93هـ)، وللغازي محمد بن مسلم الزهري (ت 124هـ).

ب - فن الشئائل: ويهتم في اللقام الأول بأحوال النبي وصفاته، قال ابن كثير: "شئائل رسول الله وبيان خلقه الظاهر وخلقها الطاهر قد صنف الناس في هذا قديماً وحديثاً كتباً مفردة وغير مفردة، ومن أحسن من جمع في ذلك فأجاد وأفاد الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، حيث أفرد في هذا المعنى كتابه للشهور الشئائل"¹.

ج - فن الدلائل: ويعني بتتبع معجزات النبي والأمور الدالة على نبوته، وقد ألف في كتب كثيرة منها: آيات النبي لعلي بن محمد اللدائي (ت 215)، أعلام النبوة لأبي داود السجستاني (ت 275هـ).

د - فن الفضائل: ويعني بالبحث عن وجود تفضيل النبي على جميع الخلق، وقد اهتم به علماء الإسلام منهم الإمام الشافعي والإمام مسلم، حيث أفرد له هذا الأخير باباً في صحيحه تحت عنوان "تفضيل نبينا على جميع الخلق"، ومنها كتاب الفضائل الحمدي ليويسف بن إسماعيل البهاني (ت 1350هـ).

هـ - فن الخصائص: ويعني بجمع خصائص النبي التي اختص بها عن أمته وعن الأنبياء السابقين، وقد صنف في كتب مفيدة منها: الدر الثمين في خصائص النبي الأمين لابن الجوزي (ت 597هـ)، وخصائص النبي لابن المدي الأنلسي (ت 663هـ)، ومن أحسن ما ألف في هذا الفن كتاب "الخصائص الكبرى"² للإمام السيوطي تحت مسمى "كفاية الطالب للبيب في خصائص الحبيب" حيث جمع فيه ألف خصوصية استغرقت منه عشرين سنة من عمره.

إلى جانب هذه الفنون، فهناك من الدارسين من تناول السيرة النبوية بالدراسة من زوايا أخرى تبعا لتعدد مناهجهم واختصاصاتهم، ومن ذلك للورخون، والجغرافيون، وللمصنفون في علوم القرآن، والمحدثون، والأصوليون، والفقهاء، والأدباء والعربون والنحاة، والفلاسفة وللتكلمون.

وهكذا عبر كل واحد منهم عما في قلبه، وكتب كيف تصور النبي في ذهنه، حتى أصبحت لدينا ركامات هائلة من المؤلفات، أنتجها تفاعل الناس مع نصوص الوحي المتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، باعتبارهما مصدرين أساسيين لسيرة الرسول، وكذا تفاعلهم مع المصنفات الأولى للسيرة النبوية³، وقد جمع صلاح الدين للنجد في معجمه ما ألف عن رسول الله خلال الأربعة عشر قرناً للماضية 2484 كتاباً موزعاً على 128 موضوعاً⁴.

1- ينظر ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملحوم وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط5، 1989م.

2- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الخصائص الكبرى، تحقيق: محمد خليل هراس، القاهرة، دار الكتب الحديثة، 1967.

3- سعيد المغناوي، شخصية رسول الله...، ص11.

4- ينظر المرجع نفسه، ص 701.

وإذا بحثنا عن بصمات هذه الدراسات كمصدر في قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال بالجزائر يستوقفنا صنفان:

أ- من الكتاب من لم يعتمد عليها أساسا فراح يكتب اعتمادا على المصادر السابقة وغيرها، فلم يعتمد على هذه الدراسات، كعبد الحق سعودي في "السيرة النبوية"¹، وإياد عيساوي في "الرجل العاصي"²، ويمكن تفسير هذا الأمر بأحد الأسباب التالية:

إما شهرة أمهات المصادر وسهولة الاقتباس منها، لاعتمادها على التسلسل التاريخي، الذي يتناسب والبناء الفني لقصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال بالجزائر.

وإما عدم الحاجة للباشرة إلى هذه الدراسات والتحليل في كتابة قصص السيرة للأطفال، على خلاف ما يقتضيه الأمر مع الكبار.

وإما نقص التجربة القصصية في هذا المجال بالجزائر خصوصا، على غرار الوطن العربي، إذ نجد في هذه المصادر زادا ثريا يمكن أن ينسج منه قصصا رائعة للأطفال على اختلاف مستوياتهم، لكن لم نثر على من تولى هذا الأمر إلا أقلاما نادرة في بعض البلدان العربية والإسلامية.

ب- من الكتاب من وضع قائمة للمصادر التي استعان بها في تمهيد القصة أو ختامها تضمنت بعضا من هذه الدراسات، حيث نجد ذلك عند ساعد العلوي في مقدمته، فألى جانب استعانه بسيرة ابن هشام من كتب الأمهات اعتمد أيضا على "فقه السيرة" لـ محمد سعيد رمضان البوطي، وكتاب "محمد للمثل الكامل" لـ محمد أحمد جاد للمولى³، بينما نجد محمد بوزواوي يذيل آخر الكتاب مجموعة من هذه الدراسات المشار إليها، ومنها "فقه السيرة" لـ محمد الغزالي، و"السيرة النبوية" لـ محمد أبو شهبه، و"هذا الحبيب يا محب" لأبي بكر الجزائري⁴.

2. المصادر الفرعية:

2. 1- كتب التفاسير وأسباب النزول:

تحتوي كتب التفاسير وأسباب النزول كما كبيرا من الأخبار المتعلقة بالسيرة النبوية، لكن رواياتها بحاجة إلى نقد وتمييز لمعرفة الصحيح من غيره.

1- عبد الحق سعودي، السيرة النبوية، شركة الشهاب، الجزائر، 1990.

2- إياد عيساوي، قصص يرويها المصطفى، الرجل العاصي، مكتبة الريام.

3- ساعد العلوي، الحبيب المصطفى: مولده وصباه، المكتبة الخضراء، الجزائر، 2004، ص3.

4- ينظر محمد بوزواوي، محمد رسول الله، دار البشير الإبراهيمي للكتاب، الجزائر، 2006، ص62.

ولا شك أن كتب التفسير - وخاصة الطبري وابن كثير في تفسيرهما لآيات الجهاد - والتي وردت فيها غزوات النبي ﷺ قد أغنت السيرة غناء كبيراً.

ولعل ما كتبه صاحب الظلال سيد قطب في ظلال هذه الآيات يعتبر من أجود ما كتب في السيرة في العصر الحديث. وتميز "تفسير الطبري" و"تفسير ابن أبي حاتم الرازي" بسممة التوثيق، حيث أنهما يسوقان الروايات بالأسانيد مما يخدم توثيق النصوص.

وللتأمل في مدونة البحث يستوقفه عزوف تام للكتاب من هذه المصادر، رغم كونها تحوي أخباراً مهمة، وتفاصيل لبعض وقائع السيرة، تمنح الكاتب فرصاً لتشكيل بنية قصصية غاية في الإثارة والشويق.

2. 2- الشعر المصاحب للرسالة:

كان الشعر سلاحاً من الأسلحة التي تسلح بها للمشركون للنيل من محمد ﷺ ودعوته، وإذا كان لل سيف قوة ورهبة فإن كلم اللسان أشد من كلم السنان كما يقال، ولما كان العرب أمة الفصاحة والشعر والبيان فقد قيض الله للمسلمين من الشعراء من أمثال حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير والنعمان بن بشير من يدافع وينافح عن دين الله، حيث كان شعرهم يتزل على أعداء الإسلام نزول الشهاب الثاقب.

وقد أثر عن الرسول عليه السلام قوله: "ما يمنع القوم الذين نصرُوا رسول الله ﷺ بسلاحهم أن ينصروه بالسنة"، فقد انتدب عليه السلام لهجو المشركين ثلاثة من الأنصار، هم: حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة، فكان حسان وكعب يعرضان بهم في الوقائع والأيام والمآتم، ويذكران مثالبهم، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بعبادة ما لا ينفع، فكان قوله أهون عليهم، وكان قول حسان بن ثابت وكعب بن مالك أشد القول عليهم، فلما أسلموا وفقهوا كان أشد القول عليهم قول عبد الله بن رواحة.

وقد جمع الحافظ فتح الدين محمد بن محمد الأندلسي المعروف بابن سيد الناس (734هـ)، الشعراء من الصحابة الذين مدحوا النبي عليه السلام بين رجال ونساء في قصيدة ميمية، ثم شرحها في مجلد سماه "منح المدح"، ورتبهم على حروف المعجم، فقارب بهم للماتنين، وللتبعية لشعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة يمكنه التعرف على جانب من جوانب سيرته.

ومما لا شك فيه أن المشركين قد هاجموا الرسول ودعوته على السنة شعرائهم، مما اضطر المسلمين إلى الرد عليهم على السنة شعرائهم، كحسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة وغيرهما، وقد تضمنت كتب الأدب وكتب السيرة التي صنفها فيما بعد قسطاً كبيراً من هذه الأشعار، التي نستطيع أن نستخرج منها حقائق كثيرة عن البيئة التي كان يعيش فيها الرسول ﷺ، والتي ترعرعت فيها عقيدة الإسلام أول قيامها¹.

1- مصطفى السباعي، السيرة النبوية دروس وعبر، المكتب الإسلامي، دمشق، ط5، 1980، ص45.

ويجدر التنويه في هذا الصدد بدراسات هامة في مجال استخلاص السيرة النبوية من قرائح هؤلاء الشعراء، نذكر من أبرزها دراسة شوقي رياض أحمد، تحت عنوان "شعر السيرة النبوية: دراسة توثيقية"¹، والجدول التالي يبين نماذج من هذه المصادر:

الكتاب	المؤلف	الطباعة والنشر
شرح قصيدة كعب بن زهير في مدح سيدنا رسول الله	جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري: 708-761 هـ	محمود حسن أبو ناجي، مؤسسة علوم القرآن، 1982.
غزوات الرسول بين شعراء الشعوب الإسلامية	حسين مجيب المصري	دراسة في الأدب الإسلامي المقارن، الدار الثقافية للنشر، 2000.
شعر في رسول العالمين	محمد الأطرش	دار المعالي، (د.م.ط)، 2001.
تغريدة السيرة النبوية شعرا وثرا	محمد عايش عميد	مكتبة دار التراث، (د.م.ط)، (د.ت).
منظومة الانتظام في سيرة خير الأنام	محمد خير ضميرية	دار قتيبة، (د.م.ط)، 1986.

2.3 - سير الصحابة والصحابيات:

أدرك كثير من الصحابة والصحابيات حياة الرسول عليه السلام في مختلف المراحل العمرية، في صباه وشبابه، في بعثته وهجرته، في سلمه وحربه، في بيته ومسجده، وكانت بعض أفعالهم وأقوالهم تشكل جزء من سيرته وسسته.

وأدى هذا الجيل الفريد أنوارا بارزة خلال مراحل الدعوة، وضربوا أروع الأمثلة في الترام أحكام الدين الجديد، حتى غدو مضرب للثل في كثير من القيم والمثل التي تدعو إليها شريعة الإسلام، وكان في مقدمتهم من الرجال أبا بكر الصديق، وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب.. الخ، ومن النساء خديجة بنت خويلد، وعائشة أم المؤمنين.. الخ.

وقد عني الدارسون قليلا وحديثا بسير هؤلاء الصحابة والصحابيات، وحرصوا على نقل أبرز الوقائع التي تربطهم بالرسول عليه السلام، فكانت بذلك منفذا آخر يكشف جوانب من حياته ﷺ.

ومن بين هذه الكتابات نجد سلسلة العبقريات لعباس محمود العقاد، وسلسلة "مائة قصة وقصة" لمحمد صديق المنشاوي، التي تناولت كلا من أبا بكر الصديق، وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، وكتاب "رجال حول الرسول" لخالد محمد خالد.. الخ.

1- شوقي رياض أحمد، شعر السيرة النبوية: دراسة توثيقية، دار المأمون للطباعة والنشر، بغداد، 1987.

ولم يعتمد كتاب قصص السيرة للأطفال بالجزائر على هذا النوع من المصادر، رغم أهميتها، وغزارتها، إذ يمكن نسج بى قصصية حول سيرته عليه السلام من خلال مواقف عديدة مع صحابته وأزواجه رضوان الله عليهم، وإذا بحثنا عن المصادر أسعفنا لكم الهائل منها على رفوف المكتبات العامة والخاصة.

3-الخلاصة:

حاول كتاب قصص السيرة النبوية للأطفال بالجزائر نقل مشاهد من سيرة النبي عليه السلام، إلا أنهم اعتمدوا على مصادر محدودة، وفي مقدمتها القرآن الكريم، وسيرة ابن هشام، فكانت بذلك في الغالب نسخا مكررة بعضها من بعض، وفي القليل النادر ما نجد تنوعا في المصادر، وهذا ما جعل الطفل القارئ يتعرف على جوانب محددة ومعروفة من حياته عليه السلام، بينما لو حاول الكتاب استثمار ما كتب في هذا المجال من خلال اعتماد مختلف المصادر السالفة الذكر، فإننا سنكتشف جوانب كثيرة يمكن أن تغذي بها ذهن الناشئة، ونمتع وجدالهم.

الفصل الرابع:

التجسيد الفني في

قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال بالجزائر

— **تمهيد:** التجسيد الفني هو تحويل المعاني والحالات إلى صور وهيئات، بحيث تبدو جميلة أو مثيرة أو واضحة¹. وبعد الوقفة التحليلية مع الموضوعات وللمصادر يجدر بنا تحديد المقومات الفنية التي تقوم عليها هذه التجربة، فبتحليلها ترسم الصورة كاملة تجاه للمستوى الذي بلغه هذا النوع من القصص.

وما ينبغي التسليم به سلفا هو أن هذه المقومات لا تنفصل عن بعضها البعض، ولا تنجز في العمل السردي الواحد، وإنما قيامنا بهذه التجزئة هو من قبيل التيسير الإجرائي للتحليل والدراسة فقط.

وللقصود من استقصاء البعد الفني هو محاولة الإجابة على الأسئلة التالية:

هل القيمة الأخلاقية تحبب الهيمنة على القيمة الجمالية في قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال بالجزائر؟ وأيهما استحوز على الآخر: السرد التاريخي أم البناء القصصي؟ وهل نجحت قصة السيرة النبوية في الاستحواذ على الطفل للتلقي دون أن تهتك قانون التوازن وتكسر معيار الانسجام بين الغاية الجمالية وغيرها من الغايات التي تختبئ للمشغلين بثقافة الطفل والأدب جزء منها؟ وبعبارة أخرى: إلى أي مدى استطاع الكاتب تبليغ مجموع القيم للتبائية بصيغة تخضع لأصول التوصيل الفني وشروطه؟

1. الشخصية:

يقصد بالشخصية في القصص المكتوب للأطفال، كل إنسان أو حيوان أو جماد يؤدي دورا في القصة، سواء كان دورا رئيسيا أم ثانويا، وللأديب حرية كبيرة في اختيار شخصيات قصصه، فقد تكون من عالم الإنسان أو الحيوان أو الطبيعة، وقد تكون أيضا من عالم الشهادة أو من عالم الغيب².

والشخصية تلعب دورا هاما في غرس القيم ولتثمل العليا، وترك في نفوس الأطفال أثرا قويا وعميقا³، لهذا يجب على الأديب أن يرسم هذه الشخصية بعناية، ويعالجها بيقظة وحذر بحيث تحقق أهداف القصة.

1 - هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، ص 107.

2- ينظر العيد جلولي، القصص المكتوب للأطفال بالجزائر...، ص 114.

3- أثبتت إحدى الدراسات التي أجريت للتعرف على مصادر المثل العليا للأطفال في أمريكا على عينة من 600 طفل سن 20-6 أن نسبة تتجاوز 50% من الأطفال كانت مصادر المثل العليا لديهم أشخاص تاريخيين، ينظر غاف أحمد عويس، ثقافة الأطفال، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط3، 1994، ص 63.

والقصة الجيدة هي التي تحتوي على شخصيات تدفع الطفل إلى أن يتفاعل معها فيتعاطف مع هذه الشخصية، أو يتقزز من تلك، ويجب هذه ويكره تلك، ويقتدي بهذا وينفر من الآخر، ويحكم على هؤلاء من خلال أقوالهم وأعمالهم¹، وينبغي للكاتب القصة أن يمتلك حاسة دقيقة في تصوير هذه الشخصيات، مستحيا أسلوبا فنيا حيويا عامرا باللفتات الدقيقة، بحيث توحى للطفل بأفكار يريد الكاتب غرسها في نفسه².

ومن خلال قصص السيرة النبوية للكتوب للأطفال بالجزائر نستبين تناول الكتاب لشخصية النبي ﷺ، وكيف تم عرضها؟ وهل تم رسمها بوضوح وإقناع، بحيث تحيل إلى تصديق أفعالها وسلوكاتها وفق ما تعرض له، وما يجب أن تقوم به؟ وباعتبار القصة "مصدر هام يجد الطفل فيها مجالا للمشاركة الوجدانية، فيفرح مع شخصياتها للرحمة، ويحزن مع شخصياتها الحزينة"³، هل قدمت قصص اللبونة للطفل بصورة وكيفية تسمحان له بتقمصها عن وعي وطوعية؟

وهل للمؤلف يعث الحياة في الشخصيات الأخرى، ويسير بهم في مراحل الحياة مع سير بطل السيرة نفسه؟ وهل تطورها يسير بشكل طبيعي ومتسق، دون استخفاف بهم، أو جعل أحوالهم تتجاوز ما قدر لهم في واقع الحياة؟⁴

وإذا كانت شخصية محمد ﷺ متعلقة بالنبوة وما ارتبط بها من خصوصيات كالوحي والمعجزة، كيف قدمت هذه المسائل للطفل للتلقي؟ وهل استطاع الكاتب أن يوصل إلى ذهن الطفل القارئ بأنها خصوصيات وليست خوارق ولا أساطير؟ وأما أمور خاصة به لا يمكن اكتسابها ولا حتى محاولة تقمصها؟ وما مدى وضوح هذه المسائل وبساطتها، بحيث يضمن القارئ فهما دقيقا وصحيحا تجاهها؟

1. 2- أنواع الشخصية وأنماطها:

درج نقاد القصة على تصنيف الشخصيات تبعا لاعتبارات متعددة، منها باعتبار الأحوار، فقسمت إلى: رئيسية وهامشية، ومنها باعتبار غطتوظيف كاتبها فتوزع بين: الشخصية النامية (للكشفة)، والشخصية الثابتة (الجاهزة)، وسنعمد على هذا التقسيم في بيان الخصائص الفنية للعمل القصصي للدروس.

أ- الشخصية الجاهزة (ذات المستوى الواحد)⁵: وهي تلك الشخصية البسيطة التي تجد لتصرفاتها في القصة دائما طابعا واحدا، وعندما تظهر في العمل القصصي تكون مكتملة، فلا تتغير ولا تبدل في عواطفها ومواقفها وأطوار حياتها، وفي هذا النوع تبنى الشخصية عادة حول فكرة واحدة أو صفة لا تتغير طوال القصة فلا تؤثر فيها الحوادث، ولا تأخذ منها شيئا⁶.

1- ينظر محمد حسن بريغش، أدب الأطفال أهداف وسماته، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط3، 1997م، ص 220.

2- ينظر العيد جلولي، القصص المكتوب للأطفال بالجزائر...، ص 115.

3- ينظر محمد علي الهرفي، أدب الأطفال دراسة نظرية وتطبيقية، ص 55.

4- ينظر إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص 47.

5- وتسمى أيضا بالشخصية المسطحة، والثابتة.

6- ينظر عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، رقم 240، ديسمبر 1998، ص 101، ومحمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، 1986، ص 565.

وقد اعتمد هذا النوع في "السيرة النبوية الشريفة"، وتمثل ذلك في وصف شخص "محمد بن عبد الله" مع أوائل أحداث القصة بالنبوة والرسالة، وهو لا يزال في مرحلة الرضاع قائلاً: "فالتمس عبد المطلب لرسول الله مرضعة من بني سعد"¹.

والأمر ذاته نجده مع قصة "نبي الله محمد" لكمال قندوزي، إذ يخبر الطفل القارئ بعظمة محمد منذ لحظات ميلاده، قائلاً: "هو ميلاد أعظم مخلوق بعثه الله لينقذ الناس"².

بينما تنكشف شخصية محمد في قصة "حياة الرسول" كاملة في أول جملة من المقدمة، وهذا من خلال كم الأوصاف والأفعال التي نسبها إليه الكاتب، "محمد رسول الله، ونوره في الأرض، وسراج المضيء، يهدي الناس إلى الحق والخير، بعثه الله للناس جميعاً".

وعد بعض النقاد هذا الوصف من قبيل الفلذكة الذهنية التي من شأنها أن تضعف الامتصاص والتقمص لدى القارئ، "فالصورة الإنسانية لا تبرز بالتقارير الحاسمة التي يرسلها الكاتب، ولا بالمقدمات التي يدبجها في أول كل فصل، فذلك تعال يجعله أسير الفلذكة الذهنية، إذ يستطيع القارئ العادي أن يحس بوجود "محمد الصديق" مثلاً من الحكايات البسيطة الواردة عن موافقه مع أصحابه"³.

ب — الشخصية المنكشفة⁴: هي التي تنكشف لنا تدريجياً خلال القصة، وتتطور بتطور حوادثها، ولا يستطيع القارئ أن يعرف مسبقاً ما سيؤول إليه أمرها، لأنها متغيرة متبدلة⁵.

وتطور الشخصية ونموها مما يوحى بالافتتاح بما دعماً لبناء القصة وحيويتها، لأن هذا النمو قرين بتطور القصة نفسها وإثراء الحركة فيها، وللكشف عن الشخصية وسائل متعددة منها: السرد المباشر، أو تسجيل حديثها، وحوارها مع غيرها، أو وصف أفكارها ومشاعرها، أو عرض أفكار الآخرين عنها، أو تقديمها من خلال أفعالها فتنبئ الأحداث عنها، وربما كانت تلك من أنجح الوسائل لاسيما إذا كشفت عن تطور الشخصية ونموها. وليس معنى ذلك أن الشخصية الثابتة معينة فنياً، لأن هناك من اللواقف ما قد يتطلب ثبات الشخصية، لكنها يجب أن تكون واضحة محددة ومرسومة بدقة، بحيث تتجلى سماتها الفردية وخصائصها المميزة لها، وهي شخصيات تلتزم سلوكاً محدداً معروفاً لا تحيد عنه أبداً، وكلما تغلبت الشخصية على مشكلاتها — مادام نضالها شريفاً — فإنها تكون أكثر جذباً للطفل وتأثيراً فيه، واجتماع الحوار والحركة بمختلف أنواعها ودرجاتها حسب ما تتطلب اللواقف والأحداث مما يثري الشخصية والقصة معاً⁶.

1- إلياس بن ساعد، السيرة النبوية الشريفة، ص7.

2- كمال قندوزي، نبي الله محمد، ص4.

3- وجه إحسان عباس هذا النقد لعقريات عباس محمود العقاد، ينظر إحسان عباس، فن السيرة، ص52.

4- وتسمى أيضاً بالشخصية المستديرة، والمدورة والناحية.

5- ينظر عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص101، ومحمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص566.

6- سعد أبو الرضا، النص الأدبي للأطفال (أهدافه ومصادره وسماته)، ص118.

ونجد في قصة "الحبيب المصطفى مولده وصباه"¹، تبني الكاتب هذا النمط في رسم شخص محمد ﷺ، إذ بدأت الشخصية في الانكشاف بعد عرض وقائع ومشاهد عدة، منها ما كان عليه العرب قبل ميلاده، وما وقع من أمر أبرهة الحبشي، ثم بدت لنا ملامح شخصيته في التشكل مع ذكر أمارات وشارات النبوة، لتتوالى بقية الأجزاء في البناء مع سير أحداث القصة.

وفي قصة "محمد رسول الله" لمحمد بوزواوي تكتمل ملامح شخصية محمد ﷺ مع ختامها، إذ كانت الأحداث تسهم في كشفها وفق بناء تراكمي متنام، تجعل الطفل القارئ يقتنع بما تؤديه من أدوار، وتستدعيه لتقمص تصرفاتها وسلوكاتها².

وقد اعتمدت القصتين في الكشف طرقا مختلفة، فأحيانا تتبنى طريقة السرد المباشر، وأحيانا أخرى بوصف أفكارها ومشاعرها، وقد يمنحها زمام المبادرة فتقوم بأعمال تبدو ملامحها من خلالها.

1.3 سمات الشخصية وخصائصها:

أ- الوضوح: مهما كان نوع الشخصية فإن كاتب الأطفال يجب عليه أن يراعي في عرضها وطريقة تقديمها وكيفية تصويرها الوضوح، بحيث يستدعي هذا من الكاتب رسم شخصياته بعناية مع تركيزه على الجوانب الملموسة المرئية، بما يتفق مع أسلوب الطفل في التفكير الحي، بحيث تظهر هذه الشخصية مجسمة بشكلها ولونها وسائر خصائصها المادية في مخيلة الطفل³.

وإذا تأملنا قصص السيرة النبوية نجد تباينا بين كتاب القصص في محاولة تجسيد هذه الصفة في رسم شخصيات قصصهم، إذ نجد إلياس بن ساعد في سلسلته القصصية مثالا يستعين بالألفاظ في تصوير شخصياته، وقد ظهرت شخصية النبي واضحة، من خلال تصرفاتها تارة، ومن خلال ما تحكم به على تصرفات أصحابه وأعدائه تارة أخرى، وأحيانا يوقف عجلة الأحداث ليعلق على موقف أخلاقي أو بطولي يضيفي لمحة توضيحية إضافية على شخصيته.

بينما نجد محمد ناصر بوحجّام إلى جانب هذه الطرق، يستعين بالرسم والتصوير في بيان ملامح الشخصيات الثانوية، وتظهر العلامة الفارقة واضحة في هذين العاملين بين شخص النبي ﷺ على أنه شخصية رئيسية، وغيرها من الشخصيات الأخرى، من خلال الربط الوثيق لجزئيات الأحداث به ﷺ.

في حين لو تأملنا السيرة النبوية لعبد الحق سعودي نجد شخصية النبي إلى جانب الشخصيات الأخرى تقتقد إلى الوضوح المطلوب لتفسير تصرفاتها وأقوالها، ذلك أن الطفل القارئ يلتقط من زخم الأحداث وتراكمها ومضات خاطفة لا تشكل في مجموعها صورة واضحة مكتملة.

وما يلفت الانتباه في هذا الجانب هو التركيز الشديد لكتاب قصص السيرة على وضوح شخصية النبي وإن كان الأمر مطلوباً، إلا أنه كان على حساب بقية الشخصيات سواء للمساعدة أو للمعارضة، إذ لم تستوف حقها في هذا الجانب، بحيث أن

1- ساعد العلوي، الحبيب المصطفى، مولده وصباه، المكتبة الخضراء، الجزائر، 2004.

2- محمد بوزواوي، محمد رسول الله، دار البشير الإبراهيمي.

3- ينظر أحمد نجيب، فن الكتابة للأطفال، ص 80.

الطفل القارئ يخرج بمحصلة واضحة عن شخص النبي، بينما بقية الأشخاص الآخرين تبقى صورهم تشوبها ضبابية، وهو أمر ينبغي تداركه.

ب- مراعاة التناسب: بين عدد الشخصيات ومراحل الطفولة، فإذا كانت قصص الكبار تتعدد فيها الشخصيات وتباين على نطاق واسع فإن ذلك غير مرغوب فيه في قصص الأطفال، فالطفل لا يستطيع متابعة عدة شخصيات خصوصاً في مرحلتي الطفولة المبكرة والطفولة المتوسطة، ومن ثم يجب الاعتماد على شخصية واحدة رئيسية مع غيرها من الشخصيات الثانوية القليلة¹. ورغم أن الأمر يحتاج إلى شيء من اليقظة والحذر إذا ما تعلق بالقصة التي تستمد مادتها الحكائية من التاريخ، ومنها قصص السيرة النبوية، لكونها قد تلحق تشويهاً بالحقيقة التاريخية إذا أسيء توظيفها في العمل الفني، ذلك أن الكاتب قد يفهم من هذا حذف شخصيات، وإبطال أعمال واستبدالها ببياضات، فيعد هذا خرقاً للموضوعية التاريخية المطلوبة.

وعليه فإن التناسب المطلوب هنا هو القدرة على انتقاء مواقف وأحداث من السيرة، تستدعي حضور عدد مناسب من الشخصيات، تبعاً للمرحلة التي يتوجه لها العمل القصصي، وإن كان الأمر بحاجة إلى دراسات وبحوث، وما تم اتوصل إليه حالياً في هذا المجال لا يعد إلا من قبيل الاستئناس.

ج- تقدير أدوار الشخصيات الثانوية في السيرة: إذ لا بد من بعث الحياة فيهم، وتحريكهم والسير بهم في مراحل الحياة، مع سير بطل السيرة نفسه، ولا يجوز الاستخفاف بهم، أو جعل أدوارهم طاغية تتجاوز ما قدر لهم في واقع الحياة².

ومن خلال تبعا للأعمال الفنية الجزائرية في هذا المجال، نلاحظ أن أغلب الكتابات جسدت هذا التقدير لدور الشخصيات الثانوية، وربما طبيعة المادة الحكائية التي اعتمد عليها أغلب الكتاب ساهمت في تحقيق هذه اللبزة، حيث نجد الأحداث تبني على فاعلين ثانويين.

وما يمكن ملاحظته هو في الأعمال التي تبني على السلاسل والحلقات، نجد في بعض حلقاتها طغياناً لبعض أدوار الشخصيات الثانوية، فمن خلال ما منح لها من فرص الأداء والفعل تبرز على حساب الشخصية الرئيسية للمثلة في محمد.

ومن ذلك الحلقات الأولى التي تناول ما قبل ميلاد النبي، حيث نجد عبد المطلب يصور كشخصية رئيسية، لما كانت لها من مكانة في قريش من جهة، ولما أسند لها من أعمال في تلك المرحلة الزمنية.

والحقيقة الفنية في العمل السيري هو أن تبقى شخصية للكاتب عنه أكثر ظهوراً في جميع مراحل العمل، وهو الذي حاول بعض الكتاب تجسيده حتى في الحلقات الأولى من السيرة النبوية التي تعني بأحداث ما قبل ميلاده، إذ حرصت على الحضور للعنوي للشخصية الرئيسية، وهي لا تزال غائبة عن مسرح الأحداث.

1- ينظر سعد أبو الرضا، النص الأدبي للأطفال، ص 118.

2- ينظر إحسان عباس، فن السيرة، ص 53.

د- الحرص على التصوير الفني: والعمق في تناول الشخصيات، وإخراج مشاهد مفعمة بالحياة، والعمق في تصوير الشخصية، وربط نموها بنمو العالم الخارجي، وتفاعلها معه¹.

فالحركة للتأغمة بين نمو الشخصية النبوية والأحداث للتصاعدة تجعل الطفل القارئ يندمج وسط الأحداث، فيتفاعل مع شخصية النبي، ويقاسمها الأفراح والأحزان، "فكاتب السيرة ليس مجرد مؤرخ ينقل ما سمع أو ما شاهد أو قرأ، بل لابد أن يتابع الشخصية في تطورها وتغيرها"².

إذ نجد من الكتاب من استطاع إذكاء جو من الحيوية والحركة، من خلال الربط والانسجام بين الأحداث والشخصيات، فنجد النبي حاضرا في أغلب الفترات، ويشارك في صنع الحدث، إما شخصا وإما انتدبا من أحد أصحابه، سواء في السلم والحرب، أو في الرخاء والشدة، وأحيانا يتوقف الكاتب عند حدث هام ليستطرق كوامن النبي ﷺ وأحاسيسه ومشاعره تجاه الحدث، فيضفي على الموقف تفاعلا وحيوية وعمقا.

هـ- أن لا يعد شخصية محمد ﷺ من صنف البشر، فيحيطه الكاتب بسياج القداسة، ويتحدث عن عبقرية خارق، لا عن إنسان عادي، فهذا من شأنه أن يحدث اضطرابا كبيرا، مما ينحرف بسيرته إلى مجرد فصول بعضها يتميز بالنظر الدقيق النافذ، وبعضها يعتمد على قوة الذكاء في الفحص والتبرير، وهو للمأخذ الذي لوحظ في عبقریات العقاد، ومنها "عبقرية محمد".

وقد وجدنا من كتاب قصص السيرة الجزائرين من غالى في تعظيم الشخصية المحمدية وتمجيدها، مما أبعد إمكانية التقمص، وجعل الطفل يتابع تصرفاتها من موقع أدنى يستحيل التسلسل منه إلى الموقع الذي وضعت فيه شخصية النبي، مما نتج عنه خيبة أمل في تحقيق الأهداف المرجوة في مثل هذا النوع من الكتابات، وتجلي ذلك خصوصا في عدم التفريق خلال تفسير بعض تصرفاتها على أنها من قبيل الوحي الإلهي، في حين أنها تعد من صفات النبل الإنساني.

ولا يعني هذا إلغاء لخصوصيات النبوة، أو تحويرا في تفسيرها وتبريرها، وإنما تكمن مقدرة الكاتب في بيان الفرق بين تصرفات محمد النبي، ومحمد البشري، بحيث يجد للتلقي الصغير فسحة نحو الامتصاص، ومن ثم الاقتداء والتأسي.

فمحمد رسول وني يوحى إليه، ومحاط بعناية إلهية، إلا أنه كذلك إنسان أمين، محمود الخلق، محبوب الصحة.. الخ، كان في قمة الإنسانية قبل النبوة، فرادته النبوة شرفا ونبلا.

و- التوافق مع خصائص الطفولة وأهداف المجتمع: فالأطفال يندمجون مع أبطال القصص، ويتقمصون أدوار أولئك الذين يتأثرون بهم، فيشترط لذلك أن يكون رسم الشخصيات سليما، حيث إن التقمص هو عملية لا شعورية يمتص من خلالها الفرد

1- بعض الشخصيات التاريخية إذا كان بينها صراعا دراميا قد يعطي لها المؤرخ سطورا معدودة أو حتى حاشية، أما عند الأديب فقد يخصصه بسبب صفحات حافلة لتصوير الطبيعة الدرامية لهذه الشخصيات، فيركز على قيمها وآمالها واستراتيجيتها، وصفاتها الداخلية، وهو ما فعله راستن لما كتب سيرة فرجينيا وولف.

2- ينظر إحسان عباس، فن السيرة، ص 23.

الصفات الحسنة إلى نفسه من شخصية أخرى يكن لها الإعجاب أو الحب، ويساعد التقمص الطفل على اكتساب الكثير من العادات والتقاليد واللغة وأماط السلوك المختلفة.

وقد تكون بعض أنماط التقمص ضارة، حين لا تتلاءم مع شخصية وظروف التقمص عنه، ومن هنا جاء التأكيد على وجوب تصوير الأبطال للأطفال من لهم من الخصائص الأخلاقية للتوافق مع الطفولة وأهداف المجتمع في تثقيف أطفاله¹.

1.4- شخصية محمد ﷺ بين البطولة وخصوصيات النبوة:

أهم ما يميز القصة المكتوبة للأطفال شخصية البطل، لذلك يعمل القاص قصارى جهده في منحها القوة، وإضفاء صفة الحيوية عليها، لتتعلق في تصوير الأحداث.

ويتابع الطفل براءة وشوق مغامرات هذه الشخصية البطلة، ويتصاعد تفاعله معها إلى درجة التوحد مع آمالها ومشاكلها، "بحيث تمثل الخطوة الحقيقية في مجموعة الأفكار والمبادئ والقيم التي تنساب بشكل مباشر وغير مباشر من خلال شخصية البطل إلى عقلية الطفل"².

لهذا يعتبر البطل في قصص الأطفال ركن مهم وضرورة تربوية، لأن الطفل في مرحلة تكوين الشخصية (مرحلة الطفولة للتأخر، أو مرحلة البطولة والمغامرة)، يحتاج إلى قدوة، فيميل إلى الاستهواء والمثيل والتقليد والتقمص، وهي عمليات نفسية متشابهة متشابهة، فالاستهواء هو تقبل آراء الآخرين ممن يعجب بهم الطفل أو يقدروهم دون نقد أو مناقضة، أما التقمص فهي عملية أخذ صفات الشخص (البطل)، أو الأشخاص (المجموعة) الحسنة والمقبولة اجتماعياً وأخلاقياً، وينسبها إلى نفسه، ويعتبرها جزءاً من كيانه الشخصي، بل من صفاته الذاتية³.

ويتجه الطفل عادة إلى أولئك الأشخاص الذين يمتلكون خصائص جسدية ممتازة أو مزايا نفسية بارزة، فالقوة والسيطرة على الآخرين، والإغراء والجاذبية الجسدية ودفع العاطفة، والأمانة والصدق كلها أمور يجلبها الطفل، ويحاول استنساخها والعمل بها، والتحلي بسماها⁴.

وعندما يشرع الطفل في القراءة أو الاستماع للقصص فإنه يتقمص شخصيات أبطالها، لهذا كله يجب على كاتب قصص الأطفال أن يرسم شخصية البطل رسماً واضحاً قوياً، فالطفل بحاجة إلى أن يرى الشخصية أمامه حية مجسمة، وأن يسمعها تتكلم بصدق وحرارة وإخلاص، فيرى فيها صدق الحقيقة وحرارة الحياة، وإذا تم له التعرف عليها وفهمها والافتتاع بها كان هذا هو

1- هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، ص183.

2- منصور القطري، شخصية البطل وأثرها على ذهنية الطفل، مجلة الخفجي، السعودية، عدد ماي، سنة 1994، ص 38.

3- ينظر المرجع نفسه، ص38.

4- ينظر العيد جلولي، القصص المكتوب للأطفال بالجزائر...، ص117، نقلاً عن ضياء الدين أبو الحب، طفلك عندما ينمو في الشخصيات التي يتقمصها.

للدخل الأول نحو تحقيق نوع من التعاطف بينه وبينها، وتحقيق التعاطف بين الطفل للتلقي وبعض شخصيات القصة يخلق جوا انفعاليا مساعدا يخطو بالقصة إلى النجاح¹.

والأمر هنا متعلق بشخص محمد ﷺ، إلا أن الإشكال القائم هو: هل محمد يعد بطلا؟ أم أنه يتعامل معه كشخص له خصوصيات النبوة والمعجزة؟ أم يمكن الجمع بينهما؟ وإذا أمكن الجمع فهل يتيسر إيصال هذا التصور إلى الطفل للتلقي؟ وإن تيسر ذلك فإلى أي مدى تحقق هذا في قصص الكتاب الجرائرين؟

- خصوصيات محمد ﷺ:

أ- النبوة: وتعني الإخبار، ومنه في القاموس المحيط: النبي: المخبر عن الله تعالى²، وقد لقب محمد في القرآن الكريم بهذه الصفة في 39 موضعا³، ويعد محمد آخر الأنبياء وخاتمهم، وقد بعث إلى الناس كافة بخلاف سابقه من الأنبياء.

ب - الوحي: هو الإعلام بالشرع⁴، أي إعلام الله تعالى أنبياءه ورسله بما كلفهم به بتبليغه إلى خلقه من الشرائع والحكم، وأنباء الغيب وغير ذلك⁵. فقد يطلق على الوحي به، وهو كلام الله المنزل عليهم، من باب إطلاق المصدر على اسم للفعل⁶.

وقد كان محمد ﷺ يتلقى الوحي عن طريق جبريل وهو الأكثر، أو مباشرة من اللوح المحفوظ، وقد كان ذلك في تشريع عبادة الصلاة ليلة الإسراء والمعراج في سكرة للشهي، وإما عن طريق رؤيا في المنام.

ج - المعجزة: هي الأمر الخارق للعادة، والذي يعجز الناس عن الإتيان بمثله، وهي دليل على النبوة وبرهان على صدقه، فما لم تؤيد رسالة نبي بمعجزة فإنها لا تكون محل تصديق واتباع.

فقد أرفقت رسالة عيسى بمعجزات، حيث كان يرى الأكمة والأبرص، وسيدنا موسى لما يدخل يده في جيبه ثم يخرجها فإذا هي بيضاء للناظرين، أما محمد ﷺ فقد أيد بمعجزات عديدة، أعظمها كان معجزة بيان القرآن الكريم، إلى جانبها فقد أيد بمعجزات أخرى، كمعجزة الإسراء والمعراج، وكسر الصخرة يوم الخندق، وغيرها.

وإذا تأملنا تناول الكتاب الجرائرين لهذه الخصوصيات في قصصهم تستوقفنا للملاحظات التاليتين:

- من الكتاب من وفق في تصوير المعجزة والوحي كخصوصية نبوية، من خلال سياق الأحداث، حيث نجد إلياس بن ساعد يسوق إعلام محمد بمكيدة بني النضير من قبل الوحي على أنه شأن إلهي خاص برسوله من دون أصحابه، وذلك في

1- ينظر سعيد أحمد حسن، أدب الأطفال ومكتباتهم، مؤسسة الشرق للعلاقات العامة والنشر والترجمة، عمان، الأردن، 1984. ص78.

2- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مرا: د. محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2008، ص47.

3- ينظر سعيد المغناوي، شخصية الرسول...، ص68.

4- ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر، (د.ت)، ص15.

5- سعيد المغناوي، شخصية الرسول...، ص79، نقلا عن العربي اللوه، الرائد في علم العقائد، تطوان، 1974.

6- ينظر ابن حجر، فتح الباري...، ص15.

السياق التالي: "وفي سرعة لا تتصور أوحى الله إلى رسوله بما يدبر له، فقام على الفور.. فلما استبطأ أصحابه قاموا ولحقوا به"، فربط المسألة بكونه رسولاً لله يوحى إليه، وأن أصحابه لا علم لهم، ولا يمكن أن يعلموا ما لم يخبرهم، فهذه أسباب واضحة، تجعل الطفل يقتنع بأنما خصوصيات من جهة، وتقرب إلى ذهنه مفهوم النبوة والوحي والمعجزة من جهة أخرى.

- من الكتاب من أدركه الإخفاق في تصوير المعجزة، فراح ينشد التبسيط لكن كان ذلك على حساب التصوير الصحيح للحقائق والوقائع، وهو ما يوقع ارتباكاً، وازدواجية في الفهم، إذا ما أعاد الطفل للتلقي إعادة قراءتها في مرحلة لاحقة أو آتية من كاتب آخر.

ويتعلق الأمر بعد الحق سعودي مع معجزة الإسراء والمعراج، حيث اكتفى بوقوع الإسراء فقط، على أنه أسري به إلى بيت المقدس، دون إشارة إلى ما بعدها من معراج وتشريع لفريضة الصلاة، فيقول: "أسرى الله بعبد محمد، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهو بيت المقدس، وجاء الناس إلى أبي بكر.."، فهذا التبسيط وإن كان مطلوباً لكنه كان على حساب الصورة الحقيقية للمعجزة، ذلك أن الطفل إذا أعاد قراءتها من كاتب الآخر فسيجد أمر البراق وقصة للمعراج، وغيرها من الحقائق التي تعد من ركائز بنية هذه المعجزة¹، وخصوصاً مع هذا الحدث بالذات، إذا ما أخذت عناصر الإثارة والتشويق التي يتضمنها، فإنه يمكن نسج حبكة فنية غاية في التأثير الجمالي والأخلاقي.

ولوحظ الأمر نفسه مع "نبي الله محمد" لقندوزي كمال، وإن كان التحوير ورد بصورة أخف من الأول، وهذا خلال واقعة نزول الوحي في غار حراء، إذ تجمع المصادر التاريخية على أن محمد رأى جبريل على صورته الحقيقية في ذلك للموضع، وما كان من الضم الشديد، بينما نجد قندوزي يصور الأمر على أنه مجرد صوت قوي يرتجف منه، حيث يقول: "وذاث يوم لما كان محمد في غار حراء يتعبد إذا بصوت قوي يقول له: "اقرأ"، فارتجف خوفاً من هذا الصوت..²

وعليه فإن البطولة والخصوصيات النبوية في قصص السيرة يمكن تجسيدهما في شخص محمد، على أن يخضع العمل القصصي للشروط التالية:

- تكريس الخصوصيات النبوية في إظهار الموقف البطولي لمحمد.
- الجمع والتفريق في آن واحد بين محمد الإنسان البطل، ومحمد النبي المرسل، في تناغم وتناسق يجعل الطفل للتلقي يدرك مكان البطولة، وخصوصيات النبوة.
- الترام وحدة التصور تجاه حقائق السيرة، بين الطفل للتلقي حاضراً والرجل القارئ مستقبلاً، وذلك من خلال التبسيط غير للحل للواقعة السيرية، تفادياً للإرباك والعموض، وطلباً لفهم الصحيح والوضوح.

1- عبد الحق سعودي، السيرة النبوية، الحلقة 6، شركة الشهاب، الجزائر، ص 3.

2- كمال قندوزي، نبي الله محمد، المكتبة الخضراء، الجزائر، ص 9.

"فالرسول عليه السلام كانت فيه صفات ساطعة، تدل على ملامح البطولة، كالشجاعة والثبات والتضحية والإقدام والعزم والحزم، فهي صفات أرجح في ميزان الرجولة، ولكنه كان أيضا محاطا بوعد الله ورعايته وتوفيقة، وملائكته للقاتلون، والنعاس الذي يغشي المسلمين أمة، وللطر الذي يطهرهم، والرياح التي تقتلع خيام للمشركين، وتثبته لأفئدة للمقاتلين، وقذفه الرعب في قلوب الكافرين، وقدره النافذ"¹.

1. 5-التشخيص في قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال:

يقصد بالتشخيص محاولة رسم شخصيات ذات علامات مادية ومعنوية متميزة، تترك في نفوس الأطفال بصمات لا تنسى، ويتمى هذا النوع من الشخصيات إلى ما يسميه النقاد بالشخصية المسطحة.

غير أن للمصطلح مفاهيم أخرى في غير أدب الأطفال، ذلك أن النقد الغربي يعرفه بأنه: هو إضفاء الأوصاف والخواص الإنسانية على الأشياء أو المفاهيم التجريدية².

أما النقاد العرب فقد عرضوا للتشخيص كعنصر من عناصر التصوير والخيال والتفوق والإبداع، فمحمد النويهى في معرض حديثه عن هذا المصطلح يقول: "هو تصوير الحياة فيما لا حياة به، أو تصور شخصية حية واعية مريدة للأشياء التي لا حياة فيها، فضلا عن الوعي والإرادة، مثل الصخور والجبال وينابيع الماء والرعد والبرق والريح"³.

وفي معرض حديثه عن الشعر والأسطورة يعرف إحسان عباس التشخيص بقوله: الشاعر وصانع الأسطورة يعيشان في عالم واحد، ولديهما موهبة واحدة، هي قوة التشخيص، فهما لا يستطيعان تمثل شيء إلا إذا أعطياه حياة داخلية وشكلا إنسانيا⁴.

ويرتبط الأطفال بالحيوان ارتباطا وثيقا، يرجعه البعض إلى السهولة التي يجدها الأطفال في تقمص أدوار الحيوانات، أو رغبتهم في قيام ألفة مع بعضها، أو في السيطرة على بعضها الآخر، كما أنها تتيح للأطفال أن يمارسوا التخيل والتفكير دون عناء، لاعتمادها على الصورة الحسية في التعبير، خصوصا وأن شخصياتها في العادة قليلة، وأفكارها خالية من التعقيد⁵.

وينبأ أن الإنسان قد وجد في الحيوان عفوية، فاستساغ أن يجعله في مخيلته صنيعة يسبغ عليه ما يشاء أو يظهره بالكيفية التي يريد، فهو يظهره ذكيا أو بليدا، أو طيبا أو شريفا، أو قويا أو ضعيفا، أو وفيا أو غادرا.

ووجد الإنسان نفسه أكثر وضوحا عندما استطاع أن يشخص سلوكه المستملح أو المستقبح من خلال مخلوقات غير إنسانية، أي وجد فيها خير مثال على الأحسن والأسوأ في الشخصية الإنسانية.

1- ينظر غازي التوبة، الفكر الإسلامي المعاصر، دار القلم، بيروت، ط3، 1977، ص145.

2- يوسف حسين بكار، قضايا في النقد والشعر، دار الأندلس، بيروت، لبنان، 1984، ص35.

3- المرجع نفسه، ص35، نقلا عن محمد النويهى، ثقافة الناقد الأدبي.

4- إحسان عباس، فن الشعر، دار الثقافة، بيروت لبنان، 1961، ص45.

5- هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، ص180.

ومع أن جميع الأطفال في مختلف فئاتهم العمرية يتعلقون بقصص الحيوان، إلا أن أطفال المدرسة الابتدائية هم أكثر شغفا بها، وكانت دراسات عربية قد انتهت إلى هذه النتيجة متفقة في ذلك مع نتائج كثير من البحوث الأجنبية في هذا المجال¹.

وإذا بحثنا عن تجربة حضور غير الإنسان، من حيوان وعناصر طبيعية كأشخاص فاعلين في قصص السيرة النبوية للكتاب للأطفال بالجزائر نجد الأمر منعما، رغم ما تتيحه المادة الحكائية للسيرة النبوية من فرص التشكيل والبناء التشخيصي.

بينما نجد من غير الكتاب الجزائريين من حاول هندسة شخصياته بهذه العناصر، فقدم بذلك أبنية فنية رائعة، أبدعت في إعادة تقديم هذه المادة الحكائية بما تقتضيه عناصر التجسيد الفني.

ويتعلق الأمر هنا بنماذج مثل "حياة محمد في عشرين قصة" لعبد التواب يوسف، و"الحصان والجائزة الكبرى" لعبد النعم الهاشمي، و"رسولنا الحبيب بألسنة الموجودات" التي تولت دار إشق بأسطنبول التركية طباعتها، والجدول التالي يبين نوع هذه العناصر وتوزيعها على هذه القصص الثلاث:

القصة	المؤلف	عناصر التشخيص		
		الحيوان	النبات	الجماد
حياة محمد في عشرين قصة	عبد التواب يوسف	الفيل، الحمامة، الجمل، البراق، الثعالب، الحمار، الحصان، العزة، الناقة، الشاة.	عقود عنب، جذع، شجرة	الحجر، الليلة، بئر، جبل، صخرة، دينار، راية
الحصان والجائزة الكبرى	عبد النعم الهاشمي	الحصان	خوخة أبا بكر	ذو الفقار
رسولنا الحبيب بألسنة الموجودات	مجهولة للمؤلف	الفيل، الحمار، النمل، النحل، العنكب، البراق، حمام الغار، الحصان، الناقة، الغزلان، الحمام.	أشجار مكة	حبات الرمل والحصى، والقمر، وبيوت مكة، وجبل أحد، وريح الأحزاب.

جدول رقم (9): نماذج لعناصر التشخيص في قصص السيرة النبوية

2- اللغة والأسلوب:

2.1- الخصائص اللغوية في قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال بالجزائر:

اللغة وسيلة تمثيل الأفكار ونقلها بين الأفراد، وكلما زاد الثراء اللغوي وتوفرت الكلمات للعبارة عن مختلف الأشياء والفاهيم زادت قدرة الفرد على التفكير والتعبير ونقل الأفكار، وأصبحت أكثر فاعلية ودقة، ومن ثم فإن تقدم الفكر مرتبط أشد الارتباط براء اللغة، كما أن ضحالة اللغة وتخلفها والفقر في الألفاظ هي من العقبات الرئيسة في طريق التفكير ونموه ورفقه وتطوره.

واستيعاب هذا الارتباط الوثيق بين اللغة والتفكير يوضح عمق أثر أدب الأطفال وتأثيره على كل من اللغة التي يقوم بدور أساسي في غناها وراثتها، والتفكير الذي يمكن أن يقوم أدب الطفل أيضا بدور هام في تنميته ودعم أسلوبه بين الأطفال¹.

1- هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، ص 181.

وحدثنا عن الخصائص اللغوية في قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال بالجزائر يوقفنا على مسائل أساسية تدول عليها نقاد أدب الأطفال بين الاتفاق والاختلاف، وهي: التناسب اللغوي، الدقة والوضوح، التبسيط والتعقيد.

2. 1. 1- التناسب اللغوي:

أدب الأطفال له خصائص عامة تجمعها مع أدب الكبار، وخصائص يتفرد بها عن غيره من الآداب، فمن خصائصه العامة أن النص للموجه للأطفال نص إبداعي، فهو حدث أدبي يتجاوز الإبلاغ إلى الإثارة، وتمكنه خصائصه اللغوية من تحويل الخطاب عن سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية الجمالية²، ومن الخصائص التي يتفرد بها أنه له قاموسه اللغوي تبعاً للغة التي يتوجه لها، ويراعي الخصيلة الأسلوبية للسن التي يؤلف لها، ويتناسب مضمونه مع المرحلة التي يكتب لها من حيث اهتماماتها واحتياجاتها، وتتناسب أدواقه وبنائه الفني مع مستوى الأطفال الذين يكتب لهم، كما أنه يتناسب مع قدرات الأطفال العقلية والعاطفية.

وبناء على هذا فلدراسة التناسب اللغوي في أدب الأطفال عموماً، وفي القصص المكتوب لهم خصوصاً يتطلب معرفة قضيتين مهمتين هما: معرفة مفردات الطفل وأتماطه اللغوية تبعاً لمراحل نموه، ومقارنة ذلك كله بما ورد في القصص المكتوب لهم، ثم معرفة مدى موافقة هذه القصص لمرحلة معينة من مراحل نموه.

- القضية الأولى: وللتعلقة بمعرفة مفردات الطفل وأتماطه اللغوية تبعاً لمراحل نموه، ثم مقارنة ذلك كله بما ورد في القصص المكتوب لهم، هذا للمعيار ينظر في "علاقة اللغة للموظفة بالرصيد اللغوي للغة التي تتوجه لها، ومكوناتها اللفظية والتركيبة فيما إذا كانت مستجدة على قاموس الفئة المقصودة بحيث لا يمكن التفاعل معها، وفرضا لو كانت مستجدة هل عزز النص بهامش لشرحها وتبسيطها"³.

وإذا تأملنا قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال بالجزائر نجد تفاوتاً بين الكتاب في مراعاة هذا الجانب، فنجد بعض الكتاب تمتاز لغتهم باستخدام الألفاظ المألوفة عند الأطفال، وتجنب الألفاظ الصعبة والغريبة والثقيلة على السمع والنطق والفهم، ومن هؤلاء قنلوزي كمال، وعبد الحميد توفيق.

غير أن هناك فريق آخر منهم يستخدم بعض الألفاظ الصعبة، ثم يتبعها بالشرح والتفسير ولهم في ذلك طرق متعددة.

فمنهم من يأتي باللفظة الصعبة ثم يشرحها في الهامش، ومن هؤلاء محمد ناصر بوحجام، وإلياس بن ساعد.

1- عائشة رماش، الخطاب المسموع ودوره في تنمية القدرات المعرفية والسلوكية لدى الطفل، مجلة الملتقى المغاربي الأول حول أدب الطفل، المركز الجامعي سوق أهراس- الجزائر، عدد خاص، 2004، ص104.

2- محمد شنوفي، أدب الأطفال، دفاتر المجلس، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، عدد 8، مارس 2005، ص31، 32.

3- ينظر إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص106.

ومنهم من يستعمل اللفظة الصعبة أو الغامضة في السياق العام ثم يتبعها بشرح وتوضيح بين قوسين، ومن هؤلاء سعد الدين ددانش، وعيب هذه الطريقة أنها تقسد على القارئ الصغير متعته في الاسترسال في القراءة، ففي كل مرة يتوقف ويقطع شريط التخيل والتصور وينشغل باللفظة وشرحها، ولهذا لجأ بعض الكتاب إلى شرح الألفاظ الصعبة في الهامش كما تقدم.

وهناك من الكتاب من يفعل ذلك بعمد، ومنهم من يلزمه التعبير بذلك¹، فيشرحها داخل النص ويضعها بين قوسين.

ولنأخذ بعض الألفاظ وكيف تم شرحها:

القصة	الكاتب	الألفاظ الصعبة	شرحها
السيرة النبوية الشريفة	إيلس بن ساعد	أثان أجذب الأرضة	حمارة مكان انقطع عنه المطر فيست أرضه حشرة صغيرة تنقر الخشب
قصص من السيرة للفتيان والفتيات	محمد ناصر بوحجام	فضخت به رأسه تقيب القوم نفت	كسرت شاهلهم وضامنهم وعريفهم. أخرجت للمسلمين من مكة
حياة الرسول محمد	سعد الدين ددانش	رثيا الجمعان	جنا للمسلمون والكفار
الحبيب المصطفى مولده وصابه	ساعد العلوي	قط مبرعا أيوان	أبنا سلنا مكان متسع من القصر، به ثلاثة جدران، ويطلق كذلك على القصر كله.

وأيا كانت هذه الشروح فإنها تعتبر عاملا غير مباشر في ترويد الطفل بثروة لغوية يستفيد منها في مجالات التعبير الوظيفي.

غير للأدباء مبرراتهم في استخدام هذه اللغة الصعبة، أو ما يسميها عبد العزيز للقالح بعقدة الترفع عن مستوى الطفل، أو التعالي على قدراته في المراحل الأولى من عمر طفولته²، كاعتقادهم أن الطفل يمتلك قدرة عجيبة على الالتقاط والإدراك بفضل إحساسه للتحفز الصافي.

ومنهم من لم يعر أي اهتمام للشرح والتفسير، رغم أن قصصهم جاءت في مجملها واضحة وبسيطة إلا أنها لا تخلوا من بعض الألفاظ الغامضة الذي تستدعي التبسيط والتوضيح، ويتعلق الأمر بقصة "محمد" لدار البدر، حيث نجد ألفاظا من هذا القبيل، وعلى سبيل المثال: تھصرت، رحال القوم، يعته..

وما ينبغي ملاحظته في هذه المسألة هو أن معظم الدراسات في البلدان العربية تعتمد بشكل أو بآخر على الدراسات الأجنبية للبيئة على أطفال لا يتحدثون ولا يقرؤون بالعربية، رغم وجود دراسات عربية لدراسة لغة الطفل، ففي الجزائر مثلا أجريت

1- كأن يكون اللفظ في سياق كلام أحد الشخصيات، فيورده الكاتب بنصه كما ورد في كتب السيرة.

2- عبد العزيز المقالح، الطفل في الأدب العربي، مجلة الموقف الأدبي، سوريا، عدد آيار/حزيران، 1975، ص172.

بحوث أكاديمية عديدة في ذات المجال ومنها "اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري" لحفيظة تازورتي¹، إلا أن العمل لا يزال في مرحلة البدايات، نظرا لتعقد الظاهرة اللغوية المرتبطة بالطفل، وفي البلاد العربية ظهرت دراسات منها "الحصيلة اللغوية للمنطوقة لطفل ما قبل المدرسة من عمر عام إلى ستة أعوام"²، وستقف لاحقا عند مراحل النمو اللغوي للأطفال، حسب آخر البحوث التي توصل إليها الدارسون.

وللمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إسهامات في هذا المجال، فقد أصدرت قاموس الألفاظ الشائعة بين أطفال المدرسة الابتدائية من مرحلة التعليم الأساسي³.

إضافة إلى الإشكال القائم بخصوص الاعتماد على الدراسات الأجنبية، فإن الدراسات عن لغة الأطفال في الوطن العربي رغم ضآلتها من حيث الكم إلا أنها اقتصر على حساب تكرار بعض الكلمات في أحاديث الأطفال، أو في قصصهم أو في كتبهم للمدرسة للقررة، ونتائج هذه الدراسات ليس لها أهمية كبيرة لأنها مقصورة على الكلمات، والكلمات في حد ذاتها ليست إلا وحدات لغوية من وحدة أكبر، فالأطفال لا يتكلمون من خلال الكلمات فقط، بل من خلال أبنية لغوية قوامها الجمل والتعابير وتحكمها تقاليد وقواعد، ومن جانب آخر فإن للكلمة الواحدة في الغالب معاني متعددة، وهي تتخذ لها دلالات خاصة من خلال وضعها في البناء اللغوي، وعلى هذا فإن الضرورة ملحة إلى دراسات وافية عن لغة أطفالنا، على أن يكون مجال الدراسة ببيان لغتهم كله⁴.

-القضية الثانية:

وهي معرفة مدى موافقة هذه القصص لمرحلة معينة من مراحل نموه، وهو ما يعرف في أدب الأطفال بالتقنين، أي وضع ألوان من أدب الأطفال لمستويات محددة منهم، طبقا للخصائص للعينة التي تميز كل مستوى، وترجع أهمية هذا التقنين إلى توفير إنتاج يتميز بموافقة مستويات الأطفال في مختلف المراحل، بالإضافة إلى أنه يسهل على للربي أن يتقني للطفل ما يناسبه، خصوصا أن مرحلة الطفولة مرحلة شاسعة متباعدة في مستوياتها اللغوية والنفسية⁵.

وبخصوص هذا الجانب فإن معظم قصص السيرة النبوية الصادرة في الجزائر لا تحدد السن الذي كتبت لها هذه القصة⁶، علما أن هناك طرقا عديدة لتحديد تناسب للتوحيج الأدبي مع مرحلة من مراحل الطفولة، فقد يكون هذا التحديد على مستوى الصف

1- حفيظة تازورتي، اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري، دار القصة، الجزائر، 2003.

2- الحصيلة اللغوية المنطوقة لطفل ما قبل المدرسة من عمر عام إلى ستة أعوام، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، 1989.

3- قاموس الألفاظ الشائعة بين أطفال المدرسة الابتدائية من مرحلة التعليم الأساسي، صدر في تونس سنة 1975، وأعيد طبعه سنة 1989م.

4- هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، ص 188.

5- ينظر أحمد نجيب، فن الكتابة للأطفال، ص 189.

6- حاول البحث تصنيف قصص المدونة تبعا لمرحل الطفولة، بناء على اعتبارات متعلقة بالمضمون والشكل، راجع جدول رقم 1، ص 49.

الدراسي، وقد يكون على مستوى مرحلة تضم أكثر من صف، وقد يكون على أساس مرحلي لا صلة له بالصفوف الدراسية، كأن يُكتب على الغلاف مثلاً: (معد للأطفال ما بين 09 إلى 12 سنة) وهكذا، وهذه الطريقة هي الأكثر استعمالاً وشيوعاً في أدب الأطفال¹.

وعليه فإننا بحاجة إلى بحوث ودراسات ميدانية تحدد مستوى النمو اللغوي لدى أطفالنا، بل ثمة ضرورة ملحة لوضع أطر وصفها أحد الدارسين بـ "أطر احتمالية"²، بمعنى أن الطفل يحتمل بل يرجح أن يدرِكها ويستوعبها، ثم يستعملها.

فالكتابة للأطفال تستلزم تخصصاً وممارسة ومعايشة للأطفال، وتستلزم متابعة ودراسات متعمقة في اللغة وفي أصول التربية وعلم النفس، وإلى تبين مراحل الطفولة وخصائصها، وأولاً وقبلها إلى معرفة بالقواعد السليمة للكتابة الأدبية وإدراك الآفاق التي يخلق فيها الأطفال، ومدى ملائمة للعاني لقاموسهم اللغوي للتعقيد بعناية وتصميم³.

وعليه فإن كاتب الأطفال يجب أن يوفق بين طريقتيه الخاصة في التفكير والشعور والرؤية، وبين طريقة الأطفال في هذا وفقاً لمرحلة النمو التي يكونون فيها، حتى يكون أسلوبه أقرب إلى نفوسهم، كما يجب أن يلم بدقائق لغة الكتابة للأطفال، وأن يحيط علماً بقاموسهم اللغوي للتمييز، حتى يكتب لهم ما يناسبهم من ألفاظ وتراكيب⁴.

فالأديب الذي يكتب للأطفال هو أسير عدد من الشروط، ويمكن معرفة مدى صعوبة الالتزام بها إذا ما تذكرنا أن الطفل ما يزال غامضاً أمام الكبار، ولم تنتهِ البحوث العلمية إلى تفسير كثير من جوانب سلوكه الخاص.

فتمت مسألة عامة تواجه أدب الأطفال في كل مكان، وتشكل في الوقت نفسه إحدى مشكلات الكتابة للأطفال، وهي أن أدب الأطفال كنوع فني ما يزال جديداً، لذا لم يكتسب تقاليد عامة بعد، وقد هيأ هذا التفكير لكثير من الاجتهادات والأحكام للتعسفة أن تطرح في الساحة، وأن تلاقي بعض القبول، لا لسبب إلا لأنها تبدو معقولة، مع أن كون أي أمر معقولاً لا يعني أنه صحيح علمياً، إذ لا بد من أن يخضع للتحليل العلمي كي يتقرر فيما إذا كان صحيحاً أو خاطئاً.

2. 1. 2- الدقة والوضوح:

يؤلف أسلوب القصة بناءً فنياً يعبر عن فكرة القصة وحوادثها وشخصياتها تعبيراً واضحاً ودقيقاً، حيث يتمثل الوضوح في ملائمة الألفاظ والتراكيب لمستوى الطفل اللغوي، وفي التعبير العميق عن العاني، وتمثل الدقة في قدرة الأسلوب على إيقاظ حواس الطفل وإثارة وجدبه كي يندمج في القصة عن طريق نقل انفعالات الكاتب في ثنايا عمله القصصي، وتكوين الصور الحسية والذهنية المناسبة⁵.

1- ينظر أحمد نجيب، فن الكتابة للأطفال، ص 190.

2- ينظر فاروق مواسي، اللغة في أدب الأطفال، مركز ثقافة الطفل، عكا، فلسطين، 2006، ص 67.

3- المرجع نفسه، ص 65.

4- أحمد نجيب، فن الكتابة للأطفال، ص 78.

5- هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، ص 134.

ويتعلق الأمر تحديدًا بعنوان القصة، بأن تكون علاقته بموضوعها واضحة، بحيث تجعل الطفل في عالم منظم العلاقات¹.

ثم بالشخصية ثانيًا، ذلك أن رسمها بدقة يعين على تقبلها وتصديقها، ولذلك يجب أن تكون ذات خصائص متميزة، تتسق مع سلوكها²، فتصوير الشخصية في أدق صفاتها للتيرة للفكرة، مع مراعاة الواقع في رسم الصورة الخلقية، مما يضاعف من حيويتها وقوة إثارها وتأثيرها³.

ويتعين الوضوح أيضًا في استخدام الألفاظ، ومدى دقتها في وصف الزمان والمكان داخل القصة، ونقل الأفكار والتعبير عن العواطف الصحيحة⁴، فاعتماد الأفكار على الألفاظ في التعبير عنها تعبيرًا دقيقًا واضحًا محددًا، يستدعي من الإنسان أن يعنى باختيار ألفاظ اللغة، وفهم دقائقها، واستعمالها بوضوح وتحديد⁵.

فإذا ما توفرت الدقة والوضوح في العناصر السابقة فإن ذلك سيؤثر تلقائيًا في مدى إحكام الإطار العام، الذي تصور فيه مجالات الأحداث والأشخاص، بحيث يسير الحدث في تطور محكم⁶.

وعليه فمن الأهمية بمكان أن يتخير الكاتب الألفاظ السهلة الواضحة، والعبارات التي تؤدي للعنى دون تعقيد أو صعوبة، وأن يثير بألفاظه وعباراته للعاني الحسية والصور البصرية، والأمور المتحركة والمسموعة واللموسة، وكلما كان الأطفال أصغر كلما كان اقتراب الكاتب من اللاديات والمحسوسات أولى، وابتعاده عن اللعنويات المجردة أفضل⁷.

2. 1. 3- التبسيط والتعقيد:

تعتبر قضية اللغة ودورها وكيفية استعمالها في العمل السردي للوجه للأطفال من القضايا التي شغلت أذهان النقاد والأدباء، واحتلت كثيرًا من الجدل والمناقشة، فمنهم من دعا إلى تبسيطها وتيسيرها حتى يتسنى للطفل فهمها، فوضع معايير واشترط شروطًا، كالسهولة والبساطة والوضوح، ومراعاة السن والبيئة، والبعد عن تلك اللغة ذات المعايير المقدسة الصادرة عن الجامع اللغوية وكميات الآداب، والتي تسجن الطفل ضمن تراث لغوي صارم، واعتبر هذا الفريق "أن اللغة تتطور، والتطور دليل الحيوية، وما كان يصدمننا بالأمس أصبح اليوم مألوفًا، وأن هذا النمط من الجدل ما يزال يعيث فسادًا في أدب الناشئة كما يعيث فسادًا في غيره.. إلا أنه ربما كان في أدب الناشئة أوضح"⁸.

1- ينظر عادل محلو، وأحمد زغب، دراسات في أدب الأطفال، ص10.

2- سعد أبو الرضا، النص الأدبي للأطفال، ص135.

3- ينظر المرجع نفسه، ص136.

4- إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص 47.

5- أحمد نجيب، فن الكتابة للأطفال، ص 110.

6- ينظر محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1962، ص189.

7- أحمد نجيب، فن الكتابة للأطفال، ص 57.

8- عبد الرزاق جعفر، الطفل والكتاب، ص38.

فيحرص هذا الفريق على ضرورة أن يكون أسلوب القصة الموجهة للأطفال سهلاً واضحاً خالياً من التعقيد، ولا يتجاوز للفاهيم المفهومة للطفل حسب نموه وقدرة استيعابه، ويتفقون على أن هذه المواصفات من أصعب خصائص أدب الأطفال، إذ من المعروف أن أبسط الفنون الأدبية على القارئ أصعبها على الكاتب، وقد صرح توفيق الحكيم حين هم بكتابة حكايات للأطفال عام 1977م بهذه الحقيقة قائلاً: "إن البساطة أصعب من التعمق، وأنه لمن السهل أن أكتب وأتكلم كلاماً عميقاً، ولكن من الصعب أن أنتقي وأختير الأسلوب السهل الذي يشعر السامع بأي جليس معه، ولست معلماً له، وهذه هي مشكلتي مع أدب الأطفال"¹.

فمن خصائص القصة الجيدة سهولة العبارة حتى تتسق الأفكار وتتسلسل الحوادث معها، فإذا كان الأسلوب صعباً فقد السامع أو القارئ تتبع الحوادث، وبذلك تضيق للمتعة والفائدة².

وهناك فريق ثانٍ دعا إلى ضرورة الكتابة بلغة أدبية راقية، وحجته في ذلك أن الطفل يمتلك قدرة عجيبة في فهم هذه اللغة، واللتقاط مفرداتها وعباراتها، ومن هؤلاء سليمان العيسى الذي يقول: "وربما تعمدت الرمز، والصعوبة في الألفاظ والغرابية في بعض الصور، وربما كانت بعض العبارات فوق سن الطفل، كل ذلك أنعمده وأقصده في كثير من الأناشيد، لإيماني بقدرة الطفل على الالتقاط والإدراك بالنظرة، صغارنا يفهمون بإحساسهم للتحفز الصافي أكثر مما يفهم الكبار بعقولهم الصلبة للرهقة"³.

وبين الفريقين فرق كثيرة، بعضها يتساهل مع اللغة إلى حد الإسفاف، وبعضها الآخر ترفع في استخدام اللغة إلى حد الإفراط والتشدد، وما يهم هو أن اللغة أهمية كبيرة في أدب الأطفال، بل قد تتحول إلى هدف أساسي يسعى الكاتب إلى تحقيقه من خلال عمله القصصي.

وبناء على هذا نرى لزماً علينا أن نؤكد على حاجتنا الشديدة إلى إجراء بحوث عن لغة الأطفال العرب في كل طور من أطوار نموهم، بحيث يتسنى لنا التعرف على مستويات هذه اللغة في كل طور، لأن للأطفال في كل طور لغة ذات مستويين رئيسيين، يتمثل أولهما في تعبير الأطفال عن أنفسهم من خلال لغتهم، ويتمثل ثانيهما في فهم الأطفال اللغة الموجهة لهم، وهناك فروق عديدة بين المستويين.

ولا يتهيأ لنا استخدام لغة منطوية على فكر في اتصالنا بالأطفال ما لم نتعرف بشكل علمي على مدى فهم الأطفال للغة التي نتوصل بها في نقل الأفكار واللغاني، لأن في استخدام لغة تعلو أو تنخفض عن ذلك المستوى يؤدي باتصالنا إلى عدم الفاعلية⁴.

1- هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، ص 149.

2- جابر عبد الحميد جابر وآخرون، الطرق الخاصة بتدريس اللغة العربية وأدب الأطفال، القاهرة، 1981، ص 69.

3- عبد العزيز المقالح، الطفل في الأدب العربي، ص 171.

4- هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، ص 188.

وبناء على هذا يمكن ترجيح موقف الكاتب عادل محلو في مسألة التبسيط والتعقيد، لقربه من الموضوعية والصواب، وهو أن التبسيط في لغة النص لا يعني البحث عن نص سهل للأطفال، بل يجب أن يحوي بعض الكلمات والتراكيب الجديدة، لإثراء لغة الطفل لكن بقدر معقول¹.

وللتبسيط لقصة السيرة النبوية المكتوبة للأطفال بالجزائر يجد أن لغة السرد عند كتابها تمتاز في معظمها بالسهولة والوضوح والبساطة، ولا تخضع إلى تلك القوالب البلاغية العتيقة، والأنماط اللغوية القديمة.

ومما يساعد على ذلك ظاهرة التكرار، خصوصا للأطفال المرحلة المبكرة، وقد نبه إلى أهمية هذه الطريقة الأديب المصري كامل كيلاني في قوله: من المشاهد للألوف أن الطفل إذا قص عليك خبرا لجأ إلى تكرار الجمل، كأنما يثبت من معانيها في ألفاظها المكررة، فلنكتب له وهو في هذا السن محاكين أسلوبه الطبيعي في تكرار الجمل والألفاظ، لثبت للمعنى في ذهنه تثبيتا، ولنكرر له الجمل برشاقة ليسهل عليه قراءتها².

ومن السمات البارزة في لغة السرد في قصص السيرة النبوية للكتوب للأطفال بالجزائر أيضا توظيفه الجمل القصيرة (فعلية واسمية)، واستخدام الجمل القصيرة أفيد في أدب الأطفال من الجمل الطويلة، لأنها أقرب إلى إيفهام للتلقي الصغير، ولأنها تؤدي الفكرة في زمن قصير، وفي أبسط صورة، فلا تعب الطفل أثناء تركيز انتباهه، وأحسن من يمثل هذه الظاهرة ..

ونظرا لأهمية اللغة في أدب الأطفال فإنه ينبغي على الكاتب أن يكتب بلغة سليمة، وأن يتجنب الوقوع في الأخطاء، ولا يدفعه التبسيط اللغوي إلى حد الركاكة في التعبير، فهناك فرق بين البساطة وبين الضعف والركاكة، ومن بين من أظهر مقدرة فنية نجد.. إلا أن هناك من القصص ما كان مليئا بالأخطاء اللغوية مثل..

وعليه فاللغة تستمد طاقتها من وظيفتها التي أنشئت من أجل أن تؤديها نحو متلقيها ومستقبلها، وما هذه الوظيفة إلا ترجمة عن مقصدية المرسل، الذي يتوخى من ورائها استقطاب ردة فعل ما من متلقيه تتجاوب وهذه المقصدية، أو تدحض هذا التجاوب، وحيث يمكن تقييم فعالية هذه الوظيفة بالمصادقة والإثبات أو التراجع والنفي.

2.2- مراحل النمو اللغوي عند الأطفال:

لكل مرحلة من مراحل النمو عند الأطفال خصائص معينة تميزها عن غيرها، مع العلم أن حياة الإنسان كلها تشكل وحدة مترابطة، والاطلاع على هذه الخصائص المختلفة في مراحل الطفولة يفيد في معرفة ما ينفع الأطفال من القصص والأفكار، وما يناسبهم منها.

1- ينظر عادل محلو، وأحمد زغب، دراسات في أدب الأطفال، ص 11.

2- أنور الجندي، كامل كيلاني في مرآة التاريخ، مطبعة الكيلاني الصغير، القاهرة، 1965، ص 250.

وهذا يؤدي إلى أن يُخاطب أطفال كل مرحلة باللغة التي تناسبهم وتمكنهم من التقدم وتأخذ بأيديهم¹ وهذا أمر جوهري، فلا مناص من أن نخاطب الأطفال بلغة تتفق ودرجة نموهم اللغوي إذا أردنا النجاح في تطوير الأطفال لغوياً.

ومن خلال البحوث الميدانية تمكن الدارسون من وضع تقسيمات مرحلية تقريبية للنمو اللغوي عند الأطفال بناء على المقدرة الكتابية، التي هي محصلة القراءة والفهم، فجاء التقسيم على خمس مراحل كالآتي²:

أ- مرحلة ما قبل الكتابة (من 03 سنوات إلى 06 سنوات):

وهي المرحلة التي لا يفهم الطفل فيها اللغة من خلال التعبير البصري التحريري، والبديل عن ذلك هو تقديم القصة من خلال التعبير الصوتي الشفهي، ويمكن أن تُسجّل هذه اللغة على شريط يرافقه (كتاب صور ورسوم مشوّقة)، كما يمكن أن نستفيد من وسائط أدب الأطفال الأخرى كالإذاعة، والتلفاز، والمسرح في هذه المرحلة، لتقدم ما يميل إليه الأطفال³.

ولاحظت إحدى الدراسات أن معدل الألفاظ عند الطفل في هذه المرحلة قد يبلغ نحو (50) كلمة إلى (1600) كلمة، ويكون معدل الزيادة (500) كلمة في السنة تقريباً⁴، وقد أثبت لوي بلوم أن الأطفال في هذه السن المبكرة جداً بين العام الأول والرابع، خالقون في اللغة التي يستعملونها، بليل استعمالهم تراكم لم يسمعوها من قبل⁵.

ب- مرحلة الكتابة المبكرة (من 06 سنوات إلى 08 سنوات):

ويبدأ الطفل في هذه المرحلة بتعلم القراءة والكتابة، وهي توازي الصفين الأول والثاني الدراسيين، وفيها تكون قدرة الطفل على فهم اللغة للكتابة محدودة في نطاق ضيق⁶.

إذ بإمكاننا في هذه المرحلة أن نضيف إلى الكتب للصورة كلمات وعبارات بسيطة، تضاف إلى قاموس الطفل فيبلغ نحو (2600) كلمة إلى (3600) كلمة تقريباً، علماً أن الكتابة للأطفال هذه المرحلة أشد صعوبة من الكتابة للمراحل العليا، ولهذا كانت القصص -أو الكتب- التي وُضعت لهذه المرحلة قليلة، ولعل خطورة المرحلة، وغموضها زادا تلك الصعوبة، وللتغلب على هذه العقبة كي لا تبقى ثغرة فقيرة في أدب الأطفال، يلجأ إلى مزيد من الدراسة في علم نفس الطفل للوصول إلى نصوص مناسبة لهذا العمر الخرج من الوجهة العقلية والعاطفية⁷.

1- عدنان السبيعي، من أجل أطفالنا، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1981، ص 19.

2- ينظر أحمد نجيب، فن الكتابة للأطفال، ص 46 وما بعدها.

3- ينظر المرجع نفسه، ص 37.

4- محمد السيد فراج، الأطفال وقراءاتهم، شركة الربيعان، الكويت، 1979، ص 36. وعبد الفتاح أبو معال، تنمية الاستعداد اللغوي عند الأطفال، ص 53.

5- نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، الكويت، 9، 1978، ص 161.

6- علي الحديدي، في أدب الأطفال، ص 132 وما بعدها. وأحمد نجيب، فن الكتابة للأطفال، ص 39.

7- ينظر عبد الفتاح أبو معال، أدب الأطفال: دراسة وتطبيق، ص 12. و جين كارل، كتب الأطفال ومبدعوها، تر: صفاء روماني، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1994، ص 18.

وما تجدر الإشارة إليه هنا، هو أن التلقي الجمالي للطفل حسب نظرية جازنر لا يتبلور إلا بعد التاسعة من عمره، حيث تنبثق الحساسية الجمالية، وبعد سن الثالثة عشر يعيش الطفل أزمة الاستغراق الجمالي¹.

ج- مرحلة الكتابة الوسيطة (من 08 سنوات إلى 10 سنوات):

وفي هذه المرحلة للموازاة لمرحلة الصفين الثالث والرابع من المرحلة الابتدائية يتقدم الطفل تقدماً ملحوظاً في القراءة والكتابة، هذا التقدم يمكننا من أن نقدّم للطفل قصة كاملة مزدانة بالرسوم².

والكتابة القصصية لهذه المرحلة عنصر أساسي، يتحتم علينا فيها الترام البساطة في اللغة المستعملة لكي تكون سهلة متصاعدة، ويبلغ القاموس اللغوي لدى الطفل فيها نحو (5400) كلمة تقريباً³.

د- مرحلة الكتابة المتقدمة (من 10 سنوات إلى 12 سنة):

يقطع الطفل في هذه المرحلة شوطاً كبيراً في طريق تعلم اللغة، ويتسع قاموسه اللغوي اتساعاً كبيراً، وتوازي هذه المرحلة من حيث الدراسة الصفين الخامس والسادس، ويصل القاموس اللغوي لدى الطفل إلى (7200) كلمة.

وتعد من بين أنسب المراحل التي يمكن أن تنسج فيها قصصاً فنية، تستقي مادتها الحكائية من وقائع السيرة النبوية، وقد تناسب بعض قصص الملونة مع هذه المرحلة، رغم بعض المآخذ الفنية التي وقعت فيها، ويتعلق الأمر بـ "السيرة النبوية" لعبد الحق سعودي⁴، "ومحمد رسولي وقائدي"⁵، حيث يلاحظ فيهما التعالي على قاموس الطفل اللغوي، إلى درجة من استحصدت ملكتهم اللغوية، بينما تنلمس في "السيرة النبوية الشريفة" لإلياس بن ساعد توافقاً كبيراً مع القاموس اللغوي لهذه المرحلة.

هـ- مرحلة الكتابة الناضجة (من 12 سنة إلى 15 سنة):

في هذه المرحلة للموازاة للمرحلة الإعدادية أو للتوسطة تزداد القدرة على فهم اللغة، ويصل القاموس اللغوي في سن 14 سنة إلى (9000) كلمة، أما البالغ للتوسط الذكاء فعدد ألفاظه يصل إلى (11700) كلمة، والبالغ للتفوق الذكاء يصل عدد ألفاظه إلى (13500) كلمة تقريباً.

وتعد سلسلة "قصص من السيرة للفتيان والفتيات" لمحمد ناصر بوحجام⁶ مما يتناسب والقاموس اللغوي لهذه المرحلة، إذ كتبها بلغة بين الطفولة والرشد، تتيح لطفل هذه المرحلة قرائتها وفهم قاموسها بوضوح، رغم وجود بعض الألفاظ والصيغ الصعبة، التي يمكن اعتبار كاتبها من اختار الموقف الوسط الذي تقدم الحديث عليه آنفاً في مسألة التبسيط والتعقيد في لغة قصص الأطفال.

1- ينظر عبد الحميد شاكر، التفضيل الجمالي، ص225.

2- علي الحديدي، في أدب الأطفال، ص 135 وما بعدها.

3- ينظر أحمد نجيب، فن الكتابة للأطفال، ص40. وعبد الفتاح أبو معال، تنمية الاستعداد اللغوي عند الأطفال، ص53.

4- عبد الحق سعودي، السيرة النبوية، شركة الشهاب، 1990.

5- مجهول المؤلف، محمد رسولي وقائدي، دار المعرفة.

6- محمد ناصر بوحجام، قصص من السيرة للفتيان والفتيات.

ملاحظات على المراحل السابقة:

أ- هذه المراحل متداخلة، وتختلف باختلاف البيئات والمجتمعات ودرجة التقدم العلمي، إضافة إلى أنها تتأثر بما بين الأطفال من فروق فردية، ومن عوامل نمو اللغة عند الطفل اللدنة الحاصلة عن التعبير والنجاح فيه، وكونها دافعاً فعالاً إلى التعلم.

ب- بدايات هذه المراحل ونهاياتها ليست جامدة؛ فمرحلة الكتابة للبكرة قد تبدأ في الخامسة بدلاً من السادسة، وقد تنتهي في السابعة بدلاً من الثامنة وهكذا...

ج- تتضمن المراحل السابقة مراحل تفصيلية تدرج مع تقدم الطفل في تعلم اللغة.

د- هذه المراحل الخمس بحاجة إلى مزيد من الدراسات لاستيفاء خصائصها، ووضع قواميس للغة في مختلف المراحل؛ فمعظم هذه الدراسات قد أجريت في بلاد أجنبية، على أطفال يتكلمون غير العربية.

هـ- عدد الكلمات الذي ذكر في كل مرحلة عدد تقريبي، لا يؤخذ على أنه لا يزيد ولا ينقص، فهو نتاج دراسات في التربة على عينة في مجتمع وزمان محددين، وقد تختلف هذه الأعداد لو طُبِّقت على مجتمع آخر، وسوقها هنا أمثلة للاستئناس.

وقد حصر باحثون كثيرون في اللغات الأجنبية المفردات اللغوية والتركيب التي تدخل في قواميس الأطفال اللغوية في مختلف الأعمار، إلا أن للعجم الذي وُضِعَ بالعربية لهذا الغرض يريد واضعوه من الكتاب أن يلتموه، علماً أنه خال من المعاني المجازية، بالرغم من أن التشبيه والجاز قنآن قريان من نفسية الطفل، والطفل نفسه أحياناً يشبه بهذا الطائر أو ذاك، فليس التشبيه عنه بعيد.

فعلى كاتب الأطفال أن يعي خطورة دور كل كلمة بل كل حرف يكتبه لهم، وعليه أن يحبهم، وأن يفهمهم، ويعيش معهم، ويملك قِية الكتابة لهم.. ومن هنا ندرك صعوبة الكتابة للأطفال، وندرك كيف ينجح كاتب في قصة كتبها للكبار، ولا ينجح في قصة كتبها للصغار، وهذا ما يفسر قلة رواد كتابة قصص الأطفال كلما قُلت سنوات عمرهم.

أخيراً، إنَّ الطفل دوره دور للتلقّي للنفع، تنهمر عليه الرؤى والقيم كالمنطر، ولا بد أن يخرج ما تشربته عقله منها عاجلاً أو آجلاً، والأمر بأيدينا عندما تكون الكلمة في ورقة في مكتبنا نغير فيها ونبدل كما نشاء، ولكن عندما تستقر في أيدي الأطفال يكون عسيراً أن نغير كلمة أو نبدل، بل يصبح مستحيلاً!

وهكذا نجد لكل مرحلة عمرية طبيعة خاصة في تلقي الأعمال الأدبية والفنية، مما يحتم على المرسل الذي هو نا الكاتب، أن يراعي تلك الفروق بين طبيعة المتلقي في كل مرحلة، وأن يصمم على أساسها عمله الأدبي¹.

2. 3- بنية الحكاية وبنية الخطاب:

للقصة من حيث هي بنية لغوية بنيتان صغيرتان، تشتمل عليهما عناصرها للكونة، يصطلح على أحدهما بنية الحكاية، وعلى الأخرى بنية الخطاب.

1- ينظر عادل محلو، وأحمد زغب، دراسات في أدب الأطفال، ص13.

والحكاية في القصة هي للمادة الخام التي تجبل منها القصة حدثاً وشخصاً وعلاقات بين الشخص، أسماها بعض دارسي السرديات بالخواف، وهذه أقل مكونات القصة شأنًا، لأنها تنبع من خارج النص القصصي، وهي تقبل أنواعاً من التشكيل، تتعدد بتعدد كتاب القصة ومبدعيها، ومن هنا عُدَّت الحكاية هامشاً يتنامى من ثاياه الجمالي في القصة، وفي هذا تكمن فاعليته وأثره.

أما الخطاب في القصة فيقصد به طرائق تشكيل الحكاية في القصة وهي الأهم، وإنما تتجلى عبقرية أفاص من خلال خطابه القصصي الذي تتعدد طرائق تشكيله وأساليب أدائه، وليس من خلال المادة الحكائية التي تتعدد مصادرها، ومن هنا عد الخطاب القصصي أداة ناجعة في التمييز ما بين كتاب القصة ومبدعيها، وليست للحكاية قدرة على مثل ذلك التمييز.

ومن خلال قصص السيرة النبوية للكاتب للأطفال بالجزائر، والذي استمد أصحابه من التاريخ النبوي مادة حكاية لقصصهم، تبين لنا فوارق بينهم في الفن والإبداع، فبينما بدت القصة مطية للتاريخ في "محمد رسولي وقائدي"، إذا بالتاريخ تابع ذلول للقصة في "السيرة النبوية الشريفة" لإلياس بن ساعد، وليس مرد هذا إلى طبيعة المادة الحكائية التي يعرضها هذا الكاتب أو ذاك، ولكنه يعود إلى طريقة التشكيل وأساليب الأداء وطبيعة تقنيات السرد التي يوظفها كل منهما.

وعليه فالحكاية ليست هي الحكبة، وهي قد تكون أساساً لها، إلا أن الحكبة "كائن من نوع أرقى من الحكاية المجردة"¹، ذلك أن القصة التي يدور موضوعها حول التاريخ تختلف عن كتاب التاريخ في كون هذا النوع من القصص يتوخى دائماً دقة التصوير، وروعة التأثير.

فالكاتب في قصص السيرة ينبغي أن يقدم لنا أبطاله ووقائعه التاريخية محملة بقواعد خطاب السيرة، حيث الحدث التاريخي يأتي بالنسبة إليه من حيث مطابقته للحقيقة التاريخية في الدرجة الثانية، فالميثاق الجنسي أو النوعي بين الخطاب ومتلقيه له دور كبير جدا في تحديد نوعية الخطاب، فكلما كان الخطاب التاريخي يفرض على قارئه التساؤل عن صحة ما وقع، كان خطاب السيرة يثير لدى المتلقي الشعور ببراعة الخيال للتحقق في الخطاب.

وعليه فإن الأديب إذا ما أراد صياغة نسيج فني من مادته التاريخية فعليه أن يحرص على تشكيلها وفق أسس النظام والتناسق والجمال والتأثير، بحيث تأتي الصورة الفنية ممتعة مرضية ومفيدة، ونشعر بعد الاطلاع عليها بأننا لزاء تجربة حية نابضة، تجرنا إلى علاقات جديدة من الفهم والسمو الروحي، واليقين للريح، الدافع لفعل شيء ما، يرتقي بنا إلى الأفضل، وإلى التغيير المستمر².

ومن خلال العلامة الفارقة بين الحكاية والخطاب يؤكد د. واسيني الأعرج في سياق تساؤلاته عن تدخلات ابن خلدون، وابن سالم حميش، وعن حضور الزيني بركات عند جمال الغيطاني في بدائع الزهور، على وجود التدخل الشخصي في صلب الحقيقة التاريخية، والتي تبرز بوضوح في فن القصص، الذي يسحبها من صرامة التاريخ.

1- أحمد نجيب، فن الكتابة للأطفال، ص 73.

2- ينظر نجيب الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص 11.

ويتساءل مرة أخرى: "ماذا بقي للتاريخ أمام سحر الحكاية؟"¹، مقرا بذلك أن للتاريخ رغم صرامته مساحة مشتركة مع القص، تجعل الحدود الفاصلة بينهما مغمية قليلا، وتمنح القاص فرصة كبيرة للتعامل مع التاريخ دون الخوف من الزلق للممكنة، فالتاريخ من حيث اعتماده على آلة السرد والنقد يمنح القصة حق التفاصيل الدقيقة التي لا تدخل مطلقا في منهجيته، إذ يمكن له (التاريخ) أن يتحدث عن قرن أو قرون متتالية في سطر، وهو يقوم بعمليات التحقيق والتنضيد، بينما تتوقف القصة عند لحظة إنسانية صغيرة كان لها الدور الحاسم في بنية الشخصية القصصية².

2. 4- الحوار في قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال بالجزائر:

الحوار عنصر مهم في القصص المكتوب للأطفال، بل ويعد من الركائز التي يعتمد عليها كاتب القصة في رسم الشخصيات، فبواسطته يكشف عن عواطف الشخصية، وأحاسيسها المختلفة تجاه الحوادث والشخصيات المختلفة³.

ولا يكون الحوار ناجحا إلا إذا استوفى الشروط التالية:

- الاندماج في صلب القصة، فلا يكون دخيلا عليها.

- التلقائية والتناسب بين الشخصية ومختلف المواقف التي تتعرض لها.

- قصر الطول، واحتوائه على كلمات قليلة ومفهومة.

- الابتعاد عن الأسلوب الوعظي الإرشادي المباشر، حتى لا يفتقد صفته الفنية.

والحوار في السيرة النبوية على نوعين، يتعلق الأول منهما بالمادة الحكائية التي نجدها مثبتة في كتب السيرة النبوية، وأما الثاني فهو من نسج الأديب القاص.

ومن بين أبرز الحوارات التي نقلتها إلينا مصادر السيرة النبوية حوار بحري مع أبي طالب حول التنبؤ بنبو محمد، وحوار جبريل مع النبي في النزول الأول للوحي، وحوارات النبي مع كل من: خديجة بشأن النزول الأول للوحي، وقريش بشأن النبوة، ومع أبي طالب بشأن مساومات قرش وإغراءاتها، ومع الوليد بن المغيرة وعتبة ابن ربيعة بشأن إعجاز القرآن، ومع أبي جهل بشأن الإسراء والمعراج، وحواره مع قريش حول العفو عنهم بعد فتح مكة، وغيرها.

وتعامل الكتاب الجزائريين مع هذه الحوارات كان على ثلاث أصناف:

أما **الصف الأول** فقد حافظ على الحوارات الواردة في المادة الحكائية، وأضاف عليها حوارات من قبيل النسخ القصصي، ومن ذلك قصة "محمد"⁴ التي حاولت نسج حوار في بين بحري من جهة وقريش وأبا طالب من جهة أخرى حول نبوة محمد، استغرق أربع صفحات من القصة بما يعادل عشرين سطرا.

1- واسيني الأعرج، سلطان التخيل الروائي، جريدة الخبر، الجزائر، عدد 5481، مارس 2008، ص 25.

2- ينظر المرجع نفسه، ص 25.

3- محمد يوسف نجم، فن القصة، دار الثقافة، بيروت، ط 5، 1966، ص 117.

4- مجهول المؤلف، قصة "محمد"، دار البدر.

ونجد كذلك محمد ناصر بوحجام في سلسلة "قصص من السيرة للفتيان والفتيات"، في حوار النبي مع موسى خلال رحلة الإسراء والمعراج، حيث أضفى عليه لمسات تبسيطية، تجعل الطفل القارئ يستسيغ الموضوع ويفهمه "قال له موسى عليه السلام: إن الصلاة ثقيلة، وإن أمتك ضعيفة، فارجع إلى ربك فسله أن يخفف عنك وعن أمتك، فإنهم لا يستطيعون القيام بهذه الصلاة، ولقد عنت وتعبت في ذلك مع قومي "بني إسرائيل"¹.

وأما **الصنف الثاني** أبقى أحيانا على عنصر الحوار الوارد في للمادة الحكائية، ولم يستعن به في النسخ القصصي، ومنهم "محمد رسولي وقائدي" لمحمد بوزواوي، حيث وقف مع حوار جبريل مع محمد حول الوحي الأول، وحوار محمد مع قريش حول أمر النبوة، بينما حكى لنا حوار النبي مع الوليد وعتبة حول إعجاز القرآن².

ينما **الصنف الثالث** تجنب الحوار تماما، ولجأ إلى السرد حتى في الحوارات الواردة في للمادة الحكائية، وقد استعمل ذلك سعد الدين ددش في موقف إخبار النبي لقريش بنوبته: ".وأخذ ينادي في الناس فاجتمعوا حوله، وقال لهم هل يصدقوه لو قال لهم بأنه يرى جيشا يريد أن يغزوهم، فأجابوه بأنهم يصدقونه لأنهم يعرفون بأنه ما كذب في حياته أبدا، فقال لهم بأنه ينذرهم من عذاب شديد إن لم يؤمنوا بالله وحده.. لكن قريشا رفضت الدعوة والدخول في الإسلام"³.

فحكاية الحوار هنا أضعفت من حرارة الموقف، حيث لو تأملنا للموقف نفسه في أسلوب حوار، مع محمد بوزواوي، فإننا ستلمس تأثيرا أقوى في نفس الطفل للتلقي، إذ يقول: "فصعد على الصفا، ونادى قومه، فلما حضروا قال لهم: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تعبر عليكم، أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذبا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد" فقال له أبو لهب: تبأ لك ألهذا جمعنا؟"⁴.

وقد حكى بوزواوي أيضا بعض الحوارات الواردة في كتب السيرة، مثل حوار النبي مع الوليد بن المغيرة في أمر إعجاز القرآن، "كان الوليد هذا سيدا فصيحاً عارفاً بمراتب الكلام، فلما قرأ عليه رسول الله القرآن تأثر واهترت نفسه، وعاد إلى قومه ليخبرهم أنه سمع كلاما عجيبا فيه حلاوة، وعليه طلاوة، وكاد أن يصدق بدعوة الحق، لولا أبو جهل الذي ما زال به حتى حمله على أن يقول: إن هو إلا سحر!"⁵.

ومن حكى الحوار أيضا ساعد العلوي في "الحبيب المصطفى مولده وصباه"، وهذا من خلال حوار بحيرى مع قريش وأبا طالب، فبينما تورد مصادر السيرة النبوية الحوار مفصلا نجد الكاتب هنا يلخصها في أسلوب سردي، لا يزيد على بضعة أسطر:

1- محمد ناصر بوحجام، سلسلة قصص من السيرة..، "محمد وحادثة الإسراء والمعراج"، ص 09.

2- محمد بوزواوي، محمد رسول الله، دار البشير الإبراهيمي.

3- سعد الدين ددش، السيرة النبوية الميسرة، ص 12.

4- محمد بوزواوي، محمد رسول الله، ص 20.

5- المرجع نفسه، ص 22.

"ولما بلغت القافلة بصرى..، ورأى بحيرى محمدا البالغ عندئذ اثني عشر عاما، أبصر نور النبوة وعلاماتها عليه، فنصح عمه أبا طالب أن يرجع به إلى مكة، ليجنب ابن أخيه أذى الأشرار من أجبار اليهود.."¹.

ويمتاز الحوار بالثقلانية واندماجه في صلب القصة، وكشفه عواطف وأحاسيس الشخصيات، كقول أبي لب ل محمد لما جمعهم على جبل الصفا ليخبرهم بشأن نبوته: "تبا لك، ألهذا جمعنا؟".

وقد تميز الحوار في بعض قصص للدونة بالسهولة والوضوح، ومناسبتها لظروف للمواقف والشخصيات، وملائمته للمتلقى الصغير، ومن أمثلة هذه السهولة ما نقله محمد ناصر بوحجاء في محاوره رجل لفتية قريش للمعول عليهم في قتل محمد بداره ليلة هجرته: "أما فتيان قريش الذين كانوا يحيطون بدار الرسول فقد أتاهم رجل، فقال: ماذا تفعلون هنا؟ قالوا: ننظر محمدا!، قال: خيكم الله.. إنه خرج عليكم، وما ترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ قالوا: والله ما أبصرناه.."². فهي لغة أليفة ولكنها مفهومة، وشعرية ولكنها بسيطة، ورفيعة النسيج ولكنها في تناولها للمتلقى الصغير، وتحقيق هذه المستويات في عمل قصصي واحد ليس بالأمر الميسر، ولا بالمطلب السهل، خصوصا في مجال القصة المكتوبة للأطفال، ولا يقوى عليها إلا كاتب مقتدر.

وللى جانب هذه السهولة يمتاز الحوار في بعض الكتابات بالطول، وهو أمر غير مرغوب فيه في القصص المكتوب للأطفال، وينبغي التمييز بين الطول والإكثار، ومثال ذلك قصة "محمد"³ التي حاولت نسج حوار في بين بحيرى من جهة وقريش وأبا طالب من جهة أخرى حول نبوة محمد، استغرق أربع صفحات من القصة بما يعادل عشرين سطرا، في حبكة قصصية تناسب مرحلة الطفولة للتوسطة.

أما الحوار الداخلي وهو أسلوب في يستخدم قصد الإفصاح عن المحتوى الذهني والحالة النفسية للشخصية، فلم يهتم به كثيرا كتاب قصص السيرة، رغم أهميته، وقدرته على توضيح مكامن النفوس وما تنطوي عليه من خير أو شر، وربما يعد من بين الفرص النادرة التي يمكن أن يتنزهها الكتاب لإضفاء مسحة فنية من الخيال الذي لا يتصادم مع الحقيقة التاريخية، بحيث يشفي غليل الطفل في هذه المرحلة.

ف نجد محمد بوزواوي في "محمد رسول الله" يوظف الحوار الداخلي في موقف نفسي جدير بأن يفصح عن كنهه وتفاصيله، ويمثل ذلك في الأيام القريية قبيل نزول الوحي عليه ﷺ وهو في سن الأربعين، فيقول: "ولما بلغ النبي الأربعين من عمره.. ازداد إعراضا عن مغريات الحياة، هذه الحياة الباطلة التي يحياها قومه، من عكوف عن الأصنام، ومعاقرة الخمر، وأخذ يفكر: ما الفائدة من حياة لا ترمي إلى هدف، ولا تحقق كمالا؟ إنما أشبه بحياة الأنعام التي لا تليق بكرامة الإنسان!". وتابع تساؤلات النبي عن الكون والخلق والأصنام والمعاد.. فكان الحوار الداخلي منسجما تماما مع هذا الموقف النفسي.

1- ساعد العلوي، الحبيب المصطفى..، ص 10.

2- محمد ناصر بوحجاء، الهجرة إلى المدينة، ص 26.

3- مجهول المؤلف، قصة "محمد"، دار البدر.

وعليه فإن للحوار فاعليته في قصص الأطفال، إذ يلفت انتباههم، ويستثير فاعليتهم، كما ييسر عليهم قراءة القصة، وقد أثبتت ذلك بعض البحوث الميدانية¹.

فأديب الأطفال الحق هو الذي يستخدم أداة اللغة بطريقة خاصة تجعل الطفل يستشعر للمتعة والجمال، والنظام والتوازن، فتحدث الاستجابات الوجدانية والنفسية المطلوبة، والطفل في هذا الأمر يقبل أو يرفض بصراحة، فهو كما يقولون ناقد صادق، لا يعرف الجاملة فيما يقرأ من أدب، يعبر عن انطباعه بحرية، فيقبل على الكتاب بنهم وشغف، أو يلقى به بعيدا في ملل وإهمال، ومن الصعب على الطفل أن يستمر في أداء فعل لا يحبه².

2. 5- تبسيط السيرة النبوية للأطفال:

2. 5. 1- تبسيط أدب الكبار:

تبسيط الأعمال الأدبية للموجهة للكبار بقصد تيسيرها للصغار اتجاه جديد في الأدب العالمي وفي أدبنا العربي، وتحليل هذه الأعمال يعتمد في أساسه على تنويع العمل الأدبي الأصلي، ومقارنته بالعمل المبسط الذي يفترض فيه أن يكون مؤثرا في الطفل جماليا وتربويا، ولا يعلق عليه منافذ الإدراك أثناء القراءة، فهو يقوم بشبه مقارنة بين العمل الأصلي والعمل المبسط.

ولا ينبع التمييز بين أدب الأطفال وأدب الكبار من المستوى الفني لكليهما فحسب، بل يقع الاختلاف بينهما من حيث المستوى اللغوي والأسلوبي وطريقة معالجة القضايا واختيار الموضوعات في كل منهما.

فيقوم المؤلف الذي يتبنى طريقة التبسيط بصياغة جديدة لهذا العمل، وفق ما يتناسب مع القدرات اللغوية والإدراكية للفتة للموجه لها، فيسقط بهدف تعريف الطفل بنماذج إبداعية وثقافية من رقعته الجغرافية الوطنية والإقليمية، بأسلوب يتوفر على مقومات العمل الإبداعي، كالفكرة، والموضوع، والضمون، وتحويل في لغة وأسلوب العمل، وشكله الخارجي.

وعليه فإن تبسيط أدب الكبار للأطفال يحتاج إلى جهد خاص في التنفيذ، حتى يخرج بصورة تناسب الأطفال في ضوء الاعتبارات التربوية والفنية والسيكولوجية، وحتى يحتفظ للأصل بمستواه الفني الرفيع، ويرتبط التبسيط بمسألتين أساسيتين هما: الفكرة، والأسلوب.

أ- الفكرة: وهي إما أن تكون مناسبة تماما أو مناسبة إلى حد ما، وإذا كانت غير مناسبة فإنها تستبعد تماما، أما إذا كانت مناسبة في إحكامها وتفصيلاتها وأحداثها الفرعية فهذا أمر مهم ولكنه نادر الحلوث، لأن الغالب أن تكون الفكرة المعدة أساسا للكبار مناسبة إلى حد ما فقط من وجهة نظر الصغار، وهنا يكون على الكاتب الذي يتولى عملية التبسيط أن ينقي الفكرة مما لا يتفق مع الأطفال، وهي عملية دقيقة وحساسة، لأن على الكاتب أن ينظر إلى كل جزئية من جزئيات الفكرة، وكل موقف من

1- ينظر حسن شحاته، قراءات الأطفال، ص 65 وما بعدها.

2- ينظر نجيب الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص 78.

مواقفها، وكل حدث فرعي من أحداثها في ضوء الاعتبارات التربوية والسيكولوجية والفنية، ويرى ما له من انطباع في نفوس الأطفال، وما يمكن أن يحدثه من آثار غير مباشرة من خلال عمليات الإيحاء والاستهواء والتقليد وما إليها.

ولهذا فإن الحاسة التربوية أمر هام عند كاتب الأطفال، الذي لا تكفيه معرفة بعض النظريات وقراءة بعض الكتب أو الأبواب في أصول التربية وعلم النفس.

ويدخل في مناسبة الفكرة للتبسيط أن تكون بحيث أن ما سيستبعد من جزئياتها في عملية الانتقاء التربوية المشار إليها لا يؤثر على الفكرة الأصلية في جوهرها.

ب- الأسلوب: الأسلوب الذي كتبت به السيرة للكبار لا يتناسب مع الأطفال، لأنه كتب أساساً للكبار ومستوياتهم اللغوية والنفسية وخبراتهم المختلفة الناضجة، وعلى هذا فإن موضوع الفكرة سيكون بحاجة إلى كتابة جديدة تناسب كلا من النص الأصلي والأطفال في وقت واحد، وهذه عملية على قدر كبير من الصعوبة، لأن على الكاتب الذي يقوم بها أن يدرك أسرار الجمال في أسلوب كاتب الكبار، ثم يترجمها إلى أسرار جمال مناظر، ولكن بلغة جديدة هي لغة الأطفال، وهي لغة تبدو سهلة في مظهرها، ولكنها مركبة ومعقدة في إنشائها، بل إن سهولتها الظاهرة هي في الواقع من عوامل الصعوبة في كتابتها، وهي معقدة مركبة لأنها تقوم على مراعاة أكثر من عامل في وقت واحد، إذ أنها تقوم في كل جزئية من جزئياتها ليس فقط على أساس مراعاة اللغة المناسبة للأطفال، وإنما أيضاً على أساس مراعاة مستوياتهم العلمية، ودرجات نموهم النفسي، والخصائص للمرحلة في كل مرحلة من مراحل النمو المختلفة.

إن على كاتب الأطفال الذي يقوم بتبسيط مؤلف من مؤلفات الكبار أن يتذوقه تذوقاً كاملاً كقارئ كبير على قدر كاف من النضج الفني واللغوي، ثم يعيد كتابته للأطفال بحيث يحتفظ له بقيمته الفنية كعمل أدبي يتذوقه الطفل بنفس القدر من المتعة والتقدير، وهذا عمل بالغ الصعوبة لأسباب منها:

- أن الأسلوب طريقة الكاتب الخاصة في التفكير والرؤية والشعور، ولهذا كان على كاتب الأطفال في هذه الحالة أن يفكر بعقلية كاتب آخر، ويرى بعينه ويشعر بوجدانه.

- وكاتب الأطفال عندما يكتب فإن أسلوبه ينطبع بطريقة تفكيره الخاصة، لأن أسلوبه هو طريقته في التفكير، ولكنه تفكير من لون معين، مقيد بأفكار الصغار، وكأنه يفكر على أساس فكرهم هم في إطار من فكره هو.. وهذه صعوبة يضاف إليها في حالة تبسيط السيرة النبوية.

إذ أن الكاتب مطالب أن يترجم أفكار شخص آخر وأحاسيسه ورؤاه، على أساس من أفكار الأطفال وأحاسيسهم ورؤاهم، في إطار من فكره هو وأحاسيسه ورؤاه، ليخرج من كل هذا أسلوب يدهش القارئ العادي بسهولته وبساطته.. ويبدو كأنما تم بأيسر جهد وأقل عناء.

وبناء على هذه الصعوبة المتوقعة فقد يكون التأليف الجديد للأطفال أيسر من تبسيط مؤلفات الكبار، بحيث لا نلجأ إليها إلا إذا كانت هذه المؤلفات على قدر كبير غير عادي من الجودة، بحيث تستحق ما يبدل في سبيلها من جهد مضاعف متركب.

2. 5. 2-تبسيط السيرة النبوية للأطفال (الإسراء والمعراج من سيرة ابن هشام نموذجاً):

يحاول هذا للبحث التعرض لنموذج تطبيقي لفكرة التبسيط، وذلك من خلال واقعة الإسراء والمعراج من كتاب سيرة ابن هشام. وقد اخترنا كنموذج واقعة الإسراء والمعراج تحديداً، لكونها من بين أبرز وقائع السيرة التي تتضمن من عناصر الإثارة والدهشة ما يستدعي تقديمها للأطفال في قالب أدبي فني، وقد أفردنا بعض كتاب قصص السيرة للأطفال بالتناول من دون غيرها، واعتمدنا على سيرة ابن هشام كمصدر، لكونها أقدم ما وصل إلينا عن السيرة النبوية، ولوجود من قام بتبسيطها للأطفال من الكتاب العرب.

وعليه فلتبسيط السيرة النبوية للأطفال، ينبغي الترام الخطوات التالية:

أ-الانتقاء والحذف:

وذلك باختيار أهم للموضوعات التي تتماس مع حاجات الطفولة، وحذف التفاصيل التي لا تمت إلى عالم الأطفال بصلة. فإذا ما نظرنا إلى واقعة الإسراء والمعراج في سيرة ابن هشام، نجد الحشد الكبير للروايات والأسانيد حول الواقعة، بحيث نجد بين رواية وأخرى تبايناً وإضافات، إلى جانب هذا نجد عرض جوانب لا تخدم شخصية الطفل بقدر ما تزرع فيه الخوف والاضطراب، كإباء البراق ركوب النبي عليه في أول وهلة حتى عرفه به جبريل، وعدم ضحك خازن النار للرسول حين التقى به في السماء، وما كان من أهوال النار التي أريها، إلى جانب التفاصيل الدقيقة عن العدد الضخم للملائكة في كل سماء، فالطفل في غنى عن هذه التفاصيل والأرقام¹.

لدى كان لزاماً علينا انتقاء ما يمكن أن نقدم من خلاله للطفل صورة واضحة مبسطة ومكملة عن هذا الحدث للثير من أحداث السيرة، فما كل شيء يستحق التسجيل.

فإذا حاولنا انتقاء ما يتناسب من أحداث هذه الواقعة مع الطفولة نجد على سبيل المثال:

-إيقاظ جبريل للنبي من فراشه في بيت مطعم بن عدي.

-ركوبه البراق نحو بيت المقدس، ولقاء الأنبياء والصلاة بهم في المسجد الأقصى².

-المعراج نحو السماء، ومن سماء إلى سماء والحوارات الطيبة مع من يلتقي من الأنبياء.

-تشريع الصلاة وما رافقه من حوارات شيقة بينه وبين موسى بشأن التخفيف من عددها.

1- ينظر ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ص 286 وما بعدها.

2- المرجع نفسه، ص 286.

رجوعه إلى مكة ومن ثم إلى بيته في الليلة نفسها، وما وقع من محاورة مثيرة بينه وبين أبا جهل من جهة، وبينه وبين أبا بكر الصديق في شأن الواقعة¹.

وما يمكن أن يحذف إلى جانب ما أشير إليه من أسانيد، واختلافات بين الروايات حول بعض الأحداث، نجد:
- ما ذكر من خبر استهجان البراق ركوب النبي عليه إلا بعد تدخل جبريل.
- أعداد للملائكة الذين التقى بهم في السماء عند باب يسمى باب الحفظة، حيث ذكر أنه التقى ملك اسمه إسماعيل، يخدمه اثنا عشر ألف ملك، ويخدم كل واحد منهم اثنا عشر ألف ملك آخر².
- ما أثير حول معارجه بالروح فقط، أم بالجسد والروح معا³.

ب- التبسيط والتوضيح:

وذلك بإعادة طرح هذه للموضوعات في صورة واضحة تناسب مع مدارك الطفولة، وتقارب أفهامهم، في أسلوب لغوي يستسيغه الطفل للتلقي، فيتسرب إلى ذهنه، ويستقر في وجدانه، ومن خلال سيرة ابن هشام فإن التبسيط يتجلى في:
استبدال بعض الألفاظ التي لا تناسب وقاموس الطفل اللغوي سواء الدلالي منه أو الصوتي أو غيرها، مثل قوله: "والله لأحدثهموه..". في سياق جواب الرسول لأم هانئ⁴ التي نصحته بعدم إخبار قريش بما وقع له من أمر الإسراء والمعراج، فلفظة "أحدثهموه" لا تناسب والقاموس الصوتي للأطفال، فبسط بما يرادفها، مثل: "لأخبرهم بما جرى لي"، وما أشبه هذا.
ويتعلق التبسيط أيضا بتقريب مفهومي الإسراء والمعراج، وبيان أهمهما من قبيل المعجزة، وأن البراق هو خلق من مخلوقات الله، وتقريب للمشاهد التي أريها في السماء، من صنوف النعيم والجحيم، دون تهويل أو تهوين، بحيث يتلقاها الطفل القارئ من قبيل الترغيب في الطاعات والترهيب من المعاصي، دون أن تحدث فيه قلقا، أو عقدة نفسية.

ج- التلخيص والاختصار:

وذلك بتقليص حجم الموضوعات واختصارها بحيث تناسب مع قدرة الأطفال القرائية، وهذا يحذف التفاصيل للشوشة على ذهن الطفل للتلقي، دون المساس بجوهر الواقعة، بحيث أن ما سيسبغ من جزئياتها في عملية الانتقاء لا يؤثر على الفكرة الأصلية في جوهرها.

د- التجسيد الفني:

وذلك بصيغ الموضوعات للتقاة بصيغة أدبية، تمنح الطفل متعة وإثارة وتفاعلا، وتنمي فيه الذائقة الفنية، ويمكن أن يتحقق جانب من التجسيد الفني عن طريق الاستعانة باللغة وحدها، لذا تعد الأعمال الأدبية تجسيدا فنيا للمضامين من خلال اللغة، ولكن

1- ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ص288.

2- المرجع نفسه، ص289.

3- المرجع نفسه، ص287.

4- أم هانئ بنت أبي طالب، هي بنت عم النبي وتسمى هند، وقد باتت في بيتها ليلة الإسراء والمعراج حسب بعض الروايات.

الاستعانة بها وحدها غير كاف لإعطاء المضمون صفة الجاذبية والوضوح والقوة، ويرجع ذلك إلى عوامل عديدة، منها ما يتعلق باللغة نفسها، ومنها ما يتعلق بطبيعة الإنسان، فالوصف اللفظي يظل غير دقيق، وفي أحيان أخرى يكون مضللاً، ويرجع هذا إلى أن اللغة قدرات خاصة تعجز عن تخطيطها.. وتعتبر العناصر المساندة للغة عناصر للتجسيد الفني، كالأصوات والألوان، والرسوم،.. حيث تساعد هذه الأخيرة على التصوير بشكل أكثر دقة ووضوحاً وتجسيدا.

والتجسيد الفني يتيح من جانب آخر للعمليات العقلية للمعرفة الأخرى أن تقوم بدورها في استقبال الرسالة الاتصالية وفي فهمها، فالأطفال عند استماعهم أو مشاهدتهم أو قراعتهم لمضمون لفظي تسانده الألوان أو الأصوات أو الحركات أو الرسوم يتذكرون خبرات سابقة ويتخيلون صوراً جديدة مركبة، فيكون إدراكهم وبالتالي فهمهم أكثر دقة.

ولا تشكل عناصر التجسيد أدوات للإيضاح وإبراز المعاني فحسب، بل هي تشكل حوافز لإثارة انتباه الطفل، وإثارة اهتمامه، وخلق الاستمرار لديه في استقبال المضمون من خلال ما تضيفه من عناصر التشويق والجاذبية.

ويتيح التجسيد للطفل أن يتوحد مع المواقف التي يحملها المضمون، دون أن يشعر بأنه يتلقى مواعظ وتوجيهات وإرشادات ثقيلة أو معلومات جافة، خصوصاً وأنه شديد النفرة من كل ما يقدم إليه على تلك الشاكلة، وهو حتى وإن استجاب لها فإن استجابته مؤقتة، إذ سرعان ما يتخلى عنها، وقد يتمرّد عليها حين تحين له الفرصة.

وعليه فإن تبسيط السيرة النبوية للأطفال اعتماداً على كتب الكبار لا يعد من قبيل تصغير أدب الراشدين، لأن لأدب الأطفال خصائصه للتميزة التي تسبغها طبيعة الأطفال أنفسهم، فالطفل ليس مجرد "رجل صغير" كما كان يشاع من قبل، إذ أن الأطفال يختلفون عن الراشدين لا في درجة النمو فحسب، بل في اتجاه ذلك النمو أيضاً، حيث إن حاجات الأطفال وقدراتهم وخصائصهم الأخرى تختلف في اتجاهها عما يميز الراشدين، وعلى هذا فليس كل عمل أدبي للكبار يصبح بمجرد تبسيطه أدباً للأطفال، إذ لا بد لأدب الأطفال من أن يتوافق مع قدرات الأطفال ومرحلة نموهم العقلي والنفسي والاجتماعي، ولا بد من أن يسكب مضمونه في أسلوب خاص¹.

3. تركيب القصة:

3. 1- البناء والحبكة:

يعتمد القصص المكتوب للأطفال في بنائه على التدرج التقليدي، للكون من ثلاث مراحل أساسية هي: المقدمة والعقدة والحل. فالمقدمة هي بمثابة تمهيد قصير للفكرة، وتكون موضحة لما سيأتي بعدها، ثم تتابع الأحداث "بطريقة منطقية، كل واقعة في مكانها للناسب وفي حيزها للعقول، ويتحرك الأشخاص عبر هذه الوقائع حركة حية هادفة، تخدم الهدف الذي من أجله كتبت القصة، وتظل تنمو إلى أن تصل القمة، وهي النقطة الأشد تعقيداً وإثارة"²، وتسمى عند النقاد بالعقدة، وهي اللحظة التي عندما يصلها

1- ينظر هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، ص 149.

2- نجيب الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ص 63.

الطفل القارئ يفعل أشد الانفعال وتلاحق أنفاسه، وتضطرب عواطفه، فيكون في قمة نشاطه الذهني، فترداد بهذا متعته، ويتضاعف شوقه إلى معرفة الحل.

وإحكام بناء القصة بطريقة منطقية مقنعة هو ما يطلق عليه النقاد بالحبكة، وهي توالي الأحداث بطريقة خطط لها الكاتب، من أجل إثارة فضول الطفل وتشويق¹، وتمثل في القصة قمة تنمو من خلالها الفكرة والحوادث والوقائع الأخرى، وتحرك الشخصيات مؤلفة خيطا غير منظور، يمسك بنسيج القصة وبنائها، مما يدفع الطفل إلى متابعة قرائعها، أو الاستماع إليها، لأن ذلك الخيط يستلزم تفكيراً أو تخيلاً أو تذكراً أو يستلزم هذه كلها².

وتتعدد الحبكة في القصة تبعاً لخيار مؤلفها، بين الحبكة للفككة والحبكة للتماسكة العضوية، فالأولى تقوم على أحداث أو مواقف تبدو منفصلة، لكن بينها وحدة ليست نتيجة تسلسل الحوادث، وإنما اعتماداً على البيئة التي تتحرك فيها القصة، أو اعتماداً على الشخصية الأولى فيها، وغالباً ما يتضح الرباط الخفي الذي يخفيه الكاتب في نهاية القصة.

أما النوع الثاني فيبني على سلسلة من الحوادث للترابطة ترابطاً سببياً، وينمو فيها التعقيد متصاعداً، حتى يبلغ ذروته، وأغلب قصص الأطفال على هذا النحو، لكونها أقرب إلى مستوى الأطفال، لما فيها من منطقية واضحة، وسببية حلية يمكن أن تفهمهم.

ومهما كانت طريقة الكاتب في البناء فإن الحبكة الجيدة هي التي تشد القارئ، لاسيما إذا كان بناء القصة يعتمد على الوضوح في عرض الأحداث، وقيامها على الحركة، والتقدم إلى الأمام، ولا تعود إلى الماضي كثيراً زماناً أو مكاناً، لأن ذلك يقلل من اهتمام الأطفال بما تتجاوزها مستوى إدراكهم، برغم فنيته.

وقد تعدد عقد القصة الواحدة أو تكون وحيدة العقدة، ويعتمد ذلك على سن الطفل، ومستوى إدراكه، فكلما تقدم سنه طالب بقصص أكثر تعقيداً، أما النهايات فيميل أغلب الكتاب إلى تبني النهايات السعيدة، كما يميلون إلى أن يقرر الكاتب مصير الشخصيات بطريقة واضحة حاسمة.

أما حوادث القصة فتؤلف جزءاً من النسيج البنائي لها، في شكل متسلسل ومتناسق ومنسبب، وتربط دون افتعال أو حشو، لتتكامل معاً وتتأزم، مشكلة عقدة يجد الأطفال أنفسهم إزاعها في شوق للوقوف على الحل³.

وتتخذ هذه العناصر القصصية أشكالاً متعددة تبعاً للسن التي يكتب لها، فالطفل في مرحلة الطفولة المبكرة تبني قصته عادة على مقدمة وعقدة بسيطة جداً ثم يأتي بعدها الحل، وقد تخلو من بعض هذه المكونات كالعقدة مثلاً، أو تكفي فيه المسحة القصصية، أو اللمسة الفنية، التي تحقق جوهر القصة، حدثاً وشخصية ومكاناً، ولغة وحواراً وغير ذلك، لكنه لا بد أن يكون محققاً لأهداف القصة، من إثراء للفكر وإمتاع للوجدان، بما يتناسب مع مستوى هذه المرحلة العقلي والنفسي واللغوي.

وربما كان السبب في ندرة هذا النموذج الأدبي عدم توفر القدرة الإبداعية التي تستطيع خلق النماذج الأدبية الملائمة لهذه المرحلة بهذه الشروط الصعبة الآتفة الذكر¹.

1- ينظر Renée Léon: La littérature de Jeunesse a l'école hachette. Paris 1994. P135

2- هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، ص173.

3- المرجع نفسه، ص173.

أما في مرحلة الطفولة للتوسطة فتبنى قصته عادة من مقدمة وعرض وحل وخاتمة، بينما الطفل في مرحلة الطفولة للتأخرة ومرحلة المراهقة تبني قصته من مقدمة ثم عرض ثم انفراج ثم حل ثم خاتمة.

من هنا فإن القصة تتدرج حسب سني الأطفال في طبيعة الحدث والحبكة: من حدث بسيط، إلى حدث مركب يتألف من جزأين أو ثلاثة أو أكثر لكنها متداخلة، وتتحدد الحبكة من حيث البساطة والتركيب تبعاً لطبيعة هذا الحدث أو ذلك، شرط أن لا تتجاوز القصة مستوى إدراك الطفل، فيصعب استيعابه لها، والأطفال عادة ما يفضلون الوصول السريع إلى النهاية الخاطفة، والحل للتوقع السريع، مع تماسك القصة.

ومن خلال الوقوف على السيج البنائي لقصص السيرة النبوية للكتوب للأطفال بالجزائر أمكننا رصد الملاحظات الفنية التالية: أما تعلق باستهلال القصة، نلاحظ اهتمام أغلب كتاب قصص السيرة النبوية به، نظراً لأهميته وحيويته في عملية مواصلة القراءة، إذ يعد بمثابة الدافع نحو قبول أو رفض متابعة الفعل القرائي، ذلك أن الاستهلال للثير من شأنه أن يحرك للمشاعر والأحاسيس، ويوقظ الفضول الاهتمام.

وقد تعددت طرائق كتاب قصص السيرة النبوية للأطفال في استهلال قصصهم، وتباينت مستوياتها، تبعاً للأسس الفنية التي سبق الحديث عنها في هذا المجال.

إذ نجد من يستند على العامل التاريخي في انطلاق فعل السيرة، كأن يصور طقوس العرب وقريش، وما كانت تقوم به من أعمال حول الكعبة، ثم ما كان من دور لبني هاشم في أمر سقاية الحجيج، إلى أن يتناول بيت عبد المطلب، وما كان معه من ابنه عبد الله، فيشر بميلاد محمد ونشأته.

ومن اعتمد هذه الطريقة إلياس بن ساعد في "السيرة النبوية الشريفة"، وناصر بوحجام في "قصص من السيرة للفتيان والفتيات". بينما اعتمدت قصة "محمد" لدار الهداية على تقديم نسب محمد، ثم التعريف بأبيه وأعمامه وجده، ولو تأملنا في هذا الاستهلال آخذين بالاعتبار المرحلة العمرية التي يتناسب العمل معها (الطفولة للتوسطة)، نجد أن الطفل في غنى عن هذا الحشد من الأسماء والأنساب، ذلك أنها قد تحدث تشويشاً في ذهنه، يجعله إما يواصل القراءة على مضض، أو يلقي بالقصة جانبا.

وإذا تأملنا "حياة محمد" التي أعدتها جماعة من رجال التعليم، نجد الطفل يوشك أن يقع أسير فذللكة ذهنية، قبل أن يسبح في فضاءات رحبة من السيرة العطرة، حيث استهلكت بيان مكانة محمد عند الله والخلق، "محمد رسول الله، ونوره في الأرض...، وهو الهادي البشير...، إنه النبي الكريم...".

ونجد من الكتاب من استهل عمله وكأنه يقدم كتاباً للكبار، ويتعلق الأمر بـ "الحبيب للمصطفى مولده وصباه"، حيث وضع مقدمة، ضمن فيها مضمون القصة، وطريقة عمله فيها، والمراجع التي اعتمد عليها: "يسرنا أن نقدم لأطفالنا الأعزاء هذا العمل.. وهو عمل مكون من قسمين.. وقد اعتمدنا في كتابة المعلومات وتحقيقها على كتب أهمها.."، فالطفل للتلقي في غنى عن هذا

التقديم، إذ كان يتظر ما يمكن أن يثير فضوله، فإذا ما واجهناه بمثل هذه التحريات فإنه سيستكشف عن المتابعة، وقد نضيع بذلك فرصة تكوينية لا تعوض.

وكذلك الأمر مع "حياة محمد" لسعد الدين دداش، حيث دبح قصته بخطبة منبرية لا تمت إلى عالم الطفولة بصلة، ومما جاء فيها: "إن الحمد لله نحمده ونستعينه.. أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله..، وبعد: فهذه صفحات.."¹.

وما يلاحظ في هذا الصدد هو أن كتاب قصص السيرة النبوية الذين وردت أعمالهم في سلاسل متفرقة، بعد أن حرصوا على الاستهلال في أول قصصهم، لم يواظبوا على ذلك في بقية أجزاء السلسلة، ومرد ذلك اعتقادهم بأن الطفل سيطالع أعمالهم على نحو ما كتبوه، وهذا أمر فيه نظر، ذلك أن الطفل القارئ قد يقدم على قراءة أجزاء السلسلة على نحو ما يريد الكاتب، وقد يعرض عن ذلك لداع من الدواعي، فيكتفي مثلاً بقراءة جزء وسط من بين أجزاء السلسلة، وهذا إما لإعجابه بموضوعها، وإما لضعف القدرة الشرائية، بحيث لا يتمكن من شراء السلسلة كاملة، فيختار ما يناسبه منها، وإما لعذر آخر..

ونجد من بين هذه الأعمال سلسلة "من غزوات الرسول" لإلياس بن ساعد، حيث حرص على براعة الاستهلال في أول غزوة، وهي غزوة بدر، مصححاً فيها مقولة انتشار الإسلام بالسيف، ومبيناً حقيقة الأمر، وحرص على الاستهلال أيضاً في "غزوة أحد"، بينما تغافل عنه في "الأحزاب" و"الحديبية".

والأمر نفسه مع سلسلة "قصص من السيرة للفتيان والفتيات" لمحمد ناصر بوحجام، إذ مهد للقصة في أول حلقة منها، وراح يواصل تصاعد الأحداث في الحلقة الواحدة، وبين السلاسل، وكأننا أمام قصة جمعت في كتاب واحد.

وعليه فإن كاتب السيرة النبوية سواء كان عمله ين دفتي كتاب، أو موزع على سلاسل، ينبغي أن يحرص على هذا العنصر الأساسي في البناء القصصي.

ب- ما تعلق بتصاعد الأحداث ونموها، ونظراً لكون للموضوعات التاريخية ومنها موضوع السيرة غالباً ما تعتمد على تتابع الأحداث تتابعا مطردا، يخضع عادة لعامل الزمن، وما يفرزه تفاعل الشخصيات والأحداث، نجد أغلب كتابات قصص السيرة النبوية للأطفال بالجزائر حرصت على هذا التصاعد والنمو، مع تفاوت في تحقيق الانسجام والتناسق المنطقي بين الأحداث، وفي منح الحيز للعقول للحدث الأشد إثارة.

كما نجد من القصص ما يتحرك الأشخاص فيه عبر هذه الوقائع حركة حية هادفة، تخدم الهدف الذي من أجله كتبت القصة، بينما نجد بعضه الآخر يتناول حركة أشخاصه دون تبرير أو تفسير، مما غلب عليه طابع التقرير والسرود المباشر.

أما من حيث نمط تشكيل الحبكة الفنية، فيما يتعلق بالعلاقة بين الأحداث في تصاعدها نحو العقدة، فإن كتاب قصص السيرة انقسموا إلى قسمين:

1- سعد الدين دداش، السيرة النبوية الميسرة، دار الهداية، قسنطينة، 2000، ص 03.

أولهما اعتمد على الحبكة للفتكة، فأقام أحداث القصة ومواقفها على نحو يبدو منفصلاً، لكن بينها وحدة ليست نتيجة تسلسل الحوادث، وإنما اعتماداً على كونها مرتبطة بشخص النبي من جهة، أو باعتبارها مرتبطة بالصراع بين الحق والباطل من جهة أخرى.

فبعد الحق سعودي مثلاً في "السيرة النبوية" اعتمد هذا الطريقة، حيث نجده ينسج حبكة لا تتأسس على نمو الأحداث وتربطها، ولا على سببية ونتيجة، وإنما على أساس مسار الرسالة المحمدية، ففي إحدى حلقات السلسلة يجمع بين الأحداث التالية، ليؤلف منها حبكة فنية: في غار ثور/ هجرة علي بن أبي طالب/مسجد قباء/للمسلمون في المدينة"، فالذي جمع بين هذه الأحداث في تشكيل حبكة فنية هو ارتباطها بسيرة النبي عليه السلام.

ومن الترم بهذا النمط أيضاً "حياة الرسول" لجماعة من رجال التعليم، إذ يجمع بين مجموع الأحداث شخص النبي محمد، فتناول وقائعهم من خلال عرض نماذج من أخلاقه، كالأمانة والصدق والتسامح.

بينما نجد بقية كتاب السيرة الآخرين اعتمدوا على الحبكة للتماسكة العضوية، حيث نجد ترابطاً سببياً بين الأحداث، ينمو فيها التعقيد متصاعداً حتى يبلغ ذروته، وأغلب قصص السيرة على هذا النحو، لكونها أقرب إلى مستوى الأطفال، ولما فيها من منطقية واضحة، وسببية حلية يمكن أن تقنعهم.

وما تجدر الإشارة إليه هو أن هذا التقسيم في قصص كتاب السيرة النبوية للأطفال نسبي، ذلك أن من القصص من يلتزم بهذا النمط أو ذاك، لكنه أحياناً ما نجد ملامح من الطريقة الأخرى التي لم يلتزم بها تظهر في العلاقة بين الأحداث، ومرد ذلك إلى طبيعة المادة الحكائية للتوفرة حول السيرة النبوية.

إلى جانب هذا، يلاحظ أن قصص السيرة التي تبنت الحبكة للتماسكة العضوية، نجدها فيما يتعلق بترابط المشاهد وتتابعها على صعيد الكتابة اعتمدت على شكلين:

الشكل الأول يربط بينها في استرسال دون توقف، بحيث أن الطفل القارئ لا يشعر بوجود فاصل، ولا بانتهاء مرحلة، والشرع في مرحلة أخرى إلا ما كان من وضع نقطة في نهاية الحدث، والرجوع إلى السطر الموالي لمتابعة الحدث الموالي.

أما الشكل الثاني، فحرص على تقسيم السيرة إلى مقاطع، تبعاً للمشاهد المتعددة، ويضع لكل مقطع عنواناً يناسبه.

ولكل طريقة محاسن ومساوئ، ذلك أن الشكل الأول مما يعين على تتابع القراءة دون توقف، إلا أنه لا يعين الطفل القارئ على عمليات الربط والتذكر، بينما الشكل الثاني، يساعد الطفل على ذلك، إلا أنه يكسر خط سير القراءة بتلك العناوين، مما قد يفسد ميثاق القراءة، إذ يضطر الطفل في كل مرة إلى إعادة خط السير كلما قطعه الكاتب بين مشهد ومشهد.

وأياً كانت الطريقة فإن إحكام بناء القصة بطريقة منطقية مقنعة، مما يثير فضول الطفل وتشويقه، ويدفعه إلى متابعة قراءتها، لأن ذلك الخيط يستلزم تفكيراً أو تخيلاً أو تذكراً أو يستلزم هذه كلها¹.

1- ينظر هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، ص 173.

ج- ما تعلق بالعقدة، إذا تأملنا الخط البياني للسيرة النبوية عموماً، فإنه يمكننا رصد بعض الوقائع والمراحل التي يمكن أن تكون بمثابة العقدة، وهذا بالنظر إلى أحد الاعتبارين:

أولهما ما كان من وقع الأحداث على نفسية النبي محمد، فإذا أخذنا هذا الاعتبار، إلى جانب ما صرح به النبي بلسانه، فإن حدث الرجوع من الطائف بعد للقاء السيئة التي قبل بها من قبيلة ثقيف تعد الحدث الأشد تعقيداً، وقد صرح بهذا الأمر لزوجته عائشة بنت أبي بكر الصديق، حين سأله عن أصعب لحظة عاشها في حياته.

أما الاعتبار الثاني فهو ما كان من وقع الأحداث على ضبط مسار السيرة، فنجد بهذا عدة وقائع يمكن أن تشكل منها عقدة السيرة، فإلى جانب الحدث السالف الذكر، يمكن أن يكون وفاة خديجة وأبا طالب في عام الحزن، أو وقوف طامعي حائرة قريش أمام غار ثور في مناسبة الحجرة بحثاً عن النبي، أو قرار النبي بمواجهة قريش في بدر، أو هزيمة المسلمين في أحد، أحداثاً تشكل منها العقدة في بناء السيرة النبوية.

ونظراً لهذا التعدد والثراء، فقد حرصت قصة السيرة النبوية للأطفال بالجزائر على تعدد أتماط العقدة فيها، تبعاً لتعدد مراحل الطفولة. إذ نجد سلسلة "من غزوات الرسول" لإلياس بن ساعد، حرصت على تشكيل العقدة في كل حلقة من حلقات السلسلة. ففي غزوة بدر تجسدت العقدة في قرار النبي بمواجهة قريش، وفي أحد هزيمة المسلمين، وفي الأحزاب بخيانة بني قريظة، وهكذا. فقد حرص عليها طلباً لمواصلة القراءة، ثم عقب للحل في كل عقدة بانفراج للأحداث، ويختم ذلك كله بما أفرزت تلك الغزوة من نتائج إما انتصارات مادية ومعنوية وهو الغالب، وإما دروساً تربوية وإيمانية تعلمها المسلمون.

أما "السيرة النبوية" لعبد الحق سعودي تكاد تخلو معظم أجزاء سلسلتها من العقدة الفنية، إذ حرصت على إضفاء مسحة قصصية تحقق جوهر الفن القصصي، من وجود أحداث وشخصيات قليلة، ومكان أو أمكنة متعددة، لكنها اجتهدت في تحقيق متعة فنية، تناسب للرحلة التي يفترض أن تتوجه إليها.

فخبرة الكاتب بوقائع السيرة النبوية من سبل نجاحه في تشكيلها، لاسيما إذا توفرت له للمقدرة الفنية على توظيفها وتشكيلها فنياً خلال ما يكتبه من قصص للأطفال، مما يجذب انتباههم، ويستثير أشواقهم، ويحرك فاعليتهم في التعامل مع النصوص القصصية، مما يجعل قصص السيرة النبوية يحقق غاياته التربوية والفكرية والجمالية والنفسية.

وعليه فإن هذا الطفل الناقد سيواجهك بالحقيقة العارية فيما رضي عنه وما لم يرض، وستعرف منه مواطن القوة والضعف من خلال تعقيباته وملاحظات وأسئلته، فإن حديثه الحين العذب ما هو إلا تحليل دقيق لما تأثرت به نفسه من العمل القصصي الذي قرأه أو استمع إليه¹.

3.2- الاستدلال والإقناع:

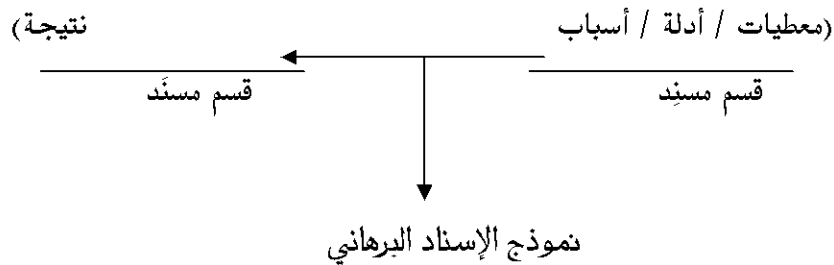
لا يختلف نقاد الأدب ودارسوه في تحديد الخصائص اللغوية التي يرتكز عليها الخطاب الأدبي، بل إن الاختلاف يراعى إذا ما تعلق بطاقة هذا الخطاب ووظيفته، وكذا تفرع دلالاته وانزياحها، مع تقريبه في الوقت نفسه من فئة الذين أنشئ من أحلهم

1- محمود تيمور، القصة في الأدب العربي وبحوث أخرى، منشورات المكتبة العصرية، صيدا بيروت، (د.ت) ص 65.

"القراء"، على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم في تلقي هذا الخطاب، ولعل شريحة كبرى من هؤلاء القراء يمكن البحث في منطق لغة الخطاب الأدبي للوجه إليها، وكشف الوظيفة البرهانية الإقناعية للتوخا من وراء هذا الخطاب، خاصة إذا ما تمحور الهدف والإجراء حول برامج إعدادية وتكوينية تسعى إلى تكريس أو دحض سلوكات و مفاهيم، أو مسلمات وفرضيات قصد مراجعتها وتعديلها، وهو يسعى الخطاب الأدبي للوجه إلى الطفل.

يقول عبد القادر بوزيدة: "إننا عندما نتكلم نشير إلى عالم (حقيقي أو خيالي) ونصوره (الوظيفة الوصفية)، لكننا نتكلم أغلب الأحيان ونحن نسعى إلى إقناع المخاطب وحمله على أن يقاسمنا رأياً أو تصوراً حول موضوع معين، وبعبارة أخرى فإننا نتكلم أغلب الأحيان من أجل البرهنة"¹.

وبناء على هذا فإن العمل الأدبي للوجه إلى الطفل في صورته الفنية، إنما يقصد من ورائه الإقناع، بالارتكاز على البرهنة والإخبار، إذ ليست الطاقة إخبارية فحسب، ما دام القصد يتعلق بالتربية والتكوين وبرامج تحفيز التنبئ، (تنبئ أفكار، مسلمات، أعراف، معارف، أطروحات، سلوكات)، ولذا يمكن أن نسلم بأن البرهنة وظيفة أولية بالنسبة إلى الطفل، فلا يكفي الأدب للوجه إليه بالإخبار فقط، بل يجب أن تشحن لغته بطاقات إقناعية أكثر منها إخبارية، لكون هذه الأخيرة قد لا تستقيم وميوله، أو استعداداته النفسي، كما قد لا تستهوي فضوله وتطلعه، يقول عبد الله أبو هيف في هذا الشأن: "إن كون أدب الأطفال موجها وحاملا لدلالاته التربوية يحتم النظر في أساليب التوصيل والانتشار"²، ثم إن الطفل يتقي الوظيفة التي جاء بها للفظوظ بناء على قراءاته السابقة الناجحة أو الفاشلة، فهو الذي يريد لها وظيفة إخبارية أو إقناعية، ويمكن أن نعرض إلى نموذج الإسناد البرهاني من أجل توضيح المسألة بشكل أدق.



والاهتمام بعنصري البرهنة والإقناع بناء على هذا النموذج في قصص السيرة النبوية مما يجعلها أشد تأثيراً، وأدعى لتغيير السلوك، ذلك أن النبي محمداً إنما يكمن جوهر ما جاء به في تغيير الطباع السيئة، واستبدالها بأخرى حسنة فاضلة، وما دام الأمر يتعلق ببرامج تحفيز التنبئ بدرجة أولى فإن الاعتماد على هذين العنصرين في بناء خطاب السيرة سيكون له الأثر الفاعل في شخصية الطفل القارئ.

1- عبد القادر بوزيدة، نموذج المقطع البرهاني، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، عدد 12، ديسمبر 1997، ص 305.
2- عبد الله أبو هيف، أسئلة أدب الأطفال، مجلة الموقف الأدبي، سورية، عدد 127، تشرين الثاني 1981، ص 74.

فإذا أردنا أن نغرس في الطفل علو الحممة، والصبر على الشدائد، وأن مع العسر يسرا، وأن العلى لا ينال بالتمني، فلنا في قصة السيرة النبوية أبرز الوقائع التي تحفز الطفل لتبني هذه للسلمات، شرط الاعتماد على البرهنة والاستدلال في بنية الخطاب، وذلك بالحرص على تقديم الأدلة والأسباب من أحداث السيرة، ثم بيان نتائج هذه المقدمات.

وللإحاطة في قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال بالجزائر وجود نموذجين حرص بوضوح على اعتماد البرهنة والاستدلال بما ينبغي استخلاصه من تكوين، ويتعلق الأمر بالسيرة النبوية الشريفة لإلياس بن ساعد، وسلسلة "قصص من السيرة للفتيان والفتيات" لحمد ناصر بوحجام، حيث حرص هذين العاملين على استعمال لغة سهلة بسيطة تناسب بساطة العقول التي تلقاها، يقول علي الحديدي: "واللغة التي يستعملها كاتب أدب الأطفال الناجح هي اللغة السهلة البسيطة المناسبة لبساطة الأفكار.. وللواقعة أيضا لبساطة العقول التي تتلقى هذه اللغة"¹.

ويقول أحد المتخصصين في أدب الأطفال: "إذا كان الكتاب موجها للأطفال في التاسعة والعاشر فيجب أن يهتم بالجانب العملي وإبراز للمهارات واحترام التسلسل الطبيعي، وإدراك نظام الحركات (السبب والنتيجة)..²".

وبناء على هذا يجب مراعاة الطفل في قدرته الأدبية والمعرفية والاستدلالية، بل يجب تقديم المعطيات التي تتوافق ومنطقه، يقول عبد القادر بوزيدة: "ومن هنا أهمية المرسل إليه في توجيه العملية البرهانية، واختيار للمعطيات والمقدمات"³.

فالكاتب البارع يجب أن يعطي كل مسطحات الخبرة والتجربة الإنسانية والوعي بالطفولة والإحساس بها، وكل أوجه الفهم والبصيرة بنفسية الصغار وطرق تربيتهم، ليظهر أثر ذلك كله في قصصه⁴.

إذن قد يكون من التقدير للنهجي والإحاطة العلمية أن يرد الخطاب للوجه إلى الطفل في صورته التبسيطية وصيغته للتداولية بين هذه الفئة من القراء، يقول عبد الله أبو هيف: "إن النزعة التبسيطية هي الغالبة على تمييزها لصالح الأغراض التربوية..⁵".

إن حديثنا عن أدب الأطفال يجعلنا نهتم بما يجب على الأدب نحو الأطفال، لا بما يجب على الأطفال نحو الأدب، أو بما يجب على الأديب نحو الطفل، فهو يجب أن يراعي في اختياره للغة مستوى الطفل، وأن يراعي في بنائه اللغوي البعد عن التعقيد والغموض للمحل⁶.

1- علي الحديدي، في أدب الأطفال، ص 75.

2- أحمد حسن أبو عرقوب، محاضرات في أدب الأطفال، المكتبة الجامعية الأردنية، الأردن، 1982، ص 15.

3- عبد القادر بوزيدة، نموذج المقطع البرهاني، ص 318.

4- عبد الله أبو هيف، أسئلة أدب الأطفال، ص 297.

5- المرجع نفسه، ص 77.

6- ينظر محمد الهرفي، أدب الأطفال، دراسة نظرية وتطبيقية، دار الرسالة، القاهرة، 1996، ص 13.

5.5. مكانية قصص السيرة النبوية الموجهة للأطفال بالجزائر:

تتعلق زمكانية القصة بالخصائص البيئية التي تدور فيها أحداثها، فينظر في مدى نجاح القاص في رسمها، وفي مدى ملاءمتها لأحداث القصة وموضوعها، ذلك أن "جو القصة يؤلف موقفا مهما في خلق الحالة النفسية إزاء ما يحصل في القصة، من خلال ما فيها من خلفية أو موقف زمني أو مكاني"¹.

إذ أن التفصيل المناسب في عرض هذين العنصرين، له دور حيوي وأساسي في القصة، يمنح من خلاله الإحساس بموضوعها، ويلمح عن طبيعة الحياة، فيصور البيئة بدقة ووضوح حتى تبدو الخلفية حية يمكن إدراكها وتمييزها، ويسهم هذا التفصيل أيضا في وصف البيئة العامة للشخصيات، بحيث تندمج مع الخلفية، مما يساعد على إبراز الموقف دون حاجة إلى التعبير الصريح عنه.

5.5.1- زمن السرد وزمن الحكاية:

تدل نتائج الأبحاث العلمية الحديثة على أن الطفل يستطيع في باكورة حياته أن يدرك الحاضر الذي يحيا في إطاره لاتصاله المباشر بنشاطه وسلوكه، ولشدة علاقته بعالمه الواقعي المحيط به، ثم يتطور به الأمر حينما ينشط خياله إلى إدراك مستقبله، ثم ينتهي إلى إدراك الأحداث للماضي في حياته وفي حياة الآخرين، وهو لذلك يدرك ذلك الحاضر في يومه الراهن عندما يبلغ من العمر عامين، ويدرك الغد فيما بين السنة الثانية والسنة الثالثة من عمره، ويدرك الأمس في نهاية السنة الثالثة من عمره إدراكا فيه شيء من الغموض"².

وفي السنة الرابعة يدرك شطري النهار بصباحه ومساءه، ويمضي به النمو قدما في مسالك حياته ومستويات نضجه، فيعرف الأيام وعلاقتها بالأسبوع في ستة الخامسة، ويدرك الفصول الأربعة في ستة السابعة، ثم يرتقي نموه في ستة الثامنة³.

والطفل العادي لا يدرك تماما ما يعنيه المدى الزمني للدقيقة أو الساعة أو الأسبوع أو الشهر حتى يبلغ السادسة من عمره أو يتجاوزها بقليل، ذلك لأن إدراك المدى الزمني يحتاج إلى قدرة من التجريد غير متاحة للطفل في مراحله الأولى⁴.

فالزمن قد يكون يوما أو أسبوعا أو شهرا أو سنة، وهكذا يمكن أن يكون قصيرا أو ممتدا، وقد تشير إليه القصة بسرعة: ذات يوم جميل...، كان...، أو عبارة تشير للمستقبل مما يستثير خيال الطفل، وإذا ما ورد عصر معين، أو وقت محدد يجب أن تكون القصة صادقة في الإيحاء به، فإن ذلك مما يكسب القصة إقناعا للطفل بما تتضمنه من قيم ومبادئ، كما تترك من إحساسه بجمالها الفني. وإشكالية الزمن في القصة عموما تطرح من خلال العلاقة القائمة بين زمن الحكاية وبين زمن الوحدة الكلامية (الجملة)¹، للتمثل في للساحة النصية أو طول النص، بالنظر إلى خصائص فئة للتلقين (الأطفال).

1- هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، ص 133.

2- ينظر فؤاد البهي السيد، الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة، دار الفكر العربي، مصر، ط2، 1968، ص162.

3- ينظر المرجع نفسه، ص163.

4- ينظر المرجع نفسه، ص 163.

ولإدراك زمنية النص من خلال فض هذا التشابك، يحيلنا الناقد المغربي سعيد يقطين إلى ضرورة تحديد العلاقات التالية²:

- 1- تحديد العلاقة بين الترتيب الزمني للأحداث وتسلسلها في القصة.
- 2- تحديد العلاقة بين الفترات التي تستغرقها هذه الأحداث في الحكاية (سرعة السرد) والمساحة النصية التي تقابلها في القصة (طول النص).

3- تحديد علاقات التواتر بين الحدث الواحد في الكتابة وتواتره في القصة.

ودراسة العلاقة بين الترتيب الزمني للأحداث وتسلسلها في القصة يؤدي إلى تحديد ما يلي:

1- وضع نقطة انطلاق في العمل القصصي.

2- ترتيب الأحداث في الخطاب السردى بحسب ترتيبها في الحكاية.

ولتفعيل المقارنة بين الزمنين الحكائي والقصصي بغية الحصول على الزمن السردى يجب³:

- أن تسند النقطة الصفر -نقطة الانطلاق في الحكاية- إلى مؤشرات يمكن بواسطتها تحديد الزمن.

- يعتمد السارد وفق هذه المؤشرات إلى التقدم والتأخير.

وبذلك يمكن القول بأن النظام الزمني للحكاية لا يتوافق بالضرورة مع النظام الزمني للقصة، إلا إذا توافقت ترتيب الأحداث في القصة مع ترتيبها في الحكاية، وهذا الأمر مستحيل في نظر عبد الملك مرتاض بسبب طبيعة الزمن في القصة، "والذي يكون متذبذبا مشوشا، ويعهد للمؤلف إلى هذه الطريقة لغاية جمالية، بينما يتطور الزمن الحكائي في خط أفقي، أو يكون أحادي الخط"⁴. فالفترة في الحكاية وحدة زمنية، تتحدد بالأشهر والأيام والساعات، بينما تعد الفترة في القصة مكانية، تتحدد بالأسطر والفقرات، ولعل هذا التحديد بالذات جعل جيران جينات يضع أمام السارد ما يسمى بالحركات السردية التي تحدد حجم النص وزمن قراءته، ويعد هذا بمثابة بعد ثالث للزمن الحكائي، وتمثل هذه الحركات في: للشهد، وللوجز، والحذف والتوقف.

لذلك تطلبت مقتضيات السرد التبادل بين المواقع الزمنية، فالحاضر قد يرد إلى الماضي، والمستقبل قد يجيء قبل الحاضر، وهذا ما يطلق عليه بالإنزياح الحدتي، أو بالتضليل الحكائي، الذي يعد من ابتكار الشكلايين الروس، إذ كانوا يرون فيه للميزة الوحيدة التي تميز الوحدة الكلامية عن الحكاية⁵.

وعليه فإن التعامل مع الزمن يتطلب براعة وذكاء أدبيين، ومراسا وتجربة طويلين، وعدم الإذعان إلى خطة أو وجهة معينة، فالكاتب المحترف هو من يحسن توزيع الحدث، وتوزيع الزمن من خلاله، مع مراعاة خصائص الفئة التي يوجه إليها عمله، وهي هنا الأطفال على اختلاف مراحلهم.

1- ينظر عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص219.

2- ينظر سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي: الزمن-السرد-التبشير، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 1997، ص76.

3- ينظر المرجع نفسه، ص222.

4- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص219.

5- المرجع نفسه، ص220.

وزمن السرد يقاس بالنظر إلى تواتر الحدث الواحد في الحكاية، إذ يرى كريان F.Crepin ولوريدون M.Loridon أن زمن السرد هو الوقت المناسب لسرد أو حكي حدث ما، حدث يستوجب عرضه بضع دقائق يمكن أن يحتل صفحة كاملة، بالمقابل عرض حدث يتطلب تقديمه صفحات كثيرة في بضعة أسطر¹. إلا أن زمن السرد بالنظر إلى الحركات السردية في القصة المكتوبة للأطفال لا تظهر بسهولة، بالنظر إلى حجم القصة التي لا تتجاوز غالباً العشرين صفحة.

ولتحديد النظام الزمني في قصة السيرة النبوية، يأخذ السارد على عاتقه مهمة ترتيب الأحداث في الخطاب السردى بنظام ترتيبها في الحكاية، أي ترتيب الأحداث بطريقة قد تختلف عن ترتيبها الأصلي، من هنا يبرز الاختلاف بين توزيع فترات الحكاية وبين ترتيب فترات القصة، وبدراسة هذا التباين يتجلى جهد السارد في تعديل الزمن انطلاقاً من منظور قصصي.

ومن خلال مقارنة الترتيب الزمني للسرد بالترتيب الزمني للحكاية في قصص السيرة النبوية للمكتوب للأطفال بالجزائر لاحظنا تطابقاً كبيراً بينهما، إذ لم نعثر على حيل التقديم والتأخير، ذلك أن السارد كلما كان بعيداً عن الحكاية، ونقلها من حاضرها إلى ماضيها، كان التقارب بين زمن الحكاية وزمن السرد وارداً، أما إذا تدخل في عرض مجرياتها، وتدخلت عناصر أخرى قصصية (مجريات جديدة، أحداث طارئة..) فإنها ستؤثر بالضرورة على الزمن القصصي والحكاية، وبالضرورة السردية، وهو ما لم نعثر عليه في كتابات قصص السيرة النبوية للأطفال بالجزائر.

ويلاحظ أن معظم القصص وظف الصيغ الدالة على الزمن للماضي، باعتبارها تتلاءم وزمن وقوع أحداث السيرة النبوية، والجدول التالي يبين أبرز هذه القصص، وأكثر الصيغ تداولاً فيها:

المؤلف	القصة	الصيغ الأكثر تداولاً
إلياس بن ساعد	السيرة النبوية الشريفة	كان، لقد كان، وكانت، فبعد أن، فلما، وهكذا، وظل، ومضت، ولما بلغ، ومرت الأيام والشهور والسنوات، وتوالت الأيام، وبينما، عندما..
محمد ناصر بوحجام	قصص من السيرة للفتيان والفتيات	
سعد الدين دداش	حياة الرسول محمد	
كمال قندوزي	نبي الله محمد	

جدول رقم (10): صيغ الزمن الماضي في قصص المدونة

وفيما يتعلق بسرعة السرد في قصص السيرة النبوية، فإنها متغيرة، إذ يطيل السارد في عرض أحداث على صورة مشهد، ويمر على أخرى بإيجاز، أو باختصار، وقد يوقف الزمن أحياناً ليبرز مغزى أو عبرة، مما أوجد تقاطعات كثيرة مع الزمن الأصلي للحكاية.

إذ قد نجد حدثاً يستغرق بضع ساعات من زمن الحكاية يمنح للمؤلف له صفحات كثيرة، وقد يفرد له حلقة مستقلة، ويتعلق الأمر برحلة الإسراء والمعراج مثلاً عند إلياس بن ساعد²، إذ صاغها في حلقة مستقلة، تقرب من ثلاثين صفحة، بينما أحداثاً أخرى

1- ينظر عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص224.

2- إلياس بن ساعد، قصة الإسراء والمعراج، دار السجلات، (د.ت.).

تستغرق سنوات في زمن الحكاية، كالأذى الذي كان يلاقيه المسلمون من قريش في العهد للمكي، يمنحه المؤلف صفحتين من القصة فقط.

واستعمال الحركات السردية يرتبط ارتباطاً أساسياً بخصوصيات الطفل المتلقي، وحاجاته النفسية والتربوية، لذا على الكاتب مراعاة هذه للقصدية في انتقاء أحداث كمشاهد، واختصار أخرى، أو إيجازها، بينما مسألة توقيف الزمن تحتاج إلى ذكاء وخبرة، حتى لا يكون مضراً بالبناء العام للقصة.

5.2- الحيز المكاني:

يلعب الحيز المكاني دوراً هاماً في بناء القصة المكتوبة للأطفال، فهو الإطار الذي تنطلق منه الأحداث، وتسير فيه الشخصيات. وتختلف قدرات الطفل على إدراك العلاقات المكانية القائمة بين الأشكال تبعاً لاختلاف مراحل نموه، وتفيد الدراسات على أن الطفل فيما بين الثانية والثالثة لا يدرك من تلك العلاقات إلا ما كان منها عملياً نفعياً، متصلاً اتصالاً مباشراً بإشباع حاجاته ورغباته، وأنه فيما بين الثالثة والرابعة من عمره يدرك العلاقات المكانية الذاتية، أي علاقاته بها وعلاقاتها به، وكيف نشاطه وسلوكه وفقاً لهذا الإدراك، وأنه بعد أن يجاوز الرابعة من عمره يدرك العلاقات المكانية للموضوعية، فيدرك أنه كائن وسط الكائنات الأخرى، أي أن له وجوداً يختلف عن وجود الأحياء والجمادات المحيطة به، ثم يسعى بعد ذلك ليكيف نفسه لهذا الإدراك الجديد، وإقامة صلته القريبة والبعيدة بهذه الأشياء المختلفة¹.

وقد دلت الدراسات التي قام بها العلماء على أن قدرة الطفل على إدراك اتجاهه، وتحديد موضعه ومكانه بالنسبة للشرق والغرب والشمال والجنوب، والقرب والبعيد تنمو ببطء حتى السادسة من عمره، ثم يسرع النمو بهذا الإدراك فيما بين السادسة والثامنة، ثم يهدأ تدريجياً حتى يصل في سن الثانية عشرة إلى مستوى إدراك الراشد².

وللتبعية لقصص السيرة النبوية للكاتب للأطفال بالجزائر يجد أن معظم الكتاب اهتموا اهتماماً خاصاً برسم الحيز المكاني، غير أن طريقة توظيفهم له تختلف من كاتب لآخر، وعند تبعية هذه القصص أمكننا رصد أربع حالات مختلفة على النحو الآتي:

أ- حيز مكاني واقعي، له وجود جغرافي معلوم، ذلك أن مسألة تعيين الأماكن وتسميتها بأسمائها تجعل الطفل القارئ يتصورها، ويتفاعل مع شخوص القصة الذين يملؤون هذه الأمكنة، خصوصاً إذا كان الطفل يعرف الأمكنة جيداً، مما يجعله يصدق كل ما ورد في القصة من أحداث ووقائع.

وإذا تأملنا السيرة النبوية نجد أغلب أحداثها وقعت في أماكن معروفة، حتى أن الكاتب يمكن أن يبين هيكلها عاماً لوقائع السيرة بناء على هذه الأمكنة، فحياة النبي معروفة، وقد وقعت في أماكن معلومة، وهي ذلك الأماكن الموجودة اليوم بالمسميات نفسها، وهذا له وقع كبير في نفس الطفل، إذ بعد أن يطالع تلك البطولات في قصص فينية، سترع في قلبه شوقاً كبيراً إذا ما علم بأنها وقعت

1- ينظر فؤاد البهي السيد، الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة، ص158.

2- ينظر المرجع نفسه، ص158.

في أماكن معلومة يمكن قصدها وزيارتها، وقد أفرد الدكتور شوقي أبو خليل كتابا مستقلا، تحت مسمى "أطلس السيرة النبوية" يبين فيه بالخرائط والصور أبرز الأماكن التي وقعت فيها أحداث السيرة النبوية. ومن خلال تتبع قصص السيرة النبوية للأطفال بالجزائر أمكن رصد مواقع السيرة النبوية، على التفصيل التالي:

أماكن بمكة	أماكن بالمدينة	أماكن أخرى
الكعبة، مكة المكرمة، غار حراء، دار الأرقم بن أبي الأرقم، جبل الصفا، شعاب بني عبد المطلب، بيت محمد بمكة، بيت أبي سفيان، ظهر الكعبة.	بيت أبي أيوب الأنصاري، يثرب المدينة، المسجد النبوي، بيت النبي بالمدينة، بدر، سوق بني قينقاع، جبل أحد، شعاب جبل أحد، جبل الرماة، خندق غزوة الأحزاب، حجرة النبي.	بادية بني سعد، الشام، أرض الحبشة، الطائف، بيت المقدس، السماوات العلى، غار ثور، قباء، أذرعاء الشام، حمراء الأسد، الحديبية، وادي حنين، تبوك.

جدول رقم (11) يبين أماكن أحداث السيرة النبوية

وما يمكن ملاحظته في توظيف قصص السيرة النبوية للكتاب للأطفال بالجزائر للأمكنة الواقعية، هو تباين الكتاب في إضفاء صفة الوضوح عليها.

ذلك أن من الكتاب من يشير إلى المكان باعتبار ساكنه، فلا يعرف القارئ طبيعته، ولا مواصفاته، ومن ذلك إلياس بن ساعد في "السيرة النبوية الشريفة"، حين تناول اتماس عبد المطلب مرضعة من بني سعد لحفيده: "فالتمس عبد المطلب لرسول الله مرضعة من بني سعد، تسمى حليلة بنت أبي ذؤيب، لقد رأت هذه الأخيرة بمقدم هذا الصبي الصغير عجائب أذهلتها.."¹.

بينما لو تأملنا المكان في قصة "نبي الله محمد" لقندوزي كمال فإننا سنجد واضحا، "ولما لم تحصل (حليلة) على رضيع غني أخذت محمدا اليتيم الفقير إلى قريتها بالبادية"².

ب — حيز مكاني شبه واقعي، له وجود جغرافي غير معلوم، فهو مكان موجود في كل بيئة، بحيث نجد من القصص ما تورد أمكنة عديدة، لا يرد لها اسم معين تعرف به، مع تسليمنا بوجودها الجغرافي، كالجبال والأودية والأنهار.

وقد استعملت غالب قصص السيرة هذا النوع من الأمكنة، لكن حضوره كان قليلا، متمثلا في طرق، وسما، وبيوت وديار، وكان ذلك عاملا إيجابيا في تفادي الغموض على الأحداث، وربما واقعية السيرة النبوية فرض على الكتاب عدم الإكثار منه.

ج — حيز مكاني غيبي، ليس له وجود جغرافي مشاهد، ويتعلق الأمر بالجنة والنار، والسماء الأولى والثانية إلى السابعة، وسدرة المنتهى، فقد كان لهذه الأمكنة حضورا مرتبطا بواقعة الإسراء والمعراج على وجه الخصوص.

ولم يتناول قصص السيرة هذا النوع من الأمكنة بالتفصيل اللازم، إلا ما كان من سلسلة "قصص من السيرة للفتيان والفتيات" أحمد ناصر بوحمام¹، بينما بقية قصص الملونة أشارت إليها باختصار وإجمال، وذلك لأسباب منها:

1- إلياس بن ساعد، السيرة النبوية الشريفة، دار السجلات، الجزائر.

2- كمال قندوزي، نبي الله محمد، ص4.

أن سلسلة "قصص من السيرة"² موجهة لمرحلة المراهقة، والتفصيل الذي التزمت به كان مناسباً لها، بينما بقية قصص الملونة منها ما يتناسب مع الطفولة للتأخرة، ومنها مع للتوسطة، وهي مراحل لا يفيد فيها التفصيل في هذه الأماكن الغيبية.

بينما نجد "حياة الرسول" لجماعة من رجال التعليم³، لم تتناول هذا النوع لا تفصيلاً ولا إجمالاً، لكونها لم تتناول الواقعة أصلاً، وكذلك الأمر مع "الحبيب للمصطفى مولده وصباه"⁴ لكونها غير معنية به.

— حيز مكاني إيجائي، لا يرد ذكره مباشرة، وإنما ترد قرينة تدل عليه دلالة غير مباشرة، كألفاظ وعبارات توحى بوجوده، وهذا النوع من الأمكنة قليل وروده، فمعظم القصص تهم بذكر الحيز للمكاني، بل وقد تباع في رسمه ووصفه.

وعلى الرغم أن الحيز للمكاني تفرضه الأحداث نفسها، فإن اختياره بدقة يضيف إلى القصة نكهة خاصة، وتشويقاً أكثر، كما يجسد عن طريقه الكاتب للمشاعر والأحاسيس والانفعالات، فبعض الأماكن تثير الطفل بمجرد ذكرها.

وللمكان قد يذكر صراحة، أو يأتي ضمناً إذا ذكر ما يتصل به، ويجب أن توحى القصة بجو هذا المكان، فتعطي القارئ الإحساس به، وذلك مما يقرب القصة من الطفل، ويؤكد جانب الحقيقة فيها، واقتناعه بها.

وعليه فكلما كانت القصة ذات بيئة محددة، وزمان ومكان معروفين كلما كانت أكثر إقناعاً للأطفال، لاسيما إذا كانت هذه للعالم مألوفاً للطفل أو في مستوى إدراكه، بالإضافة إلى أن مكان القصة وزمانها يؤثران في موضوع القصة وأحداثها وشخصياتها.

6. الإخراج الفني:

يقصد بالإخراج الفني الهيئة التي يوجد عليها الكتاب بعد طباعته وتداوله بين الأطفال، وتتضح ملامح هذه الهيئة في: حجم الكتاب، ولون الغلاف، والصور والرسوم للتضمنة فيه، وطريقة كتابة العنوان واسم المؤلف، ودرجة التوازن والتنسيق في الغلاف، والمواد الخام المستخدمة، وتنظيم الكتاب في أبواب، أو فصول أو حلقات، إضافة إلى طريقة العرض وتنظيم العناوين، والتنسيق بين الصور والرسوم والكلمات، ومساحة الكتابة، والفراغات، وتغيير أحجام الحروف ومقاساتها.

فالكلمة للقراءة تلعب في كتاب الطفل دوراً رئيسياً في تشكيل ثقافته، ذلك أن الوسائل المطبوعة التي تقدم للطفل تتمتع بخصائص وإمكانيات لتصوير للعاني وتجسيدها من خلال الكلمة المكتوبة، والصورة والرسم واللون، وهي في طبيعتها كفن تصويري قريبة من الطفل، لكونه يفكر تفكيراً صورياً قبل كل شيء⁵.

والكلمة المطبوعة تقدم للأطفال أيضاً الصور الذهنية والفكرية والوجدانية، وتفسر لهم للعاني التي تتكون في خاطرهم، وترجم لهم التصورات في شكل كلمات أو رموز أو رسوم مطبوعة، لتصبح أخلد وأبقى ألوان المعرفة⁶.

1- محمد ناصر بوحجام، قصص من السيرة للفتيان والفتيات، وزارة الأوقاف، سلطنة عمان، 2007.

2- المرجع نفسه.

3- جماعة من رجال التعليم، حياة الرسول محمد.

4- ساعد العلوي، الحبيب المصطفى: مولده وصباه.

5- ينظر مشهور مصطفى، المسرح العربي في صورة الآخر، مجلة عالم الفكر، الكويت، عدد 1، مجلد 25، سبتمبر 1996.

6- جمال أبو رية، ثقافة الطفل العربي، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص 14.

ويمكن أن يتحقق جانب من عملية التجسيد الفني عن طريق الاستعانة باللغة وحدها، لذا تعد الأعمال الأدبية تجسيدا فنيا للمضامين من خلال اللغة، إلا أن الاستعانة بها دون غيرها غير كاف لإعطاء للضمون صفة الجاذبية والوضوح والقوة، ويرجع ذلك إلى عوامل عديدة، منها ما يتعلق باللغة نفسها، ومنها ما يتعلق بطبيعة الإنسان، فالوصف اللفظي يظل غير دقيق، وفي أحيان أخرى يكون مضللا، ويرجع هذا إلى أن اللغة قدرات خاصة تعجز عن تخطيطها، وتعتبر العناصر للمساعدة للغة عناصر للتجسيد الفني كالألوان والرسوم، حيث تساعد هذه الأخيرة على التصوير بشكل أكثر دقة ووضوحا وتجسيدا.

والتجسيد الفني يتيح للطفل أن يتوحد مع المواقف التي يحملها للضمون، دون أن يشعر بأنه يتلقى مواعظ وتوجيهات وإرشادات ثقيلة أو معلومات جافة، خصوصا وأنه شديد النفرة من كل ما يقدم إليه على تلك الشاكلة.

كما يتيح من جانب آخر للعمليات العقلية للعرفية الأخرى أن تقوم بدورها في استقبال الرسالة وفي فهمها، فالأطفال عند قراءتهم للضمون لفظي تسانده الألوان أو الحركات أو الرسوم يتذكرون خبرات سابقة، ويتخيلون صورا جديدة مركبة، فيكون إدراكهم وفهمهم أكثر دقة.

ولا تشكل عناصر التجسيد أدوات للإيضاح وإبراز للعاني فحسب، بل تعد حوافر تلفت انتباه الطفل، وتثير اهتمامه، وتزرع الاستمرار لديه في استقبال للضمون من خلال ما تضيفه من عناصر التشويق والجاذبية.

وإطلاق الأوصاف عامة من طريق اللغة على معنويات كالشجاعة والتعاون والحب قد يزيد تشويشا في الأذهان، لأن الأوصاف تعطي مدلولات فضفاضة، بينما يقود التجسيد إلى مدلولات خاصة، ويضفي جوا على الموقف أو للمعنى أكثر حيوية وواقعية، وبهذا يتجاوز التجسيد قدرة الكلمات على الوصف¹.

وسنحاول من خلال الوقوف على عناصر التجسيد الفني تبين الخصائص التي تميز بها قصص السيرة النبوية للكتوب للأطفال بالجزائر في هذا المجال:

6. 2- الغلاف:

وهو أول ما يثير انتباه القارئ الصغير، خاصة إذا استوفى شروط الجمال وجاذبية الألوان التي تجعله أكثر إقبالا، إلى جانب الرسومات للمصاحبة له، والتي بمجموعها يتحدد مصير الكتاب، إما أن يقرأ ويعتنى به، أو يهمل ويترك، من هنا كان الاهتمام بالغلاف أمر لا مñas منه، فهو الذي يثير في نفس الطفل حب القراءة وللطاعة، فلا تقتصر مهمة تصميمه على الرسام فحسب، بل يتعداه إلى كاتب القصة ذاته، فهو العارف بما يكتبه للأطفال، ويتكاتفهما يأخذ الغلاف مظهرا مثيرا وجذابا، فقد تناول مظهرها مهما داخل القصة، أو ربما مشهدا مغايرا تماما للمضمون².

1- هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، ص 115.

2- ينظر عبد السلام البقالي، تقنية الكتابة للأطفال، ص 144، 145.

وقد قدر حسن شحاته أن نسبة 33% من الأطفال الذين يترددون على المكتبات للقراءة، إنما تجذبهم بالدرجة الأولى الصور والرسومات الملونة التي تعلو أغلفة الكتب.

فالغلاف الجميل هو الوجه الذي يطل على الأطفال، فسرهم إطلالته، فينجذبون نحوه، وكثير من الأطفال يتقنون كتبهم لجمال أغلفتها¹، وعليه فمن المناسب أن يكون غلاف الكتاب:

- معبرا عن مضمون الكتاب، بمظهر أو صورة، أو جو عام من صميم القصة.

- متناسق الألوان، تثير جاذبية وتشويقا لنظر الأطفال، ومناسبة لجو القصة.

- أن يكون تصميمه مبسطا خاليا من التعقيد، يثير في مجمله شيئا من مكان الطفل، أو يلي شيئا من حاجاته النفسية.

- يراعى أن تكون أغلفتها متينة كي لا تكون عرضة للتلف السريع.

والأمر ذاته متعلق بالصفحات الداخلية، فالطفل سرعان ما سيلقي بالكتاب جانبا إذا لم يجد في صفحاته الداخلية ما يلي له حاجاته في التلوق الفني الجميل، وعليه لابد أن يكون تصميم الصفحات خاليا من التعقيد، وأن تزدان الصفحات بالرسوم المناسبة، التي تزيد في وقع الكلمة المكتوبة، وتمنحها أبعادا جديدة².

وتباين أغلفة قصص السيرة بالجزائر فيما يتعلق بهذه الجوانب، بين من استوفت أغلب هذه الشروط، وبين من بحاجة ملحة إلى إعادة إخراجها من جديد، فالنسبة للمجموعة الأولى نجد سلسلتين يظهر عليهما اهتمام وعناية بتصميم الغلاف، ويتعلق الأمر بسلسلة "حياة النبي" لعبد الحميد توفيق، وسلسلة "قصص من السيرة للفتيان والفتيات" لمحمد ناصر بوحجام، حيث التعبير الواضح عن مضمون السلسلة، إذ نجد في كل حلقة تظهر صورة معبرة عن أبرز حدث، أو تظهر الجو العام للقصة، في بساطة وتناسق ألوان، والجداول التالي يبين نماذج لمظاهر أغلفة هاتين السلسلتين:

القصة	المؤلف	الصورة
بلر الكبرى	عبد الحميد	منظر لميدان معركة بدر مع فارس يحمل راية للمسلمين
غزوة خيبر	توفيق	منظر لحصن خيبر
مؤامرة الأحزاب	توفيق	منظر للخندق ومواقع الجيشين
محمد وإبناء قريش	محمد ناصر	صورة رجل حزين يحمل على رأسه حجر كبير
قريش وإبناء أتابع محمد	بوحجام	صورة رجل موسد وعلى بطنه حجر كبير، عليه أحجار، وبجانبه رجلان يسلم أحدهما للآخر مالا.
أيام صعبة في حياة محمد	بوحجام	صورة شيخ (أبا طالب) مستلق على فراش المرض وحوله زعماء القوم.

جدول رقم (12)، يبين نماذج لمضامين أغلفة قصص المدونة

أما بالنسبة للمجموعة الثانية، فنجد في مقدمتها سلسلة "السيرة النبوية" لعبد الحق سعودي، و"حياة محمد" لجماعة من رجال التعليم.

1- محمد السيد حلاوة، كتب ومكتبات الأطفال، المكتبة المصرية، الاسكندرية، ط2، 2004، ص55.

2- المرجع نفسه، ص55.

إن نجد سلسلة عبد الحق سعودي ورغم استعانتها بالصورة ومناسبتها لكل حلقة، إلا أنها اتسمت في جميع حلقاتها بالغموض، وهذا لعلتين: رداءة نوعية الألوان المستخدمة وعدم مناسبتها، الإبهات والضبابية على الصورة للموضوعة، إلى جانب نوعية الغلاف التي لا تساعد على حياة السلسلة لأطول مدة ممكنة، خصوصا وأنها موجهة لمرحلة (الطفولة للتوسطة) كان يفترض الاهتمام بنوعية الغلاف للموجه إليها يكون بالدرجة الأولى.

أما بالنسبة لـ "حياة الرسول"، فيلاحظ جودة الغلاف من الناحية للمادية، إلا أن الصورة للموضوعة عليه لا تناسب تماما الفئة التي يتوجه إليها، حيث وضعت صورة للمسجد الحرام والكعبة، مكتظة بالناس، في ألوان أشد تعقيدا، إلى جانب مكان كتابة العنوان وحجمه، الذي أضفى على الصورة غموضا وتشويشا.

ويلاحظ الأمر أيضا مع إلياس بن ساعد، وإن كان بصورة أقل حدة، ورغم للمقدرة الفنية التي ظهرت في ثابا أعماله القصصية، إلا أن الصورة التي أظهرتها أغلفة قصصه أضعفت كثيرا عامل الإثارة والإقبال من الأطفال القراء، وذلك لاعتمادها نمطا واحدا في جميع حلقات "من سلسلة غزوات الرسول"، إلى جانب البساطة التي ظهر بها غلاف قصة "السيرة النبوية الشريفة"، في علاقة واهية بمضمون أعماله.

6.3- العنوان:

له أهمية كبيرة، من حيث أنه أول ما يجلب انتباه القارئ نحو القصة، ويشترط فيه أن يكون قصيرا، موجزا، مفهوما ومنسجما للفظ، ذا عبارة محسوسة غير مجردة، قريب الوصف، موافقا للواقع، ودالا على المضمون ونوعه.

وللعرف أن العنوان يقوم بوضعه كاتب القصة، إلا في بعض الحالات الاستثنائية عندما تكون دار النشر تحتوي على الخبراء وللمختصين، حيث يقوم هؤلاء باختيار العناوين المناسبة ووضعها¹.

وإذا تأملنا قصص اللونة من هذا الجانب، نجد الكتاب متفاوتون في مراعاة هذه الخصائص، بين من يولي اهتماما خاصا بصياغته، مراعيًا خصائص المرحلة التي يكتب لها، من خلال اختيار ألفاظ محسوسة تخيل إلى المضمون، وتثير حب للطاعة لدى الطفل.

ومن ذلك "الحبيب المصطفى: مولده وصباه"، في جانب لفظة "الحب" التي يتمنى الطفل سماعها، أو ينتظر من يمنحها له، نجد لفظة "صباه" التي توحى بقرب موضوع القصة إلى نفسه، فهو يعيش مرحلة الصبا بمشاعره وأحاسيسه.

وإذا نظرنا لنوعية خطوطها، وطريقة كتابتها، يأخذنا انطباع نقص للممارسة والخبرة في هذا المجال، إذ نلاحظ أغلب قصص اللونة تلتزم أنماطا خطية موجهة للكبار، تخلو من أحاسيس الطفولة، بينما المشتغلون في هذا الميدان على دراية تامة بوجود خطوط تستميل نفوس الأطفال القراء.

1- ينظر جوليندا أبو نصر، دليل علمي للأسس والمعايير التي يقوم عليها كتاب الطفل في مختلف فئاته العمرية، مجلة نحو خطة قومية لثقافة الطفل، تونس، عدد خاص، 1994، ص 234.

وعن علاقة العناوين بمضامين القصص، نجد من الكتاب من حرص على التدقيق والضبط في هذا المجال، بينما نجد آخرين يضعون عناوين عامة كـ "السيرة النبوية" لعبد الحق سعودي، أو قصة "محمد" لدار البدر، بينما مضامينها تدل على جانب من جوانب السيرة، كخلق من الأخلاق، أو فترة من الحياة، أو واقعة من الوقائع، أو أنها تضم إلى جانب السيرة جوانب أخرى متعلقة بها، وتأتي صياغة العنوان وكأنها تتناول السيرة فقط، ويتعلق الأمر بـ "حياة الرسول" لجماعة من رجال التعليم.

6. 4- حجم القصة:

يتوقف على حسب الفئة للموجهة لها، حيث أن الأطفال في مراحل عمرهم الأولى يحتاجون إلى رسومات كثيرة وخط كبير، لهذا تكون القصة للموجهة إليهم ذات حجم مناسب، وتريد مساحة الكتابة على حساب للمساحة المخصصة للرسومات، ويقل حجم الحروف كلما تقدم عمر الطفل، وكذلك الأمر بالنسبة لسماك القصة الذي يتوقف على نوعية الورق المستعمل وعدد الصفحات¹. ومن خلال الجدول التالي نتعرف على نماذج من أحجام قصص اللونة، ومقاساتها:

القصة	المؤلف	عدد الصفحات	مقاساتها
حياة الرسول	جماعة من رجال التعليم	27	20×26
السيرة النبوية الشريفة	إلياس بن ساعد	32	15×23
قصص من السيرة	محمد ناصر بوحمام	29	15×21
حياة الرسول محمد	سعد الدين دداش	32	15×23
السيرة النبوية	عبد الحق سعودي	21	15×21

جدول رقم (13)، يبين نماذج لأحجام وعدد صفحات قصص المدونة

فمن خلال الجدول يتبين تقارب أحجام قصص اللونة، رغم أنها موجهة لمراحل متفاوتة، وما لم تكن هناك دراسات دقيقة تفيد بنتائج في هذا المجال، فإن الأمر يخضع لاجتهاد الكاتب، ومقدرة القراء.

وما ينبغي التسليم به هو ضرورة خضوع فضاء النص كبقية العناصر إلى قدرات الطفل اللغوية حسب مرحلته، فيكون للمراحل الأولى مثلاً قصيراً جداً، أي جملة أو جملتين في الصفحة، ويترك المجال للرسوم المرافقة، كي تكمل تعميق الفهم وهذا طرداً للملل والتقل.

أما عن طريقة الكتابة ومقاسات الحروف، فإنها تكون بطريقتين: إما مرقونة، وإما مكتوبة بيد خطاط، وهي الطريقة المفضلة والأحسن في كتابة القصص².

1- ينظر أحمد نجيب، أدب الأطفال علم وفن، ص 162.

2- ينظر المرجع نفسه، ص 163.

ويجب أن يتناسب الخط المكتوب به النص مع السن الموجه إليه الكتاب، لأن الخطوط تلعب دوراً مهماً في التشويق بأبنائها المختلفة، إلى جانب وضوح الكلمات وسهولة الحروف التي قد تسهم في حب القراءة لدى الطفل¹.

6.5- استعمال نبرات الكتابة:

من المعروف أن راوي القصة يملك القدرة على التأثير في سامعيه من خلال نبرات صوته، فيخفضه أحياناً ويرفعه أحياناً أخرى ليعبر عن المعنى بصورة صوتية، في حين لا يملك كاتب القصة هذه الخاصية، لأنه يعتمد على الكلمة المطبوعة في نقل أفكاره، وهنا تبرز ما يسمى بنبرات الكتابة، وهي عملية تغيير في طريقة كتابة الكلمات والحروف²، وقد تستعمل المسافات الإضافية أو للمساحات الفارغة بهدف تحريك خيال الطفل، وتنمية قدراته العقلية والذهنية ومحاولة إكمال ما تبقى من الكلام، أو عن طريق تغيير الأماكن التقليدية لبدايات السطور بقصد إبعاد اللئيل عن القارئ الصغير، ولتتمكن من توزيع كامل نظره على مساحة الكتاب، وبالتالي ربط انتباهه واهتمامه في متابعة أحداث القصة، وقد نعتد على تكرار بعض الجمل والكلمات في القصص، إما لتأكيد معنى أو قيمة معينة، وإما لتعميق فكرة ما في نفس الطفل، ولم نعتد في قصص للدونة من قام بمحاولة في هذا المجال، رغم مناسبة مضامينها لمثل هذه النبرات، إذ أنها تساهم بشكل فعال في شد انتباه الأطفال في قراءة القصص وكشف معانيها وأسرارها.

6.6- الرسم والتصوير:

الرسم والتصوير يؤديان دوراً هاماً في قصص الأطفال، وخصوصاً في المراحل الأولى من أعمارهم، وذلك أن "الرسم فن بصري يخاطب العين، عندما يحول الصورة الواقعية للشئدة بمنطق الواقع إلى صورة بصرية يكسب وجودها من منطق آخر، هو منطق الخطوط والألوان والعواطف، كما يفعل الشئء نفسه عندما يحول الصورة الذهنية التي تكمن في معاني الكلام الذي يؤلف النص، وفي الحالتين فهي قبل أن تكون محاكاة للواقع أو تسجيلاً له، أو شرحاً مفصلاً للنص، أو وسيلة لإيضاحه، إنما في الحالتين تعبير يتعلق بذلك النشاط الإنساني عند الفنان والطفل، وهو الإحساس بالجمال واكتشافه ثم الاستمتاع به والتعبير عنه"³.

ويكمن دور الرسومات في توضيح الكلمات، وأي تشويه لها يولد انعكاساً سيئاً في نفس الطفل، إلا أن ذلك يمكن تجاوزه إذا وجد الرسام الكفاء للمهم بما وقع تعييه في النص، فتكون الرسوم آنذاك مكملّة ومثريّة له.

وتعد الصور والرسوم أوعية تعبير ذات أهمية كبيرة بالنسبة إلى الأطفال، فهم يعبرون عن أنفسهم بالرسوم منذ عمر مبكر، كما أنهم يستقبلون التعبير من خلالها، ويعنون بكثير من تفصيلاتها، وتنطبع في أذهانهم الصورة للوحية، وتشير دراسات عديدة إلى أن الرسم أو الصورة أكثر إقناعاً من الكلمة في كثير من الأحيان، لذا فإن وجود الصورة أو الرسم أدعى إلى الإقناع والتصديق⁴.

1- أحمد نجيب، أدب الأطفال علم وفن، ص 221.

2- ينظر المرجع نفسه، ص 219.

3- محمد نذير نبعة، ملاحظات حول دور الرسم في كتب الأطفال، مجلة الحياة الثقافية، تونس، عدد 40، 1986، ص 121.

4- هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، ص 121.

وتعطي الرسومات الكتاب جمالا ورونقا خاصا يجب الطفل في المطالعة والقراءة، وهذا شرط استيفائها للمواصفات الفنية المطلوبة، والتي اجتهد النقاد في تحديدها بناء على تقديرات نسبية، لا تزال بحاجة إلى دراسات ميدانية، تحيل إلى نتائج أكثر دقة ووضوحا، وتمثلت هذه للمواصفات في¹:

- التوافق مع النص للكتاب من حيث موقعها على الصفحة، وتطابقها مع التفاصيل المذكورة في القصة.
- التناسب مع جو القصة من حيث الألوان ودلالاتها.
- تحري السهولة والوضوح والبساطة، وتقادي التعقيد وازدحام التفاصيل على الصفحة الواحدة، بشكل مزعج يؤدي إلى تعذر قراءة النص.

- إضفاء الخطوط حياة وحركة على الشخصيات، بحيث تسهم في إبراز تعابير الوجه واتجاه الأنظار.
- وصف الأشياء على حقيقتها في الشكل واللون والحجم، وإبراز الفكرة الأساسية.
- الترام نمط موحد خلال القصة بأكملها.
- الحرص على تنوع المشاهد، فلا تأتي على وثيرة واحدة.

وعلى هذا فإن الصور والرسومات تلعب دورا تعبيرا بالغ الأهمية في القصص للكتاب للأطفال، فأدب الأطفال تناغم بين الكلمة والصورة، وهذا ما يميزه عن أدب الكبار، ومن الخطأ الاعتقاد أن الرسم يكمل النص للكتاب، بحيث يمكن الاستغناء عنه، فللرسم في قصص الأطفال وظائف كثيرة، منها:

- منح الطفل فرصة أكبر لفهم القصة، "الصورة المستخدمة ليست لتزين الكتاب، وليست تكملة إضافية له، بل إن دورها ووظيفتها للنوطة بها أن تضيف إلى القصة ما يحرك القدرة على الفهم"².
- مساهمتها في تربية الذوق الجمالي والفني للطفل وتنميته.
- إدخال الخصوبة والتنوع في حياة الطفل، وتنفيسه من التوتر الانفعالي أثناء قراءته للقصة.
- تنمية الخيال والقدرات الابتكارية للطفل³.

وحتى يحقق الرسام هذه الأهداف وتلك الوظائف ينبغي عليه أن يقرأ مخطوطة القصة جيدا، ويفهمها ويتنقها، وقد يناقشها مع الكاتب لاختيار المشاهد التي ينبغي رسمها، وعدد اللوحات التي تضمها القصة، ومن هنا يتبين أن قصص الأطفال عمل جماعي يبدأ بالقاص ثم الرسام وأخيرا الناشر، فالرسام شريك الكاتب وهما معا شريكا الناشر، وأي خلل يحدث في هذه الدائرة يؤدي حتما إلى آثار سلبية، ككراهية الطفل الكتاب، ونفوره من القصة.

ومن خلال تبنا لهذا الجانب في قصص السيرة النبوية للكتاب للأطفال بالجزائر أمكن تصنيفها إلى أربع مجموعات:

1- جوليندا أبو نصر، دليل علمي للأسس والمعايير ..، ص234.
2- ذكاء الحر، الطفل العربي وثقافة المجتمع، ص149.
3- ينظر سعيد أحمد حسن، ثقافة الأطفال واقع وطموح، مؤسسة المعارف، بيروت، 1995، ص104.

- الصنف الأول أولى اهتماما بارزا بهذا الجانب، إذ حاول متابعة الأحداث والوقائع الهامة، برسوم وصور وخرائط توضيحية معبرة، وأحيانا مكملتها للكتابة، مراعى في ذلك تناسق الألوان، وتناسبها مع مضامينها الكتابية، بحيث لو استغنى عنها العمل فإن النقص سيغتره، ومثل هذه المجموعة عمليين من بقية أعمال اللوحة، هما: "حياة النبي" لعبد الحميد توفيق، و"قصص من السيرة للفتيان والفتيات" لعبد الحميد توفيق.

- الصنف الثاني: اهتم بالرسم، لكنه يفتقد للنوعية المطلوبة، ذلك أنه يظهر وكأنه رسومات ارتجالية سريعة، تظهر من خلالها إشارات خاطفة للمضمون، من دون استعانة بالألوان، وأحيانا تفتقد للدقة في أماكن وضعها على الصفحات، أو في للقدرة التصويرية، ويتعلق الأمر هنا بسلسلة "السيرة النبوية" لعبد الحق سعودي، حيث نجد مثلا رسما لـ "البراق" في حادثة الإسراء وللجراح يوحى بالخوف والاضطراب، إذ صور في شكل حصان يطير بجناحين، ذو قسمات مفزعة ومرعبة¹، ومرد ذلك النقص في هذا الصنف أحد أمرين: إما لاعتبارات تجارية، وإما لعدم اقتناع أصحابها بأهمية الرسم.

- الصنف الثالث: لم يهتم بالصور والرسوم، فقدم قصصا مكتوبة فقط، أو ربما حاول أن يعوض ذلك بخلفيات ملونة، تظهر خلف الكتابة، ويتعلق الأمر بـ "الحبيب للمصطفى مولده وصابه"، وقصة "محمد"، إذ حاولت هاتين القصتين رسم خلفيات ملونة، لكنها لم تؤد وظيفة متعلقة بالمضمون، إلا من الناحية الجمالية، بينما "السيرة النبوية الشريفة" لإلياس بن ساعد، و"نبي الله محمد" لساعد العلوي، و"حياة الرسول محمد" لكمال قندوزي، و"حياة الرسول محمد" لجماعة من رجال التعليم، لم تعر لهذا الجانب أي اهتمام.

ومهما يكن يبقى الاهتمام بالرسم والعناية به مؤثر على نجاح المنتج، ويعد هو كذلك "دليلا على تقدم الأمم وارتقاء النوق الحضاري فيها، وهو في الوقت نفسه وسيلة هامة للتعبير عن الذات، وتوضيح للعاني بجلال².

وعليه فالرسوم في كتب الأطفال ليست "وسائل إيضاح بقدر ما هي لمسات فنية أخرى تضيف على النص الأدبي قوة تعبير وجاذبية"³، ذلك أنما قد يكون لها أحيانا تأثير يفوق تأثير الكلمات والجمل، إذ تتحول كتب الأطفال بفضل ما تحويه من صور ورسوم مناسبة إلى مادة مطبوعة نابضة بالحياة والجدية، فيتحول قصة الطفل إلى لوحات فنية ذات جمال ومعنى يناسب قدرات الأطفال على استخدام أعينهم، ويسر لهم القراءة، وينمي قابليتهم على التلويح الفني، ويساعدهم على تكوين صورة ذهنية إيجابية، وفي هذه القصص نرى وحدة فنية متكاملة، متوازنة تيسر للطفل الجمع بين الكلمات والمساحات اللونية والصور والعناوين دون تعثر أو ملل، وتوصل إليه للمضمون للطروح متاعما متجانسا.

إن اعتماد الرسم في القصص أمر أساسي، لا يؤلف عنصرا إخراجيا فحسب، بل هو مادة أدبية وفنية، لها قيمة جمالية وثقافية، فقد يؤثر الرسم سلبا على النص، وقد يحقق الغرض المرجو منه.

1- عبد الحق سعودي، السيرة النبوية، الحلقة السادسة، ص4.

2- عبد المجيد عبد الرحيم، قواعد التربية والتدريس في الحضانة ورياض الأطفال، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1985.

3- محمد السيد حلاوة، كتب ومكتبات الأطفال، ص56.

ينبغي استعمال الصور المحسدة في أدب الطفل، مع أننا نعرف مسبقاً بالتكلفة الباهضة لهذه الأعمال إنجازاً وبيعاً، إلا أن فائدتها التخيلية لا تقدر بثمن، إذ تزرع في ذهن التلقي القدرة على تخيل المعاني وتجسيدها¹.

-الفرق بين القصص المصورة والقصص المرسومة:

تحفل قصص الأطفال غالباً بالرسوم، وهي على الأرجح تكون ملونة من أجل أن تجذبهم إليها، لكن هناك فارقاً كبيراً وأساسياً بين القصص المرسومة والقصص المصورة، على الرغم من اشتراكهما في صفة واحدة، إذ كليهما به رسوم. فقصص الأطفال المرسومة قد تكون للتوضيح والترين لروعة جمالها، غير أن دورها قاصر على "أن يصور مواقف معينة، ويفتح عيون الأطفال على أبطال العمل وشخصياته، ويعرفهم بهم، ويقدمهم إليهم، والتركيز في هذا اللون من القصص يكون على الكلمات التي تتكفل بالجانب الأكبر من المهمة التي تستهدفها القصة، إنه للقراءة، ودور الرسوم سلبى"².

أما القصص المصورة "فالكلمات مضفرة مع الصورة، والرسوم ملتحمة عضوياً مع النص، وتصفح عيون الأطفال لكي تثير مشاعرهم وانفعالاتهم، وتضيف جديداً للكلمات، وتشكل لها بعداً إضافياً.. إن الجمل والعبارات قد تكون ناقصة ومبتورة لتكملها الرسوم، فلا انفصال ولا انفصام ما بين الكلمة والرسوم، وجانب منهما لا يكفي للفهم والاستيعاب والتأثر، وقراءة النص وحده يحس معه القارئ بنقص حاد، ومشاهدة الصور متتابعة لا تفيد كثيراً، إذ لا سبيل لزاء القصص للصورة غير القراءة للمكتوب وللرسوم معاً"³.

فالكلمات إذا قرئت من دون الرسوم والصور فإنها لا تفهم، ولا تشكل وحدها عملاً متكاملًا، بل لابد لها منها، لأنهما معاً يشكلان العمل فنياً، "إذ الكتاب للمصور لابد أن تتضافر فيه الكلمة مع الصورة، والكلمات فيه دائماً قليلة، وهي في الغالب إطار العمل، بمثابة هيكل عظمي، تكمل الصورة فيه اللحم والدم لتدب فيه الحياة، وينمو ويكبر ويتسع ويعمق".

وبناء على هذا فإن دور الصور في هذا النوع من القصص يتجلى في الجوانب التالية:

رسم الشخصيات ووضعها في مواقفها، معبرة عن مشاعرهم وانفعالاتهم، بحيث يكون ذلك بديلاً عن الوصف بالكلمات، بل يمكنها أن تتجاوز ذلك إلى الحالة النفسية لهذه الشخصيات، كاشفة لنا أعماقها، فتوضح أسباب سلوكها وتصرفاتها، بطريقة لا يسهل على الكلمات أن تقوم بها أو تؤديها.

-الكشف عن الجو الذي تعيش فيه، وللمكان الذي توجد به، والبيئة التي تحيط بها..

-تحديد العصر والزمن الذي تحياه، من خلال الثياب التي ترتديها، والطرز للعماري للبيوت واللباني، فالصور تجسد ما لا تستطيع العبارات أن تفعله.

1- محمد نذير نبعة، ملاحظات حول دور الرسم في كتب الأطفال، ص 119. وينظر رضا دحمان، رسوم الأطفال بين النص القصصي والواقع الاجتماعي، الحياة الثقافية، تونس، عدد 40، سنة 1986، ص 121.
2- ينظر عبد التواب يوسف، تنمية ثقافة الطفل، دار الفكر، دمشق، 2001، ص 108.
3- المرجع نفسه، ص 108.

وما أخرجنا اليوم إلى كتاب وفنانين يدرسون أساليب القصص للصورة، "وهي ليست لسن ما قبل المدرسة فحسب، بل إن بعضها يتجاوزها إلى أعمار أكبر، ومراحل سنّية أعلى"¹.

تقول الفنانة مارسيا براون محددة ملامح الصورة القصة للصورة للتميزة: "الصورة التي في الذهن هي التي تحسب ويعتد بها، وتصنعها عناصر الإشارة والحركة، واللون والرمز، نفس عناصر القول والحكي"².

وإذا حاولنا تصنيف قصص السيرة النبوية للأطفال بالجزائر، فمن استعان كتابها بالرسم والتصوير، وفق هذا التمييز فإنه يمكن القول أنها جميعا تنتمي إلى فئة القصص المرسومة، ذلك أنها استعانت بالكلمة في تشكيل بنيتها العامة، ثم منحت للرسام ليضيف عليها ما به الحاجة إلى التوضيح والتبيين.

وليس هذا أمرا محصورا في التجربة الجزائرية، ذلك أننا ومن خلال تتبعنا لما يقارب من ثلاثين قصة من قصص السيرة النبوية للأطفال في البلاد العربية، لم نثر على أي تجربة حاولت النسخ على مفهوم القصة للصورة للتقدم.

إننا نتطلع بحق إلى قصص متميزة للأطفال، مرسومة ومصورة، ولن يتحقق ذلك إلا بالتعاون بين الكتاب والمؤلفين من جانب، والرسامين والمخرجين والمصممين من جانب آخر، بالإضافة إلى الناشرين والطابعين.

صناعة الكتاب أصبحت "ضغيرة من كل هذا، وما من سبيل إلى التميز من الكتب إلا بالتعاون هؤلاء معا، دون أن نغفل عن اختصاصي للكتبات وأمانتها، وأيضا رجال الأعمال، ودور النشر، إذ إن لكل واحد من هؤلاء دورا يجب أن يؤديه، ومهمة خاصة تقع على عاتقه"³.

6. 7- الألوان:

تعد الألوان عنصرا مهما من عناصر التجسيد الفني، لما لها من تأثيرات نفسية كان الإنسان قد أدركها قبل أن يجري العلماء بحوثا في هذا المجال، حيث تبين تأثيرها في جذب الانتباه والتوجيه والإثارة.

وهي بمثابة القلب النابض للرسومات، فهي مكملتها وتمنحها الحياة والحيوية، واستخدامها يتوقف على طبيعة الموضوع، فتستخدم الألوان القائمة والداكنة للدلالة على الاكتئاب، والألوان الفاتحة للدلالة على الفرح والانشراح، كاللون الأخضر الذي يبعث على التفاؤل والأمل والسلام، ودلالة هذه الألوان تبقى دائما مرتبطة بالحالة النفسية للقارئ أو المؤلف في بعض الأحيان⁴.

وقد أجريت تجارب عديدة على عينات من الأطفال، حيث أعطيت لهم أقلام مختلفة الأصباغ وطلب منهم تكوين رسوم تعبر عن مواقف وحكايات حزنة وأخرى مفرحة، وثالثة مخيفة، وقد لوحظ أن الأطفال ميالون في الغالب إلى استخدام ألوان معينة

1- عبد التواب يوسف، تنمية ثقافة الطفل، ص108.

2- المرجع نفسه، ص110.

3- المرجع نفسه، ص112.

4- عدنان عباس فضلي، الألوان: ما هي تأثيراتها النفسية؟ هل يمكن فرز الحالة المزاجية للفرد تبعا للألوان؟، مجلة الأم والطفل، جمعية الهلال الأحمر، العراق، عدد 393، 1979، ص2، 3.

للمواقف الانفعالية المختلفة، وأن ميولهم تختلف باختلاف مستوى النمو، وبالظروف النفسية للطفل، كما تختلف باختلاف جنس الطفل ذكرًا كان أو أنثى.

وذهب بعض علماء النفس وخصوصاً أولئك الذين ينحون منحى مدرسة التحليل النفسي، إلى تأكيد أهمية الألوان في النفس، كونها تساعد على تقديم الأشكال بطريقة مؤثرة، نظراً لاتصال اللون بالحس، خصوصاً وأن الإدراك البصري يقوم على وقوع اللوحات الضوئية على العين.

وتلعب الألوان دوراً مهماً في تحقيق الانسجام والتوازن في الأشكال في عين الطفل، وفي كسب انتباهه، وإرضاء ميله نحو ألوان معينة¹، لذا فإنه الضروري مراعاة تناسبها مع مراحل الأطفال وبيئاتهم وحياتهم الاجتماعية، إضافة إلى تناسق الألوان ذاتها².

وقصص السيرة النبوية للأطفال بالجزائر إزاء هذه المسألة على تباين واختلاف:

إذ هناك من اعتنى بها، وأدرك أهميتها، فحسدها على غلاف القصة، وفي ثناياها من خلال رسوماتها، ومن هذه القصص نجد سلسلة "حياة محمد" لعبد الحميد توفيق، حيث استخدمت الألوان وأحسنست في ذلك، وهذا من خلال انسجام نوع اللون مع الجو العام للموقف، فحيثما حل الليل والظلام، أو الحزن وللصية يستعمل ألوان داكنة قائمة، وحيثما كان الانتصار والفرح، يصبغ الجو بألوان زاهية فاتحة.

كذلك الأمر مع سلسلة "قصص من السيرة للفتيان والفتيات" لمحمد ناصر بوحجام، حيث ركز في استخدام الألوان على إظهار الشخصيات والأشياء، فكان لها دوراً حيوياً، إلا أنها لم تضيف اللون على الجو العام، على غرار ما وجدناه في السلسلة السابقة. وهناك من اقتصر على الغلاف دون الصفحات الداخلية، لعدم استعانتها بالرسوم، وأغلب قصص اللوحة التزمت هذا النوع. أما فيما يتعلق بإهمال هذا الجانب أصلاً، فقد وقعت فيه سلسلة "السيرة النبوية" لعبد الحق سعودي، فلم تظهر الألوان لا على الغلاف ولا على القصة.

6. 8- الضبط والترقيم:

الكتاب يبقى في كل زمان ومكان الوسيلة الأكثر أهمية لتعليم الناس وتثقيفهم، كما يقول الباحث الأمريكي برونو بتلهم (Bruno Bethlheim): "إن التلفزيون يأسر الخيال لكنه لا يجرده، أما الكتاب الجيد فإنه ينبه ذهنه ويجرده في الوقت ذاته"³. فعلى الكاتب الحرص على ضبط قصته ضبطاً شبيهاً كاملاً، وبخاصة في الصفوف الأولى من المرحلة الابتدائية، فلا تغفل منه إلا حروف للعاني، وبعض الحروف الساكنة.

إن الحركات التي تغفل رسمها في القصة الموجهة للأطفال هي حروف متممة للكلمات، وقد أهملت كثيراً حتى ظننها بعض المعاصرين قيماً صوتية ثانوية، فتساحوا فيها بالحذف والتغيير والتشويه، إنها في أول الكلمة ووسطها وآخرها حروف كاملة،

1- هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، ص 116.

2- محمد السيد حلاوة، كتب ومكتبات الأطفال، ص 56.

3- ماري وين، الأطفال والإدمان التلفزيوني، تر: عبد الفتاح الصبحي، الكويت، (د.ت)، ص 73.

تسهم في تأدية اللحن وتحديدده، فإن لم تعط حقها في القراءة والكلام والتفكير فسد للحن، أو دخله الاختلال والسطحية، فلا بد من إثبات كل رمز صوتي يساعد على ضبط الكلمة، حركة كان أم همزة أم تضعيفا أم تنوينا، وإذا أضفنا إلى هذا علامات الترقيم، فوضعنا كلا منها في المكان المناسب بعناية ودقة، قدمنا للقارئ وبخاصة القارئ الصغير خدمة ناجعة، تساعد على فهم للحن، وتعلم اللفظ السليم في القراءة والتعبير، فإذا هو يعطي كل حرف حقه من الصوت، وكل كلمة وجملته وعبارة حقها من الأصوات والنبرات والأداء¹.

والجدول التالي يبين مدى اهتمام كتاب قصص السيرة بهذا الجانب:

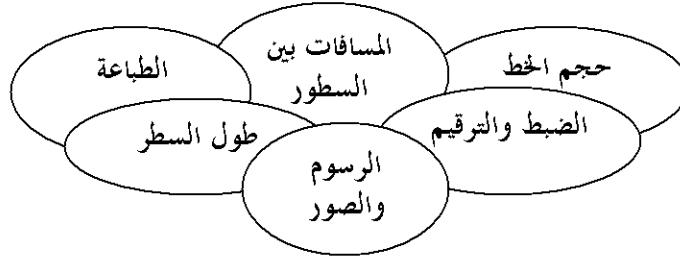
الضبط	القصة	المؤلف
قصص مضبوطة	الحبيب المصطفى: مولده وصباه	ساعد العلوي
	قصص من السيرة للفتيان والفتيات	محمد ناصر بوحجام
	سلسلة حياة محمد	عبد الحميد توفيق
	سلسلة من غزوات الرسول	إلياس بن ساعد
	السيرة النبوية الشريفة	إلياس بن ساعد
	نبي الله محمد	قندوزي كمال
	حياة الرسول محمد	جماعة من رجال التعليم
	حياة الرسول محمد	سعد الدين دداس
قصص مضبوطة أحيانا	قصة محمد	مجهولة المؤلف
	السيرة النبوية	عبد الحق سعودي
قصص غير مضبوطة	الرجل العاصي	إياد عيساوي
	محمد رسول الله	محمد بوزواوي
	أنصر نبيك	مجهولة المؤلف

جدول رقم (14) يبين الضبط والترقيم في قصص المدونة

6. 9-الخلاصة:

إن معرفة الكاتب كل ما يحيط بعمليات الإخراج الفني للكتاب، من خبرات ومعلومات هي من الأمور الهامة التي يجدر به أن يعبرها قدرا من اهتمامه، فهو أولى الناس بقصته، ذلك أنه عايشها فكرة غامضة، ثم نبذة صغيرة نما بها يرفق وأناة وجهد متصل، حتى ترعرعت وازدهرت، ولذلك فهو أكثر الناس إحساسا بها، ومن ثم فهو أقدرهم على إخراجها إخراجا فييا إذا توفر لديه الاستعداد الفني اللازم لهذا العمل، والشكل التالي يبين العناصر التي ينبغي انتظامها في نسق معين، حتى يرتدي الكتاب ثوبا فييا:

1- فخر الدين قباوة، المهارات اللغوية وعروبة اللسان، بحوث ودراسات في علوم اللغة والأدب، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1999، ص 132.



العوامل التي تتداخل في عملية الإخراج الفني

إن كتابة نص ناجح للطفل وبخاصة في المراحل العمرية الأولى لا يعرف مدى صعوبته إلا الذين جربوا ذلك بذمة وأمانة، وما أروع أولئك الكتاب الذين اعتدوا عن الكتابة للطفل معلنين صراحة أنهم لا يتقنون ذلك.

ومشكلة كتاب الطفل بالجزائر يمكن تلخيصها في غياب الجهات الثقافية الرسمية وللمدنية عن دعمه مادياً، سواء بإنتاجه أم بشرائه من كاتبه أم الجهة الناشرة، فهذه الظروف وضعت الكاتب الجيد في مواقف حرجة، فعليه أن يكون محظوظاً أربع مرات قبل أن يصل كتابه إلى القارئ الصغير: مرة عندما يرضى عنه الناشر فيوفر له رسماً جيداً، ومرة عندما يوافق للوزعون على توزيعه، ومرة أخرى عندما يرضى عنه الأب ويوافق على شراء كتابه لابنه، ومرة وهي الأهم عندما تقتني الكتاب الجهات الثقافية.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث الذي تناولنا فيه قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال بالجزائر، نستطيع أن نستخلص بعض النتائج التي توصلنا إليها وهي:

- تعد كتابة قصص السيرة النبوية للأطفال بالجزائر فن حديث النشأة، لم تظهر في شكلها الواضح إلا مع مطلع القرن الواحد والعشرين، عندما شرع بعض الكتاب في خوض غمار هذه التجربة، ولم نثر قبل ذلك على ما توفر في أيدينا من نماذج إلا عمل واحد تمثل في "السيرة النبوية" لعبد الحق سعودي. على ما فيه من نقائص فنية، إذ يكفيه شرفاً أنه اقتحم هذا المجال الذي ظل حكراً على ما يفد إلى الجزائر من الأقطار العربية، كسلسلة "من حياة الرسول" لكامل كيلاني، و"السيرة النبوية في قصص" لسيف الدين الكاتب.

- يغلب على قصص اللبونة السرد التاريخي في تناول السيرة النبوية، مما أوجد تشابهاً في للموضوعات وطرق التناول، أدى بعضها إلى الوقوع في قصص التقليد والاحترار، بينما يمكن أن تصاغ منها إبداعات أدبية رائعة، إذا وجدت الكاتب للبداع، الذي يستوعب تفاصيلها، ويكون على دراية بخصائص الطفولة وحاجاتها، وإطلاع على ما يكتب هنا أو هناك مما يثير إقبال الأطفال القراء. ذلك لأن الأدب عموماً ليس تسجيلاً للحياة بقدر ما هو تجسيد فني لحياة الإنسان، وما يرتبط به من آمال وآلام، وأخطار ومشكلات¹.

- توظيف الحيوان كظاهرة فنية في قصص الأطفال، وخصوصية نفسية مرتبطة بحركة الطفولة، لم تجد صداها في قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال بالجزائر، رغم زخم الإمكانيات وفرص التشكيل الفني المتاحة، بينما وجدنا من الكتاب غير الجزائريين من أولى اهتماماً بهذا الجانب، فسج قصصاً من السيرة على أسنة الحيوانات، نذكر على سبيل المثال: "حياة محمد في عشرين قصة" لعبد التواب يوسف، و"رسولنا الحبيب بالأسنة للموجودات" التي تولت دار إشق بأسطنبول التركية طباعتها.

- اعتناء قصص اللبونة بالمصادر التي تستقي منها مادتها الحكائية من حيث التعدد والطريقة كان متبايناً، فبينما نجد البعض يظهر عليه التنوع والثراء، من خلال استعانةه بآيات القرآن الكريم، وروايات كتب السنة وأمهات كتب السيرة، نجد البعض الآخر يعتمد على مصدر أو مصدرين، وهناك من حاول الاستعانة بالشعر الموجه للأطفال، فقدم بذلك سيرة نبوية من خلال أناشيد ممتعة للأطفال، ويتعلق الأمر بـ "الحبيب للمصطفى: مولده وصباه" لساعد العلوي.

كما يختلف الكتاب في طريقة التوظيف، بين من يحيل إلى المصادر التي اعتمد عليها في بناء القصة إجمالاً في المقدمة أو للملاحق، وبين من يكفي بالإحالة إلى هذه المصادر في ثانياً القصة، لما تذكر الواقعة، فيشير إلى مصدرها مباشرة، وهناك فريق ثالث لم يول اهتماماً بتوثيق مادته الحكائية، وإنما تستشف من خلال سياقها ونصوصها.

1- هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، ص184.

- تناول كتاب قصص السيرة لل موضوعات التي تندرج ضمن الخصوصية النبوية، كالبثوة والوحي وللعجزة، كل حسب اجتهاده، فهناك من تعامل معها كسائر وقائع السيرة النبوية، وهناك من حاول مراعاة للسألة من جهة وخصوصية للتلقي من جهة أخرى، فاجتهد في التبسيط والتوضيح، بينما نجد من الكتاب من جاوزها، وتعامل مع بقية الموضوعات الأخرى، وتبقى هذه القضية بحاجة إلى بحوث ودراسات مستقلة، تتناول للموضوع ضمن دائرته الكبرى، للتعلاقة بالأنبياء والرسل عامة.

- أغفل معظم كتاب قصص السيرة النبوية للأطفال بالجزائر الإشارة إلى الفئة العمرية التي تتوجه لها أعمالهم، وهو ما يسمى في أدب الأطفال بظاهرة التقنين، حيث لم نعثر إلا على تجربة واحدة وجهت لفئة معينة هي: سلسلة "قصص من السيرة للفتيان والفتيات" لمحمد ناصر بوحجام، ومعلوم أن الفتوة مرحلة عمرية لها ما يميزها عن غيرها من مراحل الطفولة، فهذه الأخيرة تستغرق مدة عمرية طويلة، يمر فيها الإنسان بتغيرات متسارعة في مختلف جوانبه النفسية والإدراكية وللعرفية.. الخ، وكان جديرا بالكتاب أن يوجه قصته إلى فئة معينة، ويشير إلى ذلك، حتى نضمن نظرة إيجابية لفعل القراءة خلال فترات الطفولة.

- تبني أغلب قصص السيرة النبوية للكتاب للأطفال بالجزائر بساطة اللغة ووضوحها، إلى جانب مناسبة قاموسها للفئات العمرية للوجهة إليها، وساعد على ذلك للنهج التاريخي الذي اعتمد عليه غالبية الكتاب، بعيدا عن التصوير البياني واللغة الأدبية الراقية.

- أولت دور الطباعة والنشر في الجزائر اهتماما واضحا بما كتبه الأدباء العرب من قصص السيرة النبوية للوجهة للأطفال، فقامت بإعادة طبعها ونشرها في الجزائر، نذكر على سبيل المثال: سلسلة "من حياة الرسول" لرائد أدب الأطفال العربي كامل كيلاني¹، وسلسلة "السيرة النبوية في قصص" لسيف الدين الكاتب²، ومرد ذلك أمران: أحدهما الإحساس بشغف الطفل الجزائري نحو قراءة هذا النوع من القصص، وتانيهما احتمال عدم عثورها على من يكتب للأطفال في هذا المجال من الكتاب الجزائريين.

- برز عمليين من مجموع قصص للنونة في خوض تجربة التصوير والرسم، والعناية بجانب الإخراج من جوانبه للتعددية، فأظهرا مقدرة فنية متميزة، تستحق الثمين والتشجيع، وهما: "حياة محمد" لعبد الحميد توفيق، و"قصص من السيرة للفتيان والفتيات" لمحمد ناصر بوحجام، وهما من آخر الأعمال صدورا، وعلى هذا تتفاعل خيرا بانطلاقة جادة وتنوع لتجربة كتابة السيرة النبوية للأطفال بالجزائر، تأخذ على عاتقها تقدم أروع الأعمال إبداعا وفنية من حياة أشرف الخلق محمد.

ومن هنا فإن حياة الرجال والعظماء تبقى مجالا خصبا، يستقي منه الأدباء مادة حكائية، ليسجوا منها روائع فنية، وتاريخ الجزائر والعروبة والإسلام حافل بهذه النماذج، لا يزال ينتظر من الكتاب من يتولى هذه المهمة للمتعة والشاقة عن كفاية واقتدار، وبما يتماشى مع روح العصر ونضه.

1- كامل كيلاني، سلسلة من حياة الرسول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، (د.ت).

2- سيف الدين الكاتب، السيرة النبوية في قصص، دار المعرفة، الجزائر، 1998.

ملاحق البحث:

ملحق رقم (1) يبين القصص غير الجزائرية المتواجدة في الجزائر والفئة التي تناسبها

المؤلف	عنوان القصة	دار الطباعة والنشر	التناسب
محمد حسن أبو دنيا	من صفات المصطفى ﷺ (8 حلقات).	دار الأمل، مصر	المتأخرة
محمد صديق المنشاوي	قصص السيرة النبوية للأطفال (10 حلقات)	دار الفضيلة، مصر	المتوسطة
عبد المنعم الهاشمي	سلسلة بطولات النبي 10 حلقات	دار الإيمان، مصر	المتأخرة
عبد المنعم الهاشمي	السيرة النبوية للأطفال	دار ابن حزم، لبنان	المراهقة
عبد الحميد جودة السحار	قصص السيرة (24 حلقة)	مكتبة مصر، مصر	المتأخرة
مجهولة المؤلف	أصحاب السفينة	الدار العربية للعلوم، لبنان	المتأخرة
مصطفى وهبه	السيرة النبوية للأطفال	دار الغد الجديد، مصر	المراهقة
محمد طاهر بني	السيرة النبوية (16 حلقة)	دار ربيع للنشر، سورية	المتأخرة
ع. السلام محمد علوش	من حكايات الرسول (6 حلقات)	دار الشمال، لبنان	المتوسطة
سمير حلي	مواقف من حياة النبي (6 حلقات)	شركة سفير، القاهرة	المتوسطة
سمير حلي	آية وحكاية (6 حلقات)	شركة سفير، القاهرة	المتأخرة
عبد التواب يوسف	حياة محمد في عشرين قصة	دار الشروق، القاهرة	المتأخرة
قاسم بن مهني	خاتم الأنبياء والرسول (حلقتين)	الإفريقية للإنتاج الفني	المراهقة
محمد عمر الحاجي	أخلاقيات الرسول (10 حلقات)	دار الحافظ، سورية	المتأخرة
محمد عمر الحاجي	سلوكيات الرسول	دار الحافظ، سورية	المتأخرة
محمد زكريا المسعود	السيرة النبوية الميسرة للأطفال والفتيان	دار الحافظ، سورية	المتوسطة

ملحق رقم (2) يبين القصص غير جزائرية التي تولت طبعتها أو إعادة طبعتها دور جزائرية

المؤلف	عنوان القصة	دار الطباعة والنشر	التناسب
خالد أبو جندى	سلسلة غزوات الرسول (11 حلقة)	الزيتونة للإعلام والنشر، باتنة	المتأخرة
مصطفى وهبه	غزوات الرسول للأطفال	دار النجاح للكتاب، الجزائر	المراهقة
محمد بيومي	معجزات النبي للأطفال	دار النجاح للكتاب، الجزائر	المراهقة
عماد الدين شرف	حكايات عن النبي للأطفال	دار رحاب، الجزائر	المراهقة
عوض لطفي الجزر	محال الطفل المسلم	دار الإمام مالك، الجزائر	المتوسطة
محمد حمزة السعداوي	معجزات النبي للأطفال	منشورات ميموني	المتأخرة
كامل كيلاني	من حياة الرسول	م، و، ك الجزائر / الشركة التونسية للتوزيع	المتأخرة
محمد صديق المنشاوي	علموا أولادكم أخلاق الرسول	المكتبة الخضراء، الجزائر	المتأخرة
عبد اللطيف عاشور	السيرة النبوية للأطفال	منشورات ميموني، الجزائر	المتأخرة
عبد اللطيف عاشور	غزوات الرسول للأطفال	دار رحاب، الجزائر	المتأخرة
سيف الدين الكاتب	السيرة النبوية في قصص (7 حلقات)	دار المعرفة، الجزائر	المتأخرة

ملحق رقم (3) يبين تصنيف وايت الملفصل للقيم

مجموعات القيم	القيمة	مجموعات القيم	القيمة
(1) القيم الاجتماعية	1- وحدة الجماعة. 2- الظرف واللطافة. 3- قواعد السلوك. 4- التواضع. 5- المماثلة (التشبه). 6- الكرم والعطاء. 7- التسامح. 8- حب الناس (الجنس الآخر/ الأسرة/ الصداقة).	(5) القيم الترويجية	1- الخبرة الجديدة. 2- الإثارة. 3- الجمال. 4- المرح. 5- التعبير الذاتي المبدع.
(2) القيم الأخلاقية	1- الأخلاق. 2- الصداقة. 3- العدالة. 4- الطاعة. 5- الدين.	(6) قيم تكامل الشخصية	1- التكيف والأمن الانفعالي. 2- السعادة. 3- التحصيل والنجاح. 4- التقدير. 5- اعتبار الذات. 6- السيطرة (التسلط). 7- العدوان. 8- القوة. 9- التصميم. 10- الحرص والانتباه. 11- استقلال الفرد. 12- المظهر.
(3) القيم القومية الوطنية	1- الوطنية. 2- حرية الوطن (استقلاله). 3- وحدة الأقطار الجزاء (عريية - غير عريية).	(7) القيم المعرفية الثقافية	1- المعرفة. 2- الذكاء. 3- الثقافة.
(4) القيم الجسمانية	1- الطعام. 2- الراحة. 3- النشاط. 4- الصحة وسلامة الجسم. 5- الرفاهية. 6- النظافة.	(8) القيم العمالية الاقتصادية	1- العملية (الواقعية). 2- العمل. 3- الاقتصاد. 4- الضمان الاقتصادي. 5- الملكية الاشتراكية.

ملحق رقم (4) يبين تصنيف الدكتور أحمد علي كنعان للقيم المعدل لتصنيف وايت

مجموعة القيم	القيمة	مجموعة القيم	القيمة
(1) القومية الوطنية	1- الوطن (محبة/حرية/الدفاع عنه). 2- الأمة (الاعتزاز بالانتماء إليها/وحدتها). 3- التضحية والفداء (الشهادة). 4- الكفاح (ضد الأعداء): أ. في الداخل: (الإقطاع / البرجوازية/الرجعية). ب. في الخارج:(الاستعمار/الصهيونية/الأمبريالية). 5- التمسك بالتراث التليد (اللغة/التاريخ/الأجداد). 6- التفاؤل بالمستقبل القومي المشرق. 7- قيم أخرى.	1-العلم (أهميته/محبة/ضرورته). 2-الثقافة (ضرورها ومكانتها). 3-الحضارة (التوجه الحضاري). 4- تنمية الذكاء والفكرات العقلية في (الملاحظة والتفكير والمحاكمة والاستدلال). 5- الابتكار والابتداع (تشجيع التفكير والبحث العلمي). 6- حب المطالعة. 7- قيم أخرى.	1-التمسك بالأخلاق الكريمة. 2-الالتزام بالصدق والأمانة والاستقامة والوفاء والإخلاص. 3-التواضع والظرف واللطافة والتأدب. 4-التسامح والعفو والرحمة والرفق. 5-آداب الحديث والسير والتعامل. 6-احترام الكبار والمعلمين والقانون والنظام والعقائد والمفلسات. 7-احترام الدين (إيمان الإنسان بربه عقيدة وممارسة وارتباطا بالمثل). 8-قيم أخرى.
(2) المعرفة والثقافة	1-العلم (أهميته/محبة/ضرورته). 2-الثقافة (ضرورها ومكانتها). 3-الحضارة (التوجه الحضاري). 4- تنمية الذكاء والفكرات العقلية في (الملاحظة والتفكير والمحاكمة والاستدلال). 5- الابتكار والابتداع (تشجيع التفكير والبحث العلمي). 6- حب المطالعة. 7- قيم أخرى.	1-العلم (أهميته/محبة/ضرورته). 2-الثقافة (ضرورها ومكانتها). 3-الحضارة (التوجه الحضاري). 4- تنمية الذكاء والفكرات العقلية في (الملاحظة والتفكير والمحاكمة والاستدلال). 5- الابتكار والابتداع (تشجيع التفكير والبحث العلمي). 6- حب المطالعة. 7- قيم أخرى.	1-المرح واللعب. 2-الاستمتاع بالخبرة الجديدة. 3-الإحساس بالجمال الطبيعي والفني وتلقيهما. 4-ممارسة الهوايات الأدبية والفنية. 5-التعبير الذاتي المبدع كالشعر والرسم. 6-حب المغامرة والرحلات. 7- محبة الطبيعة. 8- قيم أخرى.
(3) العملي والواقعي	1- العمل (محبة/ احترامه/ضرورته). 2- العمال (محبتهم/تقديرهم واحترامهم). 3- تنمية المهارات البدنية. 4- تدعيم الإنتاج الوطني وتطوره وحمانيته. 5- ترشيد الاستهلاك. 6- الإتيان. 7- المحافظة على الملكية العامة وحمانياتها. 8- الجد والمثابرة وإتقان العمل. 9- قيم أخرى.	1- العمل (محبة/ احترامه/ضرورته). 2- العمال (محبتهم/تقديرهم واحترامهم). 3- تنمية المهارات البدنية. 4- تدعيم الإنتاج الوطني وتطوره وحمانيته. 5- ترشيد الاستهلاك. 6- الإتيان. 7- المحافظة على الملكية العامة وحمانياتها. 8- الجد والمثابرة وإتقان العمل. 9- قيم أخرى.	1-الطعام (أهميته وآدابه ونظامه). 2-النظافة. 3-الوقاية. 4-العلاج والتداوي (الاحتكام إلى الطبيب). 5-الحفاظ على الجسم بالتغذية السليمة، وحمانيته مما يضره. 6-الحفاظ على البيئة (نظافتها وازدهارها). 7- قيم أخرى.
(4) الاجتماعية	1- محبة الناس الآخرين واحترامهم ومساعدتهم. 2- محبة أهل واحترامهم وتقديرهم. 3- التعاون وتنمية الروح الجماعية/4- الكرم والعطاء. 5- المصلحة الجماعية (تقاسم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة). 6- حب الإنثار (تجنب الأثرة وحب الذات والسلطوية والطمع والاستغلال). 7- الصداقة/8- قيم أخرى.	1- محبة الناس الآخرين واحترامهم ومساعدتهم. 2- محبة أهل واحترامهم وتقديرهم. 3- التعاون وتنمية الروح الجماعية/4- الكرم والعطاء. 5- المصلحة الجماعية (تقاسم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة). 6- حب الإنثار (تجنب الأثرة وحب الذات والسلطوية والطمع والاستغلال). 7- الصداقة/8- قيم أخرى.	1-الحفاظ على بنية الجسم ورشاقته. 2-القوة والنشاط. 3- محبة الرياضة وممارستها. 4-خلق الروح الرياضية. 5-الصيد. 6- قيم أخرى.
(5) الإنسانية	1- حرية الإنسان وكرامته. 2- محاربة الظلم والاستغلال والاستعباد. 3- وحدة البلدان المجاورة. 4- فضل العدالة والمساواة. 5- رفض التمييز العنصري والتعصب. 6- الدعوة للسلام. 7- تكريم الضعفاء وأصحاب العاهات. 8- قيم أخرى.	1- حرية الإنسان وكرامته. 2- محاربة الظلم والاستغلال والاستعباد. 3- وحدة البلدان المجاورة. 4- فضل العدالة والمساواة. 5- رفض التمييز العنصري والتعصب. 6- الدعوة للسلام. 7- تكريم الضعفاء وأصحاب العاهات. 8- قيم أخرى.	1-حسن التكيف. 2-السعادة والفرح. 3-الأمل والتفاؤل بالمستقبل المشرق. 4-الطموح والتحصيل والنجاح. 5-التصميم والإرادة (الشجاعة والإقدام). 6-الحرص والانتباه. 7-المظهر الخارجي (الاحترام والهيبة). 8- القيادة الديمقراطية. 9-الثقة بالنفس واحترام الذات. 10- الجرأة الشخصية. 11- تنمية العادات الحسنة (كالمحافظة على الألعاب والقيام والاستيقاظ المبكر/ التربية الاستقلالية). 12- قيم أخرى.

المصادر والمراجع

أولاً- المصادر:

- 1- إلياس بن ساعد، السيرة النبوية الشريفة، دار السجلات، الجزائر (د.ت).
- 2- إلياس بن ساعد، من غزوات الرسول ﷺ (6 حلقات)، دار السجلات، الجزائر (د.ت).
- 3- إلياس بن ساعد، قصة الإسراء والمعراج، دار السجلات، الجزائر، (د.ت).
- 4- إياد عيساوي، قصص يرويها المصطفى (4 حلقات)، مكتبة الريام، الجزائر (د.ت).
- 5- جماعة من رجال التعليم، حياة الرسول ﷺ، الزيتونة للإعلام والنشر، باتنة، (د.ت).
- 6- ساعد علوي، الحبيب المصطفى: مولده وصباه، المكتبة الخضراء، الجزائر، 2004.
- 7- سعد الدين دداش، السيرة النبوية المبسرة، دار الهداية، قسنطينة، 2000.
- 8- عبد الحق سعودي، السيرة النبوية، 10 حلقات، شركة الشهاب، الجزائر، 1990.
- 9- عبد الحميد توفيق، حياة النبي (9 حلقات)، شركة قري وأبنائه، باتنة، الجزائر، 2003.
- 10- عمار بلعلي، قصص الأنبياء للأطفال، دار الهداية، قسنطينة، الجزائر، (د.ت).
- 11- مجهول المؤلف، قصة محمد ﷺ، دار البدر للطباعة، الجزائر، (د.ت).
- 12- مجهول المؤلف، محمد ﷺ، منشورات القصبة، الجزائر، (د.ت).
- 13- مجهول المؤلف، انصر نبيك محمد، دار الخلدونية، القبة، الجزائر، 2006.
- 14- مجهول المؤلف، محمد رسولي وقائدي وقدي، دار المعرفة، الجزائر (د.ت).
- 15- مجهول المؤلف، اعرف نبيك محمد، دار الخلدونية، القبة، الجزائر، 2006.
- 16- محمد بوزواوي، محمد رسول الله، دار البشير الإبراهيمي للكتاب، الجزائر، 2006.
- 17- محمد ناصر بوحجام، قصص من السيرة للفتيان والفتيات: 30 حلقة، وزارة الأوقاف، سلطنة عمان، 2007.
- 18- كمال قندوزي، نبي الله محمد ﷺ، المكتبة الخضراء، الجزائر، (د.ت).

ثانياً- المراجع العربية القديمة:

- 1- أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط وغيره، الرسالة، بيروت، ط 9، 1413هـ.
- 2- ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت، دار الجيل، 1992.
- 3- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي، تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، 1984م.

- 4- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، بشرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر، (د.ت).
- 5- ابن القيم، أبي عبد الله ابن القيم الجوزرية، زاد المعاد في هدى خير العباد، ج 1-2، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت).
- 6- ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملحمة وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 5، 1989م.
- 7- ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين، تفسير القرآن العظيم، تصحيح: محمود حسن، دار الفكر، بيروت، 1992.
- 8- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، 1979.
- 9- ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1978م.
- 10- ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 2، 2004.
- 11- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الخصائص الكبرى، تحقيق: محمد خليل هراس، القاهرة، دار الكتب الحديثة، 1967.
- 12- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، باب الرءاء، فصل السين، مرا: د. محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2008.

ثالثاً-المراجع العربية الحديثة:

- 1- إبراهيم ناصر، التربية الأخلاقية، دار وائل للنشر، الأردن، 2006.
- 2- إحسان عباس، فن السيرة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 2، (د.ت).
- 3- إحسان عباس، فن الشعر، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1961.
- 4- أحمد حسن أبو عرقوب، محاضرات في أدب الأطفال، المكتبة الجامعية الأردنية، الأردن، 1982.
- 5- أحمد زلط، أدب الطفولة: أصوله ومفاهيمه، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 4، 1997.
- 6- أحمد عبد السلام البقالي، تقنية الكتابة للأطفال، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1992.
- 7- أحمد علي آل مريع، السيرة الذاتية: الحد والمفهوم، نادي أمها الأدبي، السعودية، 1429.
- 8- أحمد عويس، ثقافة الأطفال بين الواقع والطموحات، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط 3، 1994.
- 9- أحمد علي كنعان، أدب الأطفال والقيم التربوية، دار الفكر، دمشق، ط 2، 1999.
- 10- أحمد فضل شلوش، تكنولوجيا أدب الطفل، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، 1999.
- 11- أحمد نجيب، أدب الأطفال علم وفن، دار الفكر العربي، دمشق، 1991.
- 12- أحمد نجيب، فن الكتابة للأطفال، دار اقرأ، بيروت، لبنان، ط 2، 1983.
- 13- إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط 2، 2004.
- 14- أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 2، 1996.
- 15- أنور الجندي، كامل كيلاني في مرآة التاريخ، مطبعة الكيلاني الصغير، القاهرة، 1965.
- 16- أنيس المقدسي، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة الأدبية الحديثة، بيروت، لبنان، ط 2، 1978م.
- 17- جابر عبد الحميد جابر وآخرون، الطرق الخاصة بتدريس اللغة العربية وأدب الأطفال، القاهرة، 1981.

- 18- جمال أبو رية، ثقافة الطفل العربي، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
- 19- جورجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، تحقيق سيد مؤنس، مؤسسة دار الهلال، القاهرة، 1968م.
- 20- حسن شحاته، قراءات الأطفال، الدار المصرية اللبنانية، 1989.
- 21- حسن مرعي، المسرح المدرسي، دار ومكتبة الحياة، بيروت، 1993.
- 22- حفيظة تازورتي، اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري، دار القصة، الجزائر، 2003.
- 23- حنان العناني، أدب الأطفال، دار الفكر، عمان، ط3، 1996.
- 24- خالد أبو جندي، من غزوات الرسول، الزيتونة للطباعة والنشر، الجزائر، (د.ت).
- 25- خيرية حسين طه صابر، دور الأم في تربية الطفل المسلم، دار المجتمع للنشر والتوزيع، السعودية، 1405هـ.
- 26- ذكاء الحر، الطفل العربي وثقافة المجتمع، دار الحداثة، بيروت، 1984.
- 27- راجح عبد الحميد الكردي، وماجد محمد أبو رقيه، السيرة النبوية، مكتبة الضامري، عُمان، ط4، 1998.
- 28- رشدي طعيمة، أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية: النظرية والتطبيق، دار الفكر العربي-القاهرة، 1998م.
- 29- سعد أبو الرضا، النص الأدبي للأطفال (أهدافه ومصادره وسماته)، دار البشير للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 1997.
- 30- سعيد أحمد حسن، أدب الأطفال ومكتباتهم، مؤسسة الشرق للعلاقات العامة والنشر والترجمة، عمان، الأردن، 1984.
- 31- سعيد أحمد حسن، ثقافة الأطفال واقع وطموح، مؤسسة المعارف، بيروت، 1995.
- 32- سعيد المغناوي، شخصية رسول الله بين تصوير الوحي وتصورات الدارسين، دار ابن حزم، لبنان، 2008.
- 33- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي: الزمن-السرد-التعبير، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 1997.
- 34- سمر روجي الفيصل، مشكلات قصص الأطفال في سورية، إتحاد كتاب العرب، دمشق، 1981.
- 35- سمية أحمد فهمي، وحدة لتنمية الشعور الديني عند الأطفال، الكتاب السنوي للجمعية المصرية للدراسات النفسية، القاهرة، (د.ت).
- 36- سمير عبد الوهاب أحمد، أدب الأطفال: قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2006م.
- 37- السيد البهنسي، أدب الأطفال في التصور الإسلامي، موسوعة سفير لتربية الأبناء، جامعة عين شمس، القاهرة (د.ت).
- 38- سيد قطب، كتب وشخصيات، دار الشروق، القاهرة، (د.ت).
- 39- سيف الدين الكاتب، السيرة النبوية في قصص (7 حلقات)، دار المعرفة، الجزائر، 1998.
- 40- شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
- 41- صفى الرحمان المباركفوري، الرحيق المختوم، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، 1980.
- 42- عباس محمود العقاد، العبقریات الإسلامية، دار الفتوح للطباعة، القاهرة، (د.ت).
- 43- عباس محمود العقاد، محمد عبده، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د.ت).
- 44- عبد الإله الصائغ، النقد الأدبي الحديث وخطاب التنظير-النظرية وتحليل النص، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، 2000.
- 45- عبد التواب يوسف، تنمية ثقافة الطفل، دار الفكر، دمشق، 2001.

- 46- عبد التواب يوسف، حياة محمد في عشرين قصة، دار الشروق، القاهرة، ط5، 2003.
- 47- عبد التواب يوسف، الطفل العربي والأدب الشعبي، الدار المصرية اللبنانية، 1992.
- 48- عبد التواب يوسف، الطفولة والقيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987.
- 49- عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- 50- عبد الحميد الهاشمي، الرسول العربي المربي، دار الثقافة للجميع، دمشق، (د.ت).
- 51- عبد الرحمان بدوي، الموت والعبقريّة، مكتبة النهضة، مصر، 1954.
- 52- عبد الرزاق جعفر، الطفل والكتاب، دار الجيل، بيروت، 1992.
- 53- عبد السلام البقالي، تقنية الكتابة للأطفال، مجلة الطفل العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1992.
- 54- عبد العزيز شرف، أدب السيرة، دار الجيل، بيروت، 1993.
- 55- عبد العليم إبراهيم، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، دار المعارف، مصر، ط5، 1981.
- 56- عبد الفتاح أبو معال، أدب الأطفال: دراسة وتطبيق، دار الشروق، 1984.
- 57- عبد الفتاح أبو معال، تنمية الاستعداد اللغوي عند الأطفال، دار الشروق، عمان، 1988.
- 58- عبد الكريم بكار، 149 بصيرة في التراث والماضي والتاريخ والمستقبل و طبائع الأشياء، دار الفكر، دمشق، (د.ت).
- 59- عبد المجيد عبد الرحيم، قواعد التربية والتدريس في الحضارة ورياض الأطفال، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1985.
- 60- عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر [1870-1938]، دار المعارف، القاهرة، 1992.
- 61- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، رقم 240، ديسمبر 1998.
- 62- عبد المنعم الهاشمي، سلسلة بطولات النبي، دار الإيمان للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004.
- 63- عادل محلو، أحمد زغب، دراسات في أدب الأطفال، رابطة الفكر والإبداع، شركة مزوار للطباعة والنشر، الوادي، 2004.
- 64- عدنان السبيعي، من أجل أطفالنا، مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا، 1981.
- 65- عفاف أحمد عويس، ثقافة الأطفال بين الواقع والطموحات، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط3، 1994.
- 66- علي الحديدي، في أدب الأطفال، المكتبة الأنجلو مصرية، مصر، ط3، 1982.
- 67- علي نجيب عطوي، تطور فن القصة اللبنانية العربية بعد الحرب العالمية الثانية، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1982.
- 68- عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، الرسالة، بيروت، ط9، 1985.
- 69- عمر حمزة، العرض القرآني لسيرة الرسول، دار أسامة، عمان، الأردن، ط2، 1996.
- 70- العيد جلولي، القصص المكتوب للأطفال بالجزائر: دراسة في موضوعاته وبنائه الفني، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، نوقشت عام 2000م.
- 71- العيد جلولي، النص الأدبي للأطفال في الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2001.
- 72- غازي التوبة، الفكر الإسلامي المعاصر، دار القلم، بيروت، ط3، 1977.
- 73- فؤاد البهي السيد، الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة، دار الفكر العربي، مصر، ط2، 1968.

- 74- فخر الدين قباوة، المهارات اللغوية وعروبة اللسان، بحوث ودراسات في علوم اللغة والأدب، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1999.
- 75- فوزي عيسى، أدب الأطفال (الشعر، المسرح، القصة)، (د.ط)، (د.م.ط)، 1998م.
- 76- كامل كيلاني، سلسلة من حياة الرسول (10 حلقات)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، د.ت.
- 77- كمال الدين حسين، فن رواية القصة وقراءتها للأطفال، الدار المصرية اللبنانية، 1999.
- 78- محمد بيومي، معجزات النبي للأطفال، دار النجاح للكتاب، الجزائر، (د.ت).
- 79- محمد جمال عمرو، كمال حسين عبد الغافر، خالد جاد الله صبح، المدخل إلى أدب الأطفال، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1990.
- 80- محمد حسن بريغش، أدب الأطفال: أهدافه وسماته، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1997.
- 81- محمد حمزة السعداوي، معجزات النبي للأطفال، منشورات ميموني، الجزائر.
- 82- محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1993.
- 83- محمد السيد حلاوة، كتب ومكتبات الأطفال، المكتبة المصرية، الاسكندرية، ط2، 2004.
- 84- محمد السيد فراج، الأطفال وقراءاتهم، شركة الربيعان، الكويت، 1979.
- 85- محمد عبد الحميد، البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، عالم الكتب، القاهرة، (د.ت).
- 86- محمد علي الهاشمي، شخصية الرسول ودعوته في القرآن الكريم، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، 2003.
- 87- محمد علي الهرفي، أدب الأطفال: دراسة نظرية وتطبيقية، دار الرسالة، القاهرة، 1996.
- 88- محمد عمر الحاجي، إطلالة قرآنية على بيت النبوة، دار غار حراء، دمشق، سوريا، 2001.
- 89- محمد الغزالي، فقه السيرة، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط4، 1964.
- 90- محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1962.
- 91- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، 1986.
- 92- محمد مرتاض، من قضايا أدب الأطفال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.
- 93- محمد منير الغضبان، المنهج الحركي للسيرة النبوية، مكتبة المنار، الأردن، 1974.
- 94- محمد يوسف نجم، فن القصة، دار الثقافة، بيروت، ط5، 1966.
- 95- محمود تيمور، القصة في الأدب العربي وبحوث أخرى، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د.ت).
- 96- محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، ط2، 1404هـ.
- 97- مصطفى السباعي، السيرة النبوية دروس وعبر، المكتب الإسلامي، دمشق، ط5، 1980.
- 98- نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، مصر، ط3، 1965.
- 99- نجيب الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، مؤسسة الإسراء للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط2، 1991.
- 100- ناصر الدين سعيدوني، أساسيات منهجية التاريخ، دار القصة، الجزائر، (د.ر.ط)، 2000م.
- 101- نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، الكويت، ع9، 1978.

- 102- هادي نعمان المهيبي، أدب الأطفال: فلسفته، فنونه ووسائله، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1987.
- 103- هادي نعمان المهيبي، ثقافة الأطفال، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978.
- 104- هدى محمد قناوي، أدب الأطفال، مركز التنمية للنشرية والمعلومات، مصر، 1985.
- 105- يحيى عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، 1982.
- 106- يوسف حسين بكار، قضايا في النقد والشعر، دار الأندلس، بيروت، لبنان، 1984.

رابعاً المراجع الأجنبية المترجمة:

- 1- جيمس رسن الابن، الرواية والتاريخ، ترجمة حسام الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، الدوحة، مارس 2005.
- 2- جين كارل، كتب الأطفال ومبدعوها، تر: صفاء روماني، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1994.
- 3- سرجيو سبيني، التربية اللغوية للطفل، تر: فوزي عيسى وعبد الفتاح حسين، القاهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991.
- 4- رينيه ويليك و أوستيندارين، نظرية الأدب، تر: محي الدين صبحي، ط3، بيروت (د.ت).
- 5- كلود ليفي سترافوس، الإناسة البنائية، تر: حسن قبيسي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، (د.ت).
- 6- ماري وين، الأطفال والإدمان التلفزيوني، تر: عبد الفتاح الصبحي، الكويت، (د.ت).

خامساً - المراجع الأجنبية:

- 1-Renée Léon. La littérature de Jeunesse a l'école hachette. Paris 1994
- 2- Roland Barthes: rethorique de l'image،communication. N 04

سادساً الدوريات:

- 1- مجلة "أعمال الملتقى المغاربي الأول حول أدب الطفل"، سوق أهراس — الجزائر، عدد خاص، 2004م.
- 2- مجلة "الأم والطفل"، العراق، عدد 393، 1979.
- 3- مجلة "بناة الأجيال"، دمشق، سوريا، عدد 26، سنة 1998.
- 4- مجلة "بناة الأجيال"، دمشق، سوريا، عدد 45، سنة 2003.
- 5- مجلة "الثقافة"، الجزائر، عدد 27، 1975.
- 6- مجلة "الحياة الثقافية"، تونس، عدد 40، 1986.
- 7- جريدة "الخبر"، يومية جزائرية، عدد 5481، نوفمبر 2008.
- 8- مجلة "الخفجي"، السعودية، ماي 1994.
- 9- سلسلة "دفاتر المجلس"، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، عدد 8، مارس 2005.
- 10- مجلة "السائرون على الدرب"، المغرب، عدد 1، ماي 1980.

- 11- مجلة "عالم الفكر"، الكويت، عدد 2/1، مجلد 24، سنة 1995.
- 12- مجلة "عالم الفكر"، الكويت، عدد 1، المجلد 25، سبتمبر 1996.
- 13- مجلة "عالم المعرفة"، الكويت، عدد 267، مارس 2001.
- 14- مجلة "العربي"، الكويت، عدد 278، 1982.
- 15- مجلة "العربي"، الكويت، عدد 87، سنة 1993.
- 16- مجلة "الفراة"، العراق، عدد 59، 2007.
- 17- مجلة "الفصول الأربعة"، ليبيا، عدد 34، 1986.
- 18- مجلة "الفيصل"، السعودية، عدد 277، رجب 1420هـ.
- 19- مجلة "اللغة والأدب"، الجزائر، عدد 12، ديسمبر 1997.
- 20- مجلة "نحو خطة قومية لتقافة الطفل"، تونس، عدد خاص، 1994.
- 21- مجلة "الموقف الأدبي"، سوريا، عدد آيار/حزيران 1975.
- 22- مجلة "الموقف الأدبي"، سوريا، عدد 127، تشرين الثاني، 1981.

فهرس جداول البحث

الرقم	موضوع الجدول	الصفحة
01	عينة القصص الجزائرية ومراحل الطفولة التي تناسبها	42
02	النسب المئوية لأصناف قصص السيرة النبوية للأطفال	42
03	توزيع عينة الدراسة حسب تقسيمات مراحل الطفولة	43
04	يبين القصص الذي تناول موضوعات تاريخية من السيرة النبوية	64
05	يبين القصص الذي تناول موضوعات دينية من السيرة النبوية	66
06	يبين القصص الذي تناول غزوات النبي	68
07	يبين توزيع منظومة القيم على عينة المدونة	88
08	أبرز الدراسات والبحوث التي تناولت السيرة النبوية في القرآن الكريم.	92
09	نماذج لعناصر التشخيص في قصص السيرة النبوية	112
10	صيغ الزمن الماضي في قصص المدونة	141
11	أماكن أحداث السيرة النبوية	143
12	نماذج لمضامين أغلفة قصص المدونة	146
13	نماذج لمضامين أغلفة قصص المدونة	148
14	الضبط والترقيم في قصص المدونة	155

فهرس الملاحق

الرقم	موضوع الملحق	الصفحة
01	القصص غير الجزائرية المتواجدة في الجزائر والفئة التي تناسبها	159
02	القصص غير جزائرية التي تولت طبعها أو إعادة طبعها دور جزائرية	159
03	تصنيف وايت المفصل للقيم	160
04	تصنيف الدكتور أحمد علي كنعان للقيم المعدل لتصنيف وايت	161

فهرس الموضوعات

الصفحة

مقدمة ج

تمهيد: د

في مفهوم السيرة والسيرة النبوية الموجهة للأطفال

- 1- تعريف السيرة وبيان أنواعها 2
- 2- السيرة النبوية: تطوراتها ومناهج كتابتها 5
- 3- مفهوم قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال 8

الفصل الأول:

قصص السيرة المكتوب للأطفال: الوظائف والمقومات، مستويات التلقي

- 1- أهميته ووظائفه 10
1. 1 - أهمية فن السيرة 10
1. 2 - دوافع كتابة السيرة النبوية وأهدافها 11
1. 3 - وظائف قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال 12
- 2- مقوماته وشروطه 15
2. 1 - ما يتعلق بالسيرة النبوية 15
2. 1. 1 - المادة الحكائية 15
2. 1. 2 - كاتب السيرة 17
2. 1. 3 - بنية الخطاب 19
2. 1. 4 - المكتوب عنه 20
2. 2 - ما يتعلق بقصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال 22
2. 2. 1 - المرسل (الكاتب) 22
2. 2. 2 - النص (الرسالة) 25
2. 2. 3 - المتلقي 27
- 3- خصائص الطفولة وأثرها في تلقي السيرة النبوية 29

30	1. 3- خصائص الطفولة
31	3. 2- الاعتبارات التربوية والفنية في قصص السيرة
31	3. 2. 1- الاعتبارات التربوية والسيكولوجية
32	3. 2. 2- الاعتبارات الأدبية
34	3. 3- مراحل الطفولة وأثرها في تلقي السيرة النبوية
34	3. 3. 1- مرحلة الخيال المنطلق من (6-8) سنوات
36	3. 3. 2- مرحلة البطولة (9-12)
37	3. 3. 3- مرحلة المثالية (13-18)
39	3. 4- خلاصة

الفصل الثاني:

المضامين والقيم في قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال بالجزائر

40	1. توصيف عينة البحث
44	2- المضامين والأنماط
44	2. 1- إشكالية التصنيف
45	2. 2- مضامين قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال بالجزائر
46	2. 2. 1- مضامين تاريخية
65	2. 2. 2- مضامين دينية
66	2. 2. 3- مضامين اجتماعية
67	2. 2. 4- قصص الغزوات
68	2. 2. 5- قصص المعجزات
69	2. 2. 6- قصص الحيوان
71	2. 3- المضامين وحاجات الطفولة
74	2. 3- خلاصة
75	3 - منظومة القيم في قصص المدونة
75	3. 1- تمهيد:
75	3. 2- مفهوم القيم/ نسق القيم

78	3. 3- مراحل الطفولة وأثرها في اكتساب القيم
80	3. 4- منظومة القيم في قصص المدونة
87	3. 5- خلاصة

الفصل الثالث؛

مصادر قصص السيرة النبوية أمكتوب للأطفال بالجزائر

89	1- مصادر أساسية:
89	1. 1- القرآن الكريم
93	1. 2- كتب السنة والحديث
95	1. 3- أمهات كتب السيرة
97	1. 4- الدراسات المعاصرة
99	2- مصادر فرعية
99	2. 1- كتب التفسير وأسباب النزول
99	2. 2- الشعر المصاحب للرسالة
100	2. 3- سير الصحابة والصحابيات
101	3- خلاصة:

الفصل الرابع؛

التجسيد الفني في قصص السيرة النبوية أمكتوب للأطفال

102	1- الشخصية
103	1. 1- تمهيد
103	1. 2- أنواع الشخصية وأنماطها في قصص السيرة النبوية
105	1. 3- سماتها وخصائصها الفنية
108	1. 4- شخصية محمد ﷺ بين البطولة وخصوصيات النبوة
111	1. 5- التشخيص في قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال
112	2- اللغة والأسلوب
112	2. 1- الخصائص اللغوية في قصص السيرة النبوية

113	2. 1. 1- التناسب اللغوي
116	2. 1. 2- الدقة والوضوح
117	2. 1. 3- التبسيط والتعقيد
119	2. 2- مراحل النمو اللغوي عند الأطفال
122	2. 3- بنية الحكاية وبنية الخطاب
124	2. 4- الحوار في قصص السيرة النبوية
127	2. 5- تبسيط السيرة النبوية للأطفال
127	2. 5. 1- تبسيط أدب الكبار
129	2. 5. 2- تبسيط السيرة النبوية للأطفال (الإسراء والمعراج من سيرة ابن هشام نمونجا)..
131	3- تركيب القصة
131	3. 1- البناء والحبكة
136	3. 2- الاستدلال والإقناع
138	5- زمكانية قصص السيرة النبوية المكتوب للأطفال
138	5. 1- زمن السرد وزمن الحكاية
142	5. 2- الحيز المكاني في قصص المدونة
144	6- الإخراج الفني
144	6. 1- تمهيد
145	6. 2- الغلاف
147	6. 3- العنوان
148	6. 4- حجم القصة
149	6. 5- استعمال نبرات الكتابة
149	6. 6- الرسم والتصوير
153	6. 7- الألوان
154	6. 8- الضبط والترقيم
155	7- خلاصة
157	الخاتمة: (عرض نتائج الدراسة)

159	ملاحق
162	المصادر والمراجع
167	فهرس الجداول والملاحق
168	فهرس الموضوعات